منشورات
جامعة إب

تاريخ إب

دراسة تاريخية لمدينة إب وما حولها

أ.د/ محمد مظفر الأدهمي
كلية الأداب - جامعة إب

المحتـــويات

- الاهداء
- شكر وتقدير
- تصدير
- المقدمة

الفصل الاول

مدينـــــــة إبّ

1 - الموقع والتسمية
- الموقع الاداري القديم لمدينة إبّ

2 - سور مدينة إبّ وابوابها
- الساقية

3 -طابع العمارة في مدينة إبّ المسورة

4 - مدينة إبّ في كتابات الرحالة العرب والاجانب

أ - رحلة نيبور عام 1763م
-إبّ في كتابات نيبور
ب - رحلة الريحاني عام 1922
جـ - رحلة الثعالبي عام 1924
د - رحلة احمد زكريا عام 1936
هـ - رحلة مؤيد العظم عام 1937

5 -الكوارث الطبيعية

الفصل الثاني

إبّ في تاريخ اليمن الإسلامي والحديث

أولاً: إبّ في تاريخ اليمن الإسلامي

1 - دور قبائل إب في الفتوحات العربية الاسلامية

2 - إبّ في عهد الدويلات اليمنية (القرن 3 -10هـ / 9 -16م)

ثانياً : إبّ في تاريخ اليمن الحديث

1 - الاحتلال العثماني لليمن

2 - إبّ في العهد العثماني الاول (945 -1045هـ / 1538 -1635م)

-انتفاضات إبّ وما حولها (974هـ/ 1570م)

- معركة إبّ في حملة سنان باشا (977هـ/ 1570م)

- تداعيات معركة إبّ

3 - إبّ في عهد القاسميين (1405 -1265هـ / 1636 -1849م)

- فاجعة إبّ في حربّ يافع (1120هـ/ 1709م)

-إبّ خلال غزو محمد علي باشا لليمن (1254 -1256هـ /1838 - 1840م)

- حصار الناصر في مدينة إبّ (1254هـ/ 1838م)

-إبّ وثورة الفقيه سعيد بن صالح (1256هـ/ 1840م)

4 -إبّ في العهد العثماني الثاني (1289 -1336هـ / 1872 -1918م)

الفصل الثالث

حصن حب واهميته الستراتيجية لمنطقة إبّ

1 - الموقع والتسمية

2 - وصف الحصن

3 - الاهمية الستراتيجية للحصن

أ - حصار الايوبيين (581 -582هـ/1185 -1186م)

ب - حصار الطاهريين (870هـ /1466م)

جـ - حصار العثمانيين

- حصارالوالي محمود باشا للنظاري (969هـ / 1563م)

- حصار الوزير سنان باشا لعلي بن شرف الدين (977 -978هـ / 1570 -1571م)

الفصل الرابع

حصن التعكر وجبلة

اولاً: -حصن التعكر

ثانياً - مدينة جبلة

ثالثاً -احداث التعكر وجبلة

1 -في عهد الصليحيين (439 -535هـ / 1047 – 1141م)

2 - في ألعهود الاسلامية اللاحقة (535 -923هـ / 1141 -1517م)

3 - في التاريخ الحديث (945 – 1336هـ / 1538 - 1918م)

رابعاً : حصن التعكر وآثار جبلة

1 - آثار جبلة

2 - بقايا حصن التعكر

الفصل الخامس

تاريخ التعليم في إبّ و جبلة

اولاً – تاريخ التعليم في اليمن

1 المدارس في العهد الايوبي (569 -628هـ/1161 -1231م)

2 المدارس في العهد الرسولي (628 -858هـ/1231 -1461م)

3 المدارس في العهد الطاهري (858 -923هـ/1461 -1517م)

4 التعليم في عهد الامام شرف الدين والعثمانيين (923 -1337هـ/1517 -1918م)

ثانياً - تاريخ التعليم في مدينة إبّ

1 بدايات التعليم وتطوره

2 نشأة المدارس في مدينة إبّ في عهد الصليحيين.

ثالثاً - مدراس مدينة إبّ في العهدين الرسولي والطاهري (628ه/1231م – 923هـ/1517م)

1 المدرسة الاسدية

2 مدرسة بني سنقر

3 المدرسة الشمسية

4 مدرسة حسن فيروز

5 مدرسة محمد فيروز

6 مدرسة داود فيروز

7 المدرسة البدرية

8 مدرسة جرن الشريف

9 المدرسة الجلالية العليا

10 المدرسة الجلالية السفلى

11 المدرسة الناصرية

12 المدرسة النظارية

13 مدرسة حب

رابعاً – مدارس لم تذكرها المصادر

1 مدرسة السني

2 مدرسة عقيل بن عمر السقاف

3 مدرسة العقيم

4 مدرسة ألكاظمي

5 مدرسة بن علوان

6 مدرسة جرافة

7 هجرة الحزر

8 مدرسة الحليب

خامساً : المدرسون الفقهاء في مدينة إبّ (القرن 6 -12هـ/14 -20م)

1 ابو العباس احمد بن محمد بن عبدالله البريهي الملقب بسيف السنة

2 عمر بن حسين بن أبي النهى

3 أسعد بن يعفر بن سالم بن عيسى العريقي

4 عبد الرحمن ابن الفقيه حسن الرماحي الحميري

5 ابو بكر بن علي الرضي بن جعفر

6 ابو عبدالله محمد بن ابي بكر بن محمد بن منصور الاصبحي

7 ابو القاسم بن علي بن موسى الرواني الجبرتي

8 ابو عبدالله محمد بن علي بن احمد بن يحيى مضمون .

9 ابو الخطاب عمر عبدالله بن سليمان الكندي

10 ابو العباس احمد بن سليمان بن احمد بن احمد صبرة الحميري

11 ابو العباس احمد بن يحيى بن ابي بكر محمد الكندي

12 صفي الدين احمد بن حسن بن ابراهيم بن يحيى البريهي

13 جمال الدين محمد بن محمد حسن البريهي

14 عبدالله بن محمد بن علي بن عمر بن منصور الصراري

15 عفيف الدين عبدالله بن محمد الكاهلي

16 تقي الدين عمر بن أبي بكر الكلالي

17 تقي الدين معوضة بن حسن العنسي

18 وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد النحواني

19 صفي الدين أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن يحيى البريهي

20 تقي الدين عمر بن محمد علي المسلمي المشهور بالبريهي

21 شهاب الدين أحمد بن مطهر بن موسى الحميري الموسوي

22 الفقيه تقي الدين عمر بن ابي بكر الحارثي

23 صفي الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر البريهي

24 موفق الدين على بن عطية الدملوي

25 جمال الدين محمد بن أبي بكر البريهي

26 جمال الدين محمد بن عبد الله الكاهلي

27 صفي الدين أحمد بن عبدالله الكاهلي

28 تقي الدين عمربن عيسى الخطيب

29 عفيف الدين عثمان بن عمر الناشري

30 شمس الدين علي بن أبي بكر السحولي

سادساً: مدرسون فقهاء لم تذكرهم المصادر

1 -محمد بن علي بن محسن الحبيشي الوصابي

2 - قاسم بن علي بن شجاع الدين

3 - قاسم بن ناجي الضراسي

4 -أحمد بن قاسم بن ناجي الضراسي

5 - محمدأحمدقاسم الضراسي

6 -أحمد علي بن صالح العنسي

7 - عبدالله بن علي بن صالح العنسي

8 - محمد الناهي

9 -أحمد بن قاسم بن حفظ الدين الشعبي

10 - أحمد بن علي بن سعيد البصير

11 - محمد بن ناجي بن سعيد وهابي الصباحي

12 - علي بن علي مطيع

13 - عبدالله بن يحي العنسي

14 - علي قاسم البعداني

سابعا - مدارس جبلة (558هـ -858هـ/1062م -1461م)

1 مدرسة أبن أبي الأمان

2 المدرسة الفاتنية

3 المدرسة الغومانية

4 المدرسة النجمية

5 المدرسة الشهابية

6 المدرسة االشرقية

7 المدرسة الزاتية

8 المدرسة النظا مية

9 مدرسة ذرا

10 المدرسة الفتحية

11 المدرسة الوزيرية

ثامنا -المدرسون الفقهاء في جبلة (القرن7 -9هـ/13 -19م)

1 -أبو محمد سعيد بن أسعد بن علي الحرازي

2 - أبو زكريا بن عثمان أبي سالم المليكي

3 - رضي الدين أبو بكر المعروف بالكآبة

4 - رضي الدين أبو بكر الهمدا ني المشهور بابن الخياط

5 - جمال الدين محمد بن عبدالله بن سالم

6 - جمال الدين محمد بن أبي القاسم الظراسي

7 - شهاب الدين أحمد بن أبي بكر النجدي

8 - جمال الدين محمد بن عمر الحريري

9 - جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يحي

10 - عفيف الدين عطية بن عبد الرازاق بن علي النجدي

11 - صفي الدين أحمد بن محمد بن حمادة

12 - موفق الدين علي بن حسين بن شمعون

تاسعاً - استنتاجات

- الخاتمة

-الملاحق

- المصادر

الإهداء

إلى لؤلؤة الموروث و الزمان

وحاضرة العلم والأمان

مدينة إبّ وأهلها الكرام

أهدي كتابي هذا .

شكر و تقدير

اتقدم بالشكر و التقدير إلى الاخ الاستاذ الدكتور احمد شجاع الدين رئيس جامعة إبّ على دعمه و تشجيعه وتقديمه كل التسهيلات لي في تأليف هذا الكتاب وطباعته.

كما اشكر الاخ الاستاذ الدكتور صالح علي باصرة رئيس جامعة صنعاء / وزير التعليم العالي حالياً على استضافته لي في الجامعة للاطلاع على المراجع و المصادر في المكتبة المركزية، واتقدم بالشكر إلى الدكتور عبدالله الفلاحي لما قام به من جهد مشكور في قراءته مسودة الكتاب وتصويبه للأسماء المحلية وتقديمه الشروح والتوضيحات للمصطلحات والمسميات.. واشكر كذلك الاخوة التدريسيين في قسم التاريخ بجامعة إبّ على حواراتهم معي خلال مدة البحث.

كما أتقدم بالشكر أيضاً إلى الأستاذ الدكتور عبدالمنعم أحمد صالح على مراجعته وتصحيحاته اللغوية ، وكذلك الدكتور إسماعيل عبدالرزاق الهيتي.

ولا بد لي من تقديم الشكر و التقدير إلى الشيخ عبد العزيز الحبيشي الذي كان مجلسة مجالاً لحوارات طويلة نافعة مع العديد من أبناء إبّ.

واتقدم بالشكر ايضا إلى موظفات المكتبة المركزية في جامعة إبّ وموظفيها ومكتبة مركز البحوث و الدراسات اليمنية و مكتبة بيت الثقافة في صنعاء و مكتبة المركز الثقافي والمكتبة العامة في مدينة إبّ الذين قدموا لي العون في الحصول على المصادر .

واتقدم بالشكر و التقدير إلى الأخ الباحث الإبّي محمد علي الصهباني الذي قدم لي معلومات قيمة عن تاريخ مدارس إبّ و جوامعها و بعض احداثها . وإلى الاخ عبدالفتاح محمد عبده العبيطري ووالده اللذين ساعداني في جولاتي الاستطلاعية الميدانية في مدينة إبّ القديمة . و إلى الاخ ياسر نعمان مدير مكتبة جبلة و الاخ عبد الوهاب الخديري رئيس جمعية المورخين في جبلة اللذين رافقاني في سفرتي إلى حصن التعكر و في مدينة جبلة . وإلى الاخ نبيل الورافي مدير العلاقات في جامعة إبّ الذي رافقني مع المصور علي حمود في سفرتنا إلى حصن حب .

ولابد لي أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى الأخ/ عيسى دبوان الذي قام بجهد مشكور في إعادة إخراج الكتاب بالشكل المناسب ، ومكتب الإكليل لطباعته الأولية لهذا الكتاب.

واخيرا اتقدم بالشكر و التقدير إلى كل من ساعدنا و فاتنا ذكره .

تصـــــدير

أ.د/ أحمد محمد شجاع الدين
رئيس جامعة إبّ

إذا كان لا بد من أن أقول شيئاً في مقدمة كتاب تأريخ مدينة إبّ فإني أؤكد في البداية أن مجال العلم واسع وعميق ، وكلما اعتقد أي باحث أنه قطع شوطاً لا بأس به وسط هذا المحيط، وجد نفسه من خلال العمل الذي أنجزه أنه لا يزال يسبح على شواطئه ، وهذا ما آل إليه الأستاذ الدكتور محمد مظفر الأدهمي في إعداد الكتاب عن تأريخ مدينة إبّ.

لقد امتلك المؤلف ناصية المنهج العلمي لإعداد هذا الكتاب وليس سواه حتى تمكن من سبر غور تأريخ مدينة إبّ من أجل الوصول إلى المعلومات العلمية الصحيحة والهادفة من أجل خدمة تأريخ هذه المحافظة.

ولا ضير أن نعترف ونقول كلمة الحق أن الأستاذ الدكتور محمد مظفر الأدهمي كدّ وكافح في سبيل إعداد هذا الكتاب من أجل توثيق واكتشاف ودراسة تأريخ مدينة إبّ انطلاقاً من أن الإرث الثقافي والبشري والحضاري ملك للإنسانية جمعاء. إن إعداد هذا الكتاب عن تأريخ مدينة إبّ ونشره من جامعة إبّ سيعطي دافعاً لأعضاء هيئة التدريس في قسم التأريخ بكلية الآداب إلى المزيد من البحث عن حقائق تأريخ اليمن وبصفة خاصة مدينة إبّ مسترشدين بالمنهج العلمي القائم على الصدق ، والمعاناة والدأب المستمر بحثاً عن الحقيقة والمثابرة الجادة والصبورة من أجل اكتشاف منابع الحقيقة في التأريخ اليمني وتراثه بصفة عامة ومدينة إبّ بصفة خاصة خدمة لليمن وللمجتمع المحلي في مجال العلم والمعرفة.

وأزعم أن المؤلف قد اعتمد بإعداده للكتاب على المصادر التأريخية والعلمية المتوفرة ، ثم على تواصله مع الناس من خلال جلساتهم الخاصة ومناقشته لهم وبالذات مع العارفين والمطلعين على تأريخ مدينة إبّ وعمل بكل جهده أن يتتبع في إعداده للكتاب

على التحليل والتفسير المنطقي. إن افتقار المكتبة اليمنية لكتاب مخصص عن تأريخ مدينة إبّ أحد العوامل الرئيسة التي دفعت جامعة إبّ إلى تبني هذا الكتاب ، و إعداده من الأستاذ الدكتور محمد مظفر الأدهمي من أجل إثارة الاهتمام لدى المتخصصين في التأريخ لتقصي حقائق التاريخ لمدينة إبّ مستخدمين مناهج البحث العلمي باستمرار مسترشدين به القائم على الصدق والمعاناة والدأب والمثابرة في اكتشاف منابع الحقيقة في تأريخنا وتراثنا من أجل حاضر مزدهر ومستقبل أفضل وأن على المهتمين والمتخصصين في مجال التأريخ مسؤوليتهم كونهم الحراس الأمناء لتأريخ بلدهم ، وأن يدركوا اليوم أكثر من أي وقت مضى أن الأخذ بناصية العلم والمعرفة وتنفيذ الدراسات والأبحاث الميدانية وإعداد الكتب الجادة عن تأريخ اليمن هو الطريق الصحيح لتعريف الجيل الحالي والأجيال القادمة في سبيل مستقبل أفضل.

(المقدمـــة)

كثيرة هي الكتب التي تناولت تاريخ المدن اليمنية ،خصوصا تلك التي كان لها دور سياسي او شهدت احداثا مهمة كان لهاِ أثرها في تاريخ اليمن. ولم يكن لمدينة إبّ حصة في هذه الكتب ،ربما لأنها لم تكن عاصمة سياسية في يوما ما ولم تؤد دوراً سياسياً بارزاً . لكنها كانت أرضا خصبة للعلوم والمعرفة والتعليم والزراعة والتجارة. ومع ذلك فقد وقعت فيها معارك وانتفاضات وحركات تمرد وعصيان على مدى تاريخها الطويل في العهدين الإسلامي والحديث .

في ضوء هذه الحقائق قسمنا كتابنا هذا إلى خمسة فصول تناولنا في الفصل الأول موقع مدينة إبّ وتسميتها وسورها وأبوابها وساقيتها وما كتبه عنها الرحّالة العرب والأجانب منذ رحلة نيبور عام 1763م مروراً برحلات الريحاني عام 1922 م والثعالبي عام 1924م واحمد زكريا عام 1936م وحتى رحلة نزيه مؤيد العظم عام 1937م، والكوارث الطبيعية التي أصابت المدينة .

وفي الفصل الثاني بحثنا في تاريخ مدينة إبّ الإسلامي والحديث حتى الحرب العالمية الأولى وابتدأنا بدور قبائل منطقة إبّ في الفتوحات العربية والإسلامية ، ثم الإحداث التي وقعت فيها أيام حكم بني زياد وآل يعفر والدولة الصليحية وآل زريع والأيوبيين والرسوليين والطاهريين . ثم تناولنا العهد العثماني الأول في اليمن وحملة محمود باشا وسنان باشا على مدينة إبّ وانتفاضاتها ضد الأتراك العثمانيين ،خصوصا وان مدينة إبّ وما حولها قد كانت هدفاً عسكرياً لسنان باشا في معاركه مع الإمام المطهر. وكانت معركة إبّ عام 977هـ / 1570 م حدثاً بارزاً ومهماً في تاريخ المدينة .

ثم انتقلنا إلى عهد الدولة القاسمية ، بعد انتهاء العهد العثماني الأول لليمن،عندما عاشت مدينة إبّ حرب يافع عام 1120هـ/ 1709م حين حوصرت المدينة واستبيحت، كما شهدت المدينة عام 1254هـ/ 1838م حصار الإمام الناصر فيها اثر هزيمته في معاركه قرب تعز إمام قوات محمد علي باشا التي وصلت إلى مدينة

العدين. وكان لضعف الدولة القاسمية خلال هذه المدة أثره في حدوث فوضى وصراعات داخلية في اليمن وتكالب الدول الأجنبية عليه ومنها بريطانيا والدولة العثمانية . وكانت حصة منطقة مدينة إبّ قيام ثورة الفقيه سعيد بن صالح عام 1256هـ/ 1840م الذي قضى عليه الإمام الهادي باقتياده إلى مدينة إبّ بعد أسره وإعدامه فيها .

وقد انهينا الفصل الثاني بالبحث في تاريخ إبّ خلال الحكم العثماني الثاني الذي شهدت فيه مدينة إبّ معارك بين الأتراك العثمانيين واليمنيين في السحول وحول المدينة حيث لم تسجل انتصاراً حاسماً لليمنيين ، إنما تم احتلال المنطقة من لدن العثمانيين في النهاية دون قتال . وتطور الامر إلى تطوع شخصيات مهمة من مدينة إب للجهاد ضد البريطانيين في عدن مع المسلمين الأتراك خلال الحرب العالمية الأولى .

أما الفصل الثالث فقد تناولنا فيه حصن حب وأهميته الإستراتيجية لمنطقة إبّ من خلال أحداث مهمة وقعت فيه . وابتدأنا الفصل بتبيان موقع الحصن وتسميته مع دراسة ميدانية استطلاعية للحصن نفسه وأهميته الجيوبولوتيكية لمنطقة إبّ من ناحية الموقع والحصانة وقابليته على استيعاب كميات كبيرة من المؤن والسلاح والماء لدرجة انه لم يتمكن قائد عسكري من اقتحامه بالقوة ، إلا بالحصار الطويل الأمد أو الخديعة السياسية. ومنها حصار الطغتكين الأيوبي للوالي المتمرد على سلطة الأيوبيين زياد بن حاتم بن علي بن سبأ الزريعي الذي استمر سنتين 581 -582هـ / 1185 -1186م . وحصار الطاهريين لمحمد احمد ألسيري عام 870هـ/ 1466م الذي توارث حكم الحصن وبعدان و إبّ عن أجداده حيث حكمته عائلته لأكثر من مائة وخمسين سنة تقريباً منذ أن استقل جدهم الشيخ أبو بكر بن معوضة ألسيري عن حكم الرسوليين أيام السلطان المجاهد ألرسولي عام 722هـ/ 1514م. وحصار الوالي العثماني محمود باشا لمتولي حصن حب علي بن عبد الرحمن ألنظاري عام 969هـ /1563م الذي توارثت عائلته من قبله الحكم فيه لمدة ست وأربعين سنة مستقلين عن الطاهريين والعثمانيين باسم (مملكة بعدان) والتي تضم الحصن وبعدان وإبّ . و حصار الوالي العثماني سنان باشا للإمام علي بن شرف الدين عام 977هـ / 1570م وهو جزء من معركة إبّ .

وفي الفصل الرابع تناولنا حصن التعكر ومدينة جبلة كونهما مرتبطتين من الناحية الإستراتيجية بمنطقة مدينة إبّ التي تفصلها عن مدينة جبلة مسافة قصيرة لاتتجاوز الستة كيلو مترات، ولا شك أن تأسيس مدينة جبلة أيام الصليحيين واتخاذها عاصمة لهم يستوجب البحث فيها وإن كان عمرها السياسي قد انتهى بنهايتهم . وقد ابتدأنا الفصل بحصن التعكر واسمه ومن تولاه قبل الصليحين ، ثم تأسيس مدينة جبلة ووصفها وأسباب اختيارها عاصمة للصليحيين بدلا من صنعاء . وتناولنا بعد ذلك أحداث التعكر وجبلة في عهد الصليحيين وفي العهود الإسلامية اللاحقة وفي التاريخ الحديث حتى قيام الحرب العالمية الأولى . ولكي يكتمل الفصل فقد قدمنا في نهايته دراسة ميدانية لحصن التعكر ومدينة جبلة.

أما الفصل الخامس وهو الأخير فقد خصصناه لتاريخ التعليم ومميزاته وتطوره وفقهائه ومدرسيه في مدينة إبّ ومدينة جبلة وبشكل مفصل ، وابتدأنا الفصل بإعطاء فكرة عن التعليم والاهتمام ببناء المدارس المستقلة في اليمن عموما خصوصاً في عهود الأيوبيين والرسوليين والطاهريين وما آل إلية التعليم بعد ذلك .أما عن التعليم في مدينة إبّ فقد أصبحت هذه المدينة مركز علمياً وتعليمياً مهماً عبر تاريخ اليمن الإسلامي والحديث، بل إن أوليات المدارس المستقلة في اليمن قد أنشئت فيها وفي مدينة جبلة أواخر عهد الصليحيين بجهود شخصية وقبل أن تتبنى الدولة بناء المدارس .ولذلك خصصنا للتعليم في إبّ و جبلة هذا الفصل الذي تناولنا فيه أيضا طرق التدريس والمدرسين والفقهاء ودرجاتهم العلمية والإجازات التي يمنحونها .ومن الملاحظ أن مدينة إبّ قد شهدت بناء العديد من المدارس في العهدين ألرسولي والطاهري. وقد قمنا بالبحث في هذه المدارس وتقديم معلومات وافية عنها وعن المدرسين الفقهاء الذين قاموا بالتدريس فيها . كما خصصنا جانبا من هذا الفصل لتقديم ترجمات للمدرسين والفقهاء في مدينة إبّ حتى مطلع القرن العشرين .كذلك تناولنا مدارس جبلة ومدرسيها الفقهاء بالطريقة والسياق أنفسهما .

لقد وجدنا صعوبة بالغة في الحصول على المعلومات عن تاريخ مدينة إبّ لأنها متناثرة بين المراجع والمصادر ، لذلك أخذت منا هذه الدراسة وقتا طويلا يتجاوز السنة

والنصف . ومع ذلك تيسرت لنا مصادر مهمة كانت عوناً في انجاز هذا الكتاب . ولعل ابرز المراجع التي أفادتنا في الجوانب الجغرافية فيما يتعلق بالمدن والجبال والحصون في منطقة إبّ معجم البلدان للحموي وأحسن التقاسيم للمقدسي وصفة جزيرة العرب والإكليل لأبي يعقوب الهمداني . يضاف إليها مصادر حديثة مثل معالم الآثار اليمنية للسياغي ومعجم البلدان والقبائل اليمنية للمقحفي .

أما في التاريخ الإسلامي فقد اطلعنا على سلسلة من المراجع التي غطت المدة الإسلامية في اليمن عامة وفي مدينة إبّ خاصة ، ومنها كتاب بهجة الزمن في تاريخ اليمن لمؤلفه تاج الدين اليماني المتوفى عام سنة 743هـ الذي ألفه للملك الظاهر أسد الدين بن أيوب الثائر على الملك المجاهد ، وكان والده السلطان المؤيد قد استدعاه من بلاد الشام وعمل معه في منصب ألإنشاء خلال المدة 718 -721هـ حتى وفاة المؤيد . وقد اعتمد عليه أبو الحسن الخزرجي المتوفى سنة 812هـ في مخطوطه العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك ،ومخطوطه الآخر العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية . ومن المراجع الأخرى تاريخ وصاب للحبيشي الوصابي المتوفى سنة 783هـ. ولاشك أن كتاب ابن الديبع المتوفى سنة 944هـ الموسوم قرة العيون بأخبار اليمن الميمون كان من المراجع المهمة لنا بالتكامل مع كتابه الأخر(الفضل المزيد) . ويضاف إلى هذا تاريخ المستبصر لأبن المجاور وتاريخ اليمن الإسلامي للمدة 204 -1006هـ لأحمد المطاع. أما المصادر الحديثة في التاريخ الإسلامي فأبرزها الدراسة الحضارية العلمية لمحمد عبده السروري الموسومة (الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة) فهي تغطي الجوانب السياسية والتعليمية والاجتماعية ، وقد استفدنا منه كثيراً في مجالات عديدة وبالخصوص عن النظام التعليمي في اليمن ليكمل الجهد الكبير الذي قام به المؤرخ اليمني إسماعيل علي الاكوع في كتابه المدارس الإسلامية في اليمن , وكذلك كتاب المشرقي (التعليم في اليمن في عهد الدولة الطاهرية) .ومن المصادر الأخرى الحديثة المهمة , كتاب حسين الهمداني الموسوم (الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن) وكتاب عصام ألفقي (اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام الدولة الرسولية) كما كان للجهد الواضح الذي بذله

محمد عبدالعال احمد في كتابيه (بنو رسول وبنو طاهر) و (الأيوبيون في اليمن) فائدة كبيرة لتغطية هذه الحقبة من تاريخ مدينة إب . ولابد من الإشارة إلى أننا أُفدنا كثيراً من كتاب (اليمن في تاريخ ابن خلدون) الذي حققه محمد الفرح، في تغطية مشاركة قبائل إبّ في فتوح بلاد الشام ومصر والعراق .

من جانب أخر أعانتنا المراجع المتخصصة بتاريخ رجالات اليمن من فقهاء وقضاة ومدرسين وملوك وغيرهم أعانتنا في تتبع تراجم المدرسين في مدارس إبّ وجبلة، ومن هذه المراجع ,كتاب الجعدي (طبقات فقهاء اليمن) الذي ألفه سنة 586هـ وكتاب (السلوك في طبقات العلماء والملوك) لمؤلفه الجندي المتوفى سنة 732هـ و(طبقات صلحاء اليمن) للبريهي الذي غطى القرن التاسع الهجري في عهد الرسوليين والطاهريين ، إضافة إلى محمد بن زبارة الصنعاني صاحب كتب (نبلاء اليمن بعد الألف إلى سنة 1357هـ) و(نبلاء اليمن في القرن بعد الألف إلى سنة 1385هـ) و (نيل الوطر من تراجم رجال اليمن بالقرن الثالث عشر).

إن توافر معظم هذه المخطوطات بشكل كتب محققة يعود فضله إلى المؤرخ اليمني محمد علي الاكوع الحوالي والمؤرخ اليمني عبدالله محمد الحبشي، فكان من الواجب تثمين دورهما الريادي في تحقيق المخطوطات .

وفي تاريخ اليمن الحديث توافرت لنا مصادر مهمة مكنتنا من تغطية تاريخ إبّ خلال حقبتي الحكم العثماني في اليمن والدولة القاسمية حتى قيام الحرب العالمية الأولى . كان من أبرزها كتاب (البرق اليماني في الفتح العثماني) لمؤلفه قطب الدين النهزوالي المكي الذي أرخّ لمدة الحكم العثماني الأول بأمر من الوالي سنان باشا عندما إلتقاه في مكة المكرمة بعد عودته من اليمن ، وقد سلم سنان باشا للمؤلف نسخة من (تاريخ فتح اليمن) باللغة التركية لمؤلفه مصطفى ألرموزي أمير اللواء السلطاني ودفتر دار ممالك اليمن ، فاعتمد عليه وأعاد كتابته بالعربية بطريقة السجع السهل وقد جاءت في الكتاب تفاصيل كثيرة عن معارك مدينة إبّ وحصن حب وأحداثهما. وعموما فان المؤلف قد كان منحازا للأتراك العثمانيين بحكم تكليف سنان باشا له

بكتابته، ولكنه مع هذا في تناوله للأحداث لم يتقاطع مع ذكر الأحداث التي تناولتها مصادر أخرى. أما عن المراجع والمخطوطات المحققة التي اعتمدنا عليها فهي كتاب عمر الطيب بافقيه (تاريخ الشجر وأخبار القرن العاشر) وكتاب يحيى بن علي (غاية الأماني في أخبار القطر اليماني) للمدة 1035 - 1100هـ / 1625 - 162م وكتاب بن علي الوزير (تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر / السابع عشر الميلادي 1045 - 1090هـ/ 1635 - 1680م) وكتاب حوليات يمانية من سنة 1224هـ إلى سنة 1316م أو اليمن في القرن التاسع عشر الميلادي) لمؤلف مجهول . وكتاب (حوليات العلامة الجرافي) للمدة 1307 -1316هـ / 182 - 1900م) . وكتاب حسام الدين أبي طالب (تاريخ اليمن .عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول). ومن المصادر الحديثة المهمة كتاب سيد مصطفى سالم(الفتح العثماني الأول لليمن) وكتاب صادق ألصفواني (الأوضاع السياسية الداخلية لليمن في النصف الأول من القرن التاسع عشر). ولعل من أبرز المؤلفين الذين تناولوا الحكم العثماني لليمن بحقبيته الزمنيتين وصدرت له عدة مؤلفات مهمة عنه حسين بن عبدالله العمري وهي (مئة عام من تاريخ اليمن الحديث 1161 -1264هـ/1748 -1848)و(تاريخ اليمن الحديث والمعاصر922 -1336هـ/1516 -1918م من المتوكل إسماعيل إلى المتوكل يحيى احمد الدين) و(صفة بلاد اليمن عبر العصور من القرن السابع قبل الميلاد إلى نهاية القرن التاسع عشر .نصوص مختارة ومحققة) وهذا الأخير تمّ بالاشتراك مع مؤلفين آخرين . ويمكن القول أن دراساته هذه تعدّ مصدراً أكاديمياً مهماً وموثوقاً لتاريخ اليمن الحديث.

ومن الكتب الأخرى التي قدمت لنا معلومات جيدة عن تاريخ مدينة إبّ الحديث كتاب (حياة عالم وأمير) للمحقق والمؤرخ اليمني الشهير محمد بن علي الاكوع الحوالي . ولاشك إن كتاب المؤرخ اليمني محمد يحيى الحداد الموسوم (التاريخ العام لليمن) والذي يغطي بأجزائه الأربعة تاريخ اليمن القديم والإسلامي الحديث، يشكل أساسا ومنطلقاً للبدء بدراسة تاريخ اليمن.

أما عن كتب الرحلات , فقد كانت عوناً لنا لما سجّله الرحّالة العرب والأجانب عن مدينة إبّ . ويأتي في مقدمتها كتاب الأستاذ أحمد قايد الصايدي الذي ترجم عن الألمانية كتابات الرحالة الدنيماركي نيبور حول اليمن في كتابه (المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن) ولولا هذه المبادرة العلمية لما تمكنا من الاطلاع على كتابات نيبور عام 1763. أما الكتاب الثاني فهو(ملوك العرب) لامين الريحاني الذي زار إبّاً عام 1922وكتب عنها ، وكتاب الشيخ عبد العزيز الثعالبي (الرحلة اليمنية) عام 1924، وكتاب احمد زكريا (رحلتي إلى اليمن) عام ،1936وكتاب نزيه العظم (رحلة في بلاد العربية السعيدة من مصر إلى صنعاء) عام 1937. لقد قدمت لنا كتب الرحلات هذه تفاصيل دقيقة عن مدينة إبّ في وصفها العمراني وأوضاعها الاجتماعية والاقتصادية. ولكي نعزز مشاهدات الرحالة عن مدينة إبّ القديمة فقد قمنا بزيارتها ميدانيا خلال صيف 2004م عدة مرات، كما زرنا حصن حب وحصن التعكر ومدينة جبلة وكتبنا عنها جميعا دراسة ميدانية انعكست في فصول هذا الكتاب .

إن محاولتنا المتواضعة هذه في كتابة تاريخ مدينة إبّ وتوثيقه إنما هي جزء من جهود سبقتنا في تأليف الكتب عن المدن اليمنية ، آملين أن نكون قد وفقنا في تدوين الحقيقة التاريخية وتحليلها بما يخدم تاريخ إبّ العريقة خاصة وتاريخ اليمن عامة . ومن الله التوفيق

المؤلف

أ. د.محمد مظفر هاشم الادهمي

محرم الحرام 1428هـ/ شباط – فبراير 2007م

الفصل الأول

مدينـــــــة إبّ

1 - الموقع والتسمية :

تقع مدينة إبّ القديمة المسورة على ربوة يطل عليها من الشرق سفح ريمان من جبل بعدان . ويفصل بين الربوة التي تقع عليها مدينة إبّ وسفح ريمان وادٍ ضيق تسيل فيه مياه الأمطار يطلق عليه اسم (السايلة)(المرَدْ) وقد أنتشر حالياً البناء على سفح ريمان الذي تلتصق به ربوة تقابل ربوة مدينة إبّ تسمى (المُعَقِّبة) – بضم الميم وفتح العين وكسر القاف – بُنيت عليها بيوت حديثة.

والناظر إلى مدينة إب القديمة المسورة من أعلى جبل بعدان يجدها على شكل مربع غير متساوي الأضلاع، ويوجد حولها حالياً طريق مسفلت من جهتها الشرقية والجنوبية يسمى الدائري الشرقي يربطها بالتوسع في البناء الذي بدأ من سبعينات القرن العشرين في وادي الظهار من غرب المدينة.

تحيط بمدينة إبّ القديمة المسورة جبال مهمة هي جبل بعدان الشامخ الذي يظللها من جهة الشرق. وجبل التعكر الذي يفصله عنها وادي ميتم من جهة الجنوب. وجبل المِسْوَادِ من جهة الجنوب الشرقي بين بعدان والتعكر. أما من جهة الغرب فتطل المدينة القديمة على وادي الظهار الواسع الذي كان سابقاً يزرع حباً (حنطة) وخضروات وفاكهة، وقد امتد إليه البناء الآن. وفوق هذا الوادي جبال مهمة تطل عليه وعلى مدينة إبّ وهي من اليمين إلى اليسار (وأنت تقف باتجاه الغرب وظهرك إلى دار الحكومة عند السور) جبل ربّي وخلفه عزلة (ثَوَب) أسفل (وثُوَبْ) أعلى، ثم عزلتي أُنامر أعلى وأُنامر أسفل ثم جبل وراف وكذلك يمكن مشاهدة جبل مشورة (حصن نَعمْان)، أما من جهة الشمال فتطل المدينة القديمة على وادي السحول.

لقد اتسعت مدينة إبّ الحديثة خارج المدينة القديمة اتساعاً واسعاً في الوديان والربى المحيطة بالمدينة القديمة، ويبدو أن أول اتساع لها كان في منطقة الجَبَّانَة من جهة الغرب والتي ينحدر منها الطريق (شمالاً) إلى السوق المركزي (القديم) . وكان البناء قد بدأ أولاً في مناطق غير زراعية مثل ربوة المنظر وجرافة وجبل ربي وأبلان ودار الشرف وسفوح جبل بعدان (المشهد) ، ثم أنحدر البناء ليشمل ألأراضي الزراعية في وادي الظهار غرباً ابتداءً من سبعينيات القرن العشرين، فخسرت مدينة إبّ ظهيراً زراعياً مهماً كانت تزرع فيه الحبوب والخضروات والفواكه وهو وادي الظهار. ليس هذا فقط بل إن الامتداد العمراني حالياً (ونحن في السنة الخامسة من القرن الحادي والعشرين) قد بدأ يزحف نحو منطقة خصبة أيضاً في الشمال من المدينة القديمة وهو وادي السحول، وكذلك إلى الجنوب عند وادي ميتم.

تتمتع مدينة إبّ بمناخ معتدل صيفاً وشتاءً وتتساقط فيها الأمطار صيفاً بعد الظهر أو في المساء، ولذلك يكون هواؤها لطيفاً ومياهها عذبه وتربتها جيده، تكسو منطقتها المراعي الخضراء صيفاً، ولذلك يطلق على محافظة إب اللواء الأخضر.

تبعد مدينة إبّ عن صنعاء 193 كم جنوباً وترتفع عن سطح البحر 2050 م تقريباً، ومع هذا فهي أقل ارتفاعاً من صنعاء. ويمكن القول إنّ إبّاً تتوسط الطريق بين صنعاء وعدن، وتقع إبّ في جبال سراة اليمن، ولعل أهم الجبال العالية الضخمة القريبة منها إلى الشمال في طريق صنعاء جبل سُمَارة. وإلى الجنوب من إبّ تقع مدينة تعز وتبعد عنها بحوالي 60 كم.

اختلفت المصادر في أصل تسمية مدينة إبّ، فقد ذكر ياقوت الحموي في مخطوطه معجم البلدان أن اسم المدينة هو ((أَبّ بالفتح والتشديد، كذا قال أبو سعيد، والأبُّ هو الزرع، في قوله تعالى (وفاكهة وأبًّا) وهي (بُلَيدةَ) في اليمن، وينسب إليها أبو

محمد عبد الله بن الحسن بن الفياض الهاشمي. وقال ابن سلفه: إبّ بكسر الهمزة))[1] ويضيف أن أهل اليمن يلفظونها بالكسر ولا يعرفون الفتح.

أما ابن منظور في كتابه لسان العرب، فإنه يذهب إلى ما ذهب إليه الحموي في معنى مدينة إبّ – بالفتح والتشديد ((الأبُّ: الكلأ، وعبَّر بعضهم عنه بأنه المرعى. وقال الزجاج: الأبُّ جميع الكلأ الذي تعتلفه الماشية... قال أبو حنيفة: سمى الله تعالى المرعى أبًّا. وقال ثعلب: الأبُّ كل ما أخرجت الأرض من النبات، وقال عطار كل شيء ينبت على وجه الأرض فهو الأبُّ والأبُّ المرعى المهيأ للرعي والقطع))[2]

وجاء في قاموس المنجد أن معنى (أبَّ) الماء والعشب وإنّ إبّاً هي مدينة في اليمن فيها سور قديم ومساجد أثرية، ومن أغنى المناطق الزراعية في اليمن.[3]

إن هذا المعنى لكلمة (إبّ) والتي يلفظها اليمنيون بكسر الهمزة ينسجم مع مناخ إبّ وطبيعتها، فهي مشهورة بوفرة مياهها وأمطارها, ولذلك ذهب بعضهم إلى القول أن أسمها قد اشتق من اسم احد شهور السنة وهو شهر آب (أغسطس) الذي تكثر فيه الأمطار.

من جانب آخر يرى بعض الباحثين أن مدينة (إبّ) حميرية الأصل، وأن أسمها جاء على سياق أسماء المدن الأخرى التي تسمت بأسماء الملوك، يقول المؤرخ اليمني محمد يحيى الحداد إن مدينة إبّ الحالية قديمة قبل الإسلام، ولم يعرف من اختطها ولا تاريخ اختطاطها. ومن الجائز أن تكون قد سميت باسم أحد الملوك اليمنيين قبل الإسلام مثل (أب يثع) و(أب كرب أسعد) شأنها شأن مدينة ذمار ومدينة يريم وغيرهما من المدن اليمنية القديمة[4].وقد يكون هذا الرأي مقبولاً لأن أسماء الملوك اليمنيين قبل الإسلام

---

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق مزيد عبد العزيز الجندي، بيروت 1990، ص ص 84 – 85.

(2) ابن منظور، لسان العرب، بيروت 1988، ص ص 39 – 40

(3) قاموس المنجد في اللغة والإعلام، بيروت 1986.

(4) محمد يحيى الحداد، التاريخ العام لليمن، صنعاء 1986، جـ1، ص ص 88 – 2.وسأرمز له(ألحداد.التاريخ العام).

كانت تبدأ بكلمة (أبّ) مثل (أب يثع) أ, (أَب يَدعْ) و (أب كرب سعد). وكانت أسماء الملوك المعينيين تبدأ أيضاً بكلمة أب مثل (ابليقع) و (اب يكرب) و(أب يدع) كما أن أسماء الملوك القتبانيين تبدأ أيضاً بكلمة (أب) مثل (أب شيم) و(أب عم) و(يدع أب ينوف يهنعم بن ذمار) و (يدع اب غيلان). كما أن هناك مدناً يمنية قريبة إلى الاسم مثل (أبلان)، وهي قرية في ضواحي مدينة إبّ، و (أبْيَن).ويؤكد المقحفي هذا الرأي فيقول إن مدينة إبّ (قديمةالاختطاط ترجع إلى عهد الدولة الحميرية، وفيها من الآثار القديمة مثل الدار البيضاء الحميري) ويضيف أن شهرة مدينة إبّقد ازدادت بعد القرن الرابع الهجري(سم) وكانت سوقاً تجارية لبعدان وطريق صنعاء – تعز(شم).

ومما يعزز هذا الرأي بأنّ مدينة إبّ حميرية الأصل والنشأة ماذكره نزيه مؤيد العظم ، في كتابه رحلة في بلاد العرب السعيده من مصر إلى صنعاء ، والذي زار مدينة إب في رحلة استكشافية له في اليمن عام 1937 ، فقال إنه تجول في المدينة ورأى بنايات ضخمة قد تداعت أطرافها وهي من أيام حمير ومكتوباً على كثير من حجارتها وأبوابها ومنافذها كتابات مطولة بالخط الحميري(له).

إضافة إلى اختلاف الآراء في مصدر اسم مدينة إبّ ومعناها ، فأن هناك خلافاً حول الاسم نفسه، إذ يرى معاصرون نقلاً عن أسلافهم في أبّ، إن اسم المدينة القديم هو (الثجة) ولكن عدداً من الباحثين اليمنيين لا يرون صحة ذلك، فالأكوع في شرحه لاسم الثجة الوارد عند الهمداني في صفة جزيرة العرب يقول ((هي بلدة كانت عامرة في ظاهر جبل التعكر وهي اليوم مزارع وحروث وقد يطلق المعاصرون عن أسلافهم أن الثجة

---

(5) ابراهيم أحمد المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، صنعاء 2002، جـ 1، ص11

(6) قاموس المنجد .

(7) نزيه مؤيد العظم ، رحلة في بلاد العرب السعيدة من مصر إلى صنعاء ، القاهرة ، بلا ، الجزء الأول ، ص290.

مدينة إبّ))[8] أما القاضي السياغي فيقول أن الثجة قد صارت الآن خراباً، وأن في مدينة إبّ داراً مسماة بهذا الاسم، هي دار الثجة لعله نقل إليها من أحجار تلك المدينة القديمة المسماة الثجة فسميت بها الدار[9] .ويؤكد الاكوع هذا الرأي مرة أخرى عند تحقيقه مخطوط الإكليل للهمداني، حيث يقول في هامشه إن ((الثجة، بفتح الثاء المثلثة مشدودة والجيم آخرة هاء، سميت به البلدة الواقعة في الجانب الشرقي من جبل التعكر فوق نقيل نخلان وهي اليوم أطلال وخرائب ومزارع)).[10] ويضيف الحداد أن (الثجة) كانت مدينة قديمة من الجانب الشرقي لجبل المسواد بينه وبين جبل التعكر التابع لبلاد جبلة من لواء إبّ، وفي المنطقة هذه قرية تدعى (الحيثجة) من عزلة (مِعُشَار المسواد)، مديرية جبلة، يعتقد أنها محرفه الاستعمال من (حي الثجة) وهو مؤشر أيضاً إلى موقع مدينة الثجة المذكور. ويقتبس الحداد من السياغي ما ذكرناه آنفاً وكذلك مما كتبه القاضي محمد بن أحمد الحجري في مخطوط ليخلص الحداد إلى القول: أن موقع مدينة الثجة القديمة هو في عرض جبل المسواد من أعلاه، بينه وبين المحمول، ويطل على وادي ميتم من الغرب وعلى وادي نخلان من الجنوب الغربي. وفي منطقتها قرية (الحيثجة) المذكورة المحرفة بالاستعمال من حي الثجة.[11]

وفي كل الأحوال من الصعوبة الجزم برأي قاطع في أصل تسمية مدينة (إبّ) وتاريخ إنشائها. ولكنه ليس من السهولة على الباحث أن يهمل الرأي القائل بعراقة المدينة وقدمها إلى ما قبل الإسلام لأن مناطق المياه والتربة الخصبة هي التي نشأت فيها التجمعات السكانية الأولى للإنسان منذ أقدم العصور، ولا يوجد في اليمن أفضل من

---

(8) الهمداني ،صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي ، صنعاء ، 1990، هامش رقم (5) من صحفة 118 . وسأرمز له (الهمداني ، الصفة).

(9) حسين أحمد السياغي ، معالم الآثار اليمنية، صنعاء ، 1980 ،ص102.

(10) أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، كتاب الإكليل من أخبار اليمن وانساب حمير، حققه وعلق عليه محمد بن علي بن الحسين الاكوع الحوالي، جـ2، ص28 وسأرمز له (الهمداني، الإكليل)

(11) الحداد، التاريخ العام، جـ1، ص ص 88 – 2.

منطقة إبّ لحدوث مثل هذه الظاهرة الحضارية خصوصاً وإن العديد من المدن الآثارية العربية القديمة المسورة قريبة الشبه من مكونات مدينة إبّ فأن كلاً من (مدن هيت وتكريت وأربيل وكركوك) في العراق، أي في الشمال الشرقي لشبه الجزيرة العربية تشبه مدينة إبّ المسورة الواقعة في الجنوب الغربي لشبه الجزيرة العربية، فهي أيضاً تقع على ربوه يحيط بها سور له أبواب ولها تأريخ عريق. و لندرة البحوث عن مدينة إبّ وعدم التنقيب فيها، قد توضح دراسات مستقبلية عراقة هذه المدينة وقدمها في التاريخ.

الموقع الإداري القديم لمدينة إبّ

كانت إبّ تقع في (مخلاف جعفر) وهو تقسيم إداري قديم يضم مدينتي إب وجبلة وجبل بعدان وجبل التعكر .(والمخلاف) هو الموضع الذي تستقر فيه القبيلة في اليمن.. يقول ياقوت الحموي أن كلمة (المِخْلاَفْ) تستعمل عند أهل اليمن، ولكل مخلاف فيها أسم يعرف به، وهو قبيلة من قبائل اليمن أقامت به وعمرته فغلب عليه اسمها، ويضيف الحموي

((أن ولد قحطان لما اتخذوا أرض اليمن مسكناً وكثروا فيها لم يسعهم المقام في موضع واحد فجمعوا رأيهم على أن يسيروا في نواحي اليمن ليختار كل بني أب موضعاً يعمرونه ويسكنونه .وكانوا إذا ساروا إلى ناحية واختارها بعضهم تخلف بها عن سائر القبائل وسماها باسم أبي تلك القبيلة المتخلفة فيها،فسمّوها مخلاف لتخلف بعضهم عن بعض فيها))[12]

وورد اسم المخلاف في الكتابات الأثرية القديمة على الاحجار[13].والمخلاف ليس له حدود ثابتة بارزة المعالم تميزه من غيره من المخاليف الأخرى تمييزاً تاماً، فقد يكون في زمن ما واسعاً يشمل مقاطعات كثيرة، وقد تضيق رقعته وتقتصر على عدد محدود من

---

(12) الحموي المصدر السابق، ص ص 54 – 55.

(13) إسماعيل ألأكوع، " مخاليف اليمن عند الهمداني " ، بحث في كتاب "الهمداني لسان اليمن" دراسات في ذكراه الألفية، بيروت 1986، ص ص 25 – 26.

القرى في زمن آخر، وقد يدخل تحت المخلاف عدد من المخاليف. فمخلاف جعفر(يرـ) يشمل عدداً من المخاليف هي مخلاف السحول(سمـ) ومخلاف ذي الكلاع(شمـ) ومخلاف بعدان. وكان يعد في مخلاف السحول أحياناً مخلاف ذي الكلاع. ويدخل في مخلاف ذي الكلاع مخلاف نعيمة (مخلاف صهبان).(همـ) ويضيف ابن المجاور توضيحاً فيقول ((كما يقال أعمال اليمن ويقال مخلاف تعكر ومخلاف جعفر أي من أعمال تعكر وأعمال جعفر. والمخلاف أعمال كل حصن بذاته يكون صعوداً أُدخلت تلك الأعمال إلى ذلك

---

(14) تختلف المصادر في مصدر الاسم، فيرى بعضهم أن التسمية هي نسبة إلى (جعفر) مولى محمد بن عبد الله بن زياد بن أبيه الذي أرسله الخليفة المأمون سنة (205هـ) لمعالجة الاضطرابات في اليمن، حيث تمكن جعفر من إخضاع منطقة الجبال ونسب إليه المخلاف أنظر: أبن المجاور، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمّاة تاريخ المستبصر، صححها أو سكر لو فقرين، بيروت 1986, ص67،كذلك: عصام الدين عبد الرءوف ألفقي، اليمن في ظل الإسلام منذ فجره إلى قيام الدولة الرسولية، الكويت 1982، ص ص 88 – 2 .. بينما يرى آخرون أن المقصود بجعفر هو الأمير جعفر بن إبراهيم بن ذي المنار المناخي لا غيره, انظر، الحداد، التاريخ العام لليمن – اليمن في موكب الإسلام، جـ2، ص98 وهامشها.... وكذلك: أحمد بن محمد المطاع، تاريخ اليمن الإسلامي في سنة 204 إلى سنة 1006هـ تحقيق عبد الله محمد الحبشي، بيروت 1986 ص 58.

(15) السحول وادٍ ذو زرع يقع إلى الشمال من مدينة إب، وسميَّ في التاريخ مخلاف السحول نسبة إلى السحول بن سواده بن عمرو بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ. والسحول كما يقول الحموي، قرية من قرى اليمن تنتج ثياب قطن بيض تدعى السحولية. ونقل البخاري في صحيحة عن قول عائشة أن النبي صلى الله علية وسلم كفن في ثلاثة أثواب بيض سحوليه, أنظر: الحموي، المصدر السابق، جـ3، ص220

(16) مخلاف ذي الكلاع، نسبة إلى بني وحاظه بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير الأصغر, ومقر ذو الكلاع هو وحاظة من ناحية حبيش بمحافظة إبّ، وقد سيطروا على مخاليف المنطقة وأصبح لهم شأن في نشر الرسالة الإسلامية في بلاد الشام والعراق.

(17) إسماعيل الاكوع، المصدر السابق، ص ص 25 و 27. وهناك قرية من قرى بيوت العدن شمال إب جنوب السحول تسمى (نعيمة) وتنسب إلى وادي السحول.

الحصن فما كان كل حصن من القرى والزراعات فهو بخلافه، والمخلاف عند أهل اليمن عبارة عن قطر واسع ولا تُعرف المخاليف إلا بجبال اليمن وأما في التهائم فليس يعرف)).(□□)

2 - سور مدينة إب وأبوابها

لم تتناول المصادر التي أطلعنا عليها أية تفصيلات عن سور إبّ وأبوابه، وإنما أكتفت بالإشارة إليه، فالرحّالة الدنمركي نيبور الذي زار اليمن عام 1763م، لم يهتم بوصف سور إبّ قدر اهتمامه بساقية الماء، واكتفى بالقول إنّ إبّاً تقع على مرتفع (يحيط بها سور وأبراج). ولم يذكر أمين الريحاني الذي زار إبّاً عام 1922/1340م في كتابه (ملوك العرب) سوى أنها مدينة مسورة، ومثله فعل المفكر التونسي عبد العزيز الثعالبي عندما زارها 1924م وألف كتابة (رحلة يمنية). وكذلك أحمد وصفي زكريا في كتابة (رحلتي إلى اليمن) الذي زار إبّاً عام 1936م كما إن الباحثين اليمنيين قدموا معلومات مقتضبة عن السور وأبوابه مما دفعنا إلى القيام بزيارات ميدانية إلى المدينة القديمة لتقديم وصفٍ للسور وأبوابه(□□)

تبدو مدينة إبّ المسورة للناظر إليها من أعلى جبل بعدان أقرب إلى شكل مربع غير متساوي الأضلاع، وهو ما تكشفه الصور الفوتوغرافية التي التقطت للمدينة المسورة عام 1960م قبل توسعها. فسور المدينة ليس مدوراً، وهو مبني من الحجر المنحوت. وعن هذا السور كتب إلينا الأخ محمد علي صالح الصهباني الإبّي، وهو أحد المهتمين بتاريخ إبّ، قائلاً ((إن السور كان يتوسع كلما زحف العمران، وهناك آثار تدل على ذلك وآخر سور أقيم في مدينة إبّ هو الذي تم تجديده في سنة 1120هـ أي في القرن الثامن عشر الميلادي، وقد قام بتجديده كل من الوزيرين محسن بن علي الحبيشي الحريبي وأخيه

---

(18) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، صححها أو سكر لو فقرين، بيروت 1986، ص ص 169 – 170.

(19) رافقنا في هذه الزيارات التي كانت الأولى منها يوم الخميس 2004/8/12 تلميذنا الأخ عبد الفتاح محمد عبده العبيطري ووالده اللذان ساعدانا مشكورين في تسهيل عملية الاستطلاع.

الوزير صالح اثر هجوم قبيلة يافع على مدينة إبّ ونهبهم لها)) وبقاياه مازالت قائمة إلى الآن.وللسور أربعة أضلاع وقد ابتدأنا بالضلع الجنوبي الذي يقع فيه (باب سنبل).

الضلع الجنوبي:

يبدأ الضلع الجنوبي من نوبة (برْج) (نوبة الحراسة) تربطه بالضلع الشرقي ويمتد إلى (الباب الجديد) أو (باب الحكومة) الذي يشكل نقطة التقاء الضلع الجنوبي بالضلع الغربي. وتوجد في الضلع الجنوبي أربع نوبات (أبراج). الأولى مع بدايته والثانية في وسطه تقريباً حيث يتحدب الضلع قليلاً وهو يتجه إلى نهايته عند الباب الجديد.. أما النوبتان الأخريان فهما تضمان (باب سنبل). وعند قياسنا لطول هذا الضلع وجدنا أن المسافة المحصورة من بدايته إلى نوبة باب سنبل المطلة على الشارع هي (87) سبعة وثمانون متراً، ويبلغ عرض النوبة(12) أثني عشر متراً. أما المسافة من هذه النوبة إلى النوبة الثانية التي يتحدب عندها السور فهي (60) ستون متراً يضاف إليها عرض النوبة البالغ (9.40) تسعة أمتار وأربعين سنتيمتراً. وبذلك يكون طول المسافة من بداية الضلع الجنوبي إلى النوبة الاخيرة فيه عند تحدبه هو(168.40) مائة وثمانية وستون متراً وأربعون سنتيمتراً. أما المسافة من التحدب إلى نهاية الضلع عند الباب الجديد فتبلغ (144.60) مائة وأربعين متراً وستين سنتيمتراً. فيكون طول الضلع الجنوبي بكامله (313) ثلاثمائة وثلاثة عشر متراً

ولابد من الإشارة إلى أن هناك فتحة في الضلع الجنوبي قبل نهايته بمسافة (60) ستين متراً تسمى (فتحة رأس الجَاءَة) وعرضها حالياً (11) أحد عشر متراً ويقول السكان المحليون إنها كانت عبارة عن فتحة نتيجة تهدم في السور الذي لم يبق منه شيء الآن في هذا الجانب وحلت محلة جدران البيوت، وأنها قد أصبحت مدخلاً للعامة من الناس بعد بناء(الباب الجديد) الذي يسمونه (باب الحكومة) المخصص للموظفين والمسئولين الحكوميين.

باب سنبل:

لم يبق من باب سنبل سوى النوبتين. أما الباب الخشبي فغير موجود كما أن منطقة الباب قد غطتها أماكن سكن متواضعة بحيث تجد صعوبة في تمييز معالم المكان التاريخية لولا ارتفاع النوبتين وضخامتهما, ولقد استرعى انتباهنا طريقة بناء الباب، فهي تشبه في فكرتها وتصميمها أبواب بغداد المدورة التي سميت (الزوراء) لأن أبوابها كانت (مِزوَرَّة) وذلك لأغراض دفاعية عسكرية. و(باب سنبل) هو أيضاً مِزوّر، فالمتجه إلى السور من الخارج لا يواجه باب سنبل مباشرة، وإنما عليه أن يستدير يميناً عند وصوله السور لكي يواجه الباب, وهذا تصميم معماري عسكري يمكّن المدافعين الرابضين على السور وفي (مزاغله و مزاغل) (الفتحات) النوبة من منع المهاجم من الوصول إلى الباب بسهوله (انظر مخطط باب سنبل وصورة الباب في وضعه الحالي في الملاحق)و قدلاحظنا أن الباب الكبير وباب الراكزة وباب النصر قد بنيت بالطريقة نفسها. والفرق بينها وبين أبواب بغداد المدورة هو أن الأخيرة كانت تجري حولها ساقية واسعة تأخذ الماء من نهر دجلة لتشكل عائقاً وضماناً لصد المهاجمين على المدينة. ويقال إن باب سنبل نسبة إلى الأمير سنبل الصادق أحد قادة جيش الإمام المنصور حسين بن المتوكل قاسم.

الضلع الغربي وفتحة الْمخلْوُلَة والباب الكبير:

يشكل (الباب الجديد) أو (باب الحكومة) الذي يقع في الزاوية الجنوبية الغربية من السور نقطة التقاء الضلع الجنوبي بالضلع الغربي من سور مدينة إبّ، أي أن بداية الضلع الغربي من السور تبدأ مع هذا الباب مباشرة والذي لم يعد له أثر سوى طريق بعرض (10) أمتار.وقد حددت مديرية الآثار اليمنية مكان أحد مساند الباب على الأرض، حيث توجد بنايات عثمانية حكومية قديمة مثل دار الحكومة يمتد أمامها السور. والضلع الغربي من السور مازالت أجزاء كبيرة منه قائمة خصوصاً من بداية الضلع عندفتحة الباب الجديد وإلى مسافة (120) مائة وعشرين متراً. وإذا ما نظرت إلى هذا الجزء من السور من خارجة فستجد خمسة مساند صخرية ضخمة مقوسة

الشكل تدعم السور وتقوّيه وتقف هذه المساند على طريق حجري تقع تحته بقايا سمسرة تسمى (سمسرة الصنعاني) والسمسرة هي (خان) للمسافرين ودوابهم بما فيها الجمال وتقع خارج السور في أسفله.

أما الباب الكبير الذي يقع على مسافة 149م من بداية الضلع الغربي فلم يبق منه شيء سوى فتحة يمر منها طريق توضح أنه قد بني على الطراز نفسه الذي بني عليه باب سنبل في فكرته الدفاعية (انظر المخطط في الملاحق) وقد زودنا أحد المواطنين بصورة الباب الكبير قبل هدمة في الستينات من القرن الماضي وفيها يظهر الباب الخشبي ذو الفردتين او كما يسميها الاهالي (درفتين)* والبناء المقوس المحيط به من الاعلى (انظر الصورة في الملاحق) بعد الباب الكبير يستمر الضلع الغربي للسور بالامتداد، لكنه من الصعب السير في خارجة حيث الوادي، كما أن المساكن بنيت عليه وأصبحت جزءاً منه أو أن السور أصبح جزءاً منها ولذلك لابد من السير مع السور من الداخل حيث يوجد زقاق ضيق مبلط بالحجر المنحوت وهو نموذج للطرق الضيقة التي تتميز بها مدينة إبّ القديمة، ويقود هذا الزقاق الضيق إلى (فتحة المخلولة) وتبلغ المسافة من فتحة الباب الكبير إلى فتحة المَخْلُولَة (171.80) مائة وواحداً وسبعين متراً وثمانين سنتيمتراً... إن فتحة المخلولة هذه ليست مجرد فتحة في السور أحدثتها تداعياته مثل فتحة رأس الجاءه، وإنما هي منفذ لسيول الأمطار إلى خارج المدينة علماً أن هناك آثاراً (نوبة) موجودة إلى يمين الفتحة ويقول بعض السكان إن الفتحة كانت أيضاً منفذاً لمرور الحيوانات التي تنقل الحبوب من الوادي في المواسم، ولذلك تكون عليها حراسة دائمة.

---

* الدرف : هو اسم لمغلق الباب الأساسي للمنزل أو لأبواب غرفة. وارتبطت هذه التسمية بنوع المغلق (الباب) الذي عادة ما يكون من الخشب ويتكون من فردة واحدة أو فردتين ، وإذا كان البيت كبيراً فبابه الرئيس يغلق بفردة خشبية كبيرة تسمى (القرخ) أي المغلق الكبير ، ومداخل الفردة الكبيرة (فردة أو مغلق صغير) هي التي تفتح أو تغلق دائماً وتبقى الفردة الكبيرة مغلقة إلا عند الحاجة لإدخال أو إخراج الأشياء الكبيرة من وإلى الدار. (الهامش للدكتور عبدالله الفلاحي).

يستمر الضلع الغربي للسور بعد فتحة المخلولة بالامتداد لمسافة (133.20) مائة وثلاثة وثلاثين متراً وعشرين سنتيمتراً ليلتقي بالضلع الشمالي من السور. وبذلك يكون طول الضلع الغربي لسور إبّ من بدايته عند الباب الجديد ودار الحكومة إلى التقائه بالضلع الشمالي (425)م أربعمائة وخمسة وعشرين متراً.

الضلع الشمالي وباب الراكزة:

وهو من أقصر أضلاع سور مدينة إبّ يطل على وادي السحول، ولم يبق منه إلا أجزاء قليلة نتيجة تشييد البيوت. ولكن أهم ما يميزه هو (باب الراكزه) الذي يقع على بعد (200) مائتي متر من بداية هذا الضلع، وهو الباب الوحيد الذي مازال قائماً عل الرغم من صغر حجمه قياساً بالأبواب الأخرى. ويبلغ عرض فتحة باب الراكزة (1.5) متراً ونصف المتر وارتفاعها (2.40) متران وأربعون سنتيمترا. أما الباب نفسه فمصنوع من الخشب بفردتين (درفتين) تفتحان إلى الداخل، حيث أن أهل إبّ يسمون فردة الباب (درفة) وكل درفة من هذا الباب عرضها (75) خمسة وسبعون سنتيمتراً وارتفاعها أعلى من فتحة الباب بعشرة سنتيمترات أي (2.50) متران ونصف، لأن الباب عندما يغلق ينطبق في أعلاه على خشبة مثبتة في أعلى الفتحة عرضها عشرة سنتيمترات. ويوجد في أعلى كل (درفة) وأسفلها(مزلاج) يطلق عليه أهل إبّ أسم (الربعة) أو (المغلقة) حيث كانت أبواب المدينة تغلق عند العشاء وتفتح صباحاً يومياً. ويعلو الباب الخشبي عقد من الحجر مقوس على الطريقة الإسلامية، ويمتد جانبا القوس نزولا إلى منتصف الباب الخشبي تقريباً (انظر الصورة في الملاحق).

إن باب الراكزه قد أصبح الآن واطئا قياساً بالمباني والأزقة نتيجة البناء المتراكم عبر السنين داخل المدينة، لذلك فقد بني له من الداخل (عقبة) قصيرة ذات أربع مساطب للنزول إليه والخروج منه. ومن الملاحظ أن طريقة بناء باب الراكزة هي نفسها التي بني عليها باب سنبل والباب الكبير من أجل مراعاة الجوانب الدفاعية العسكرية عن المدينة .ويشتهر باب الراكزة بـ (عقبته) من خارج السور، وهي مدرج صخري يصل المدينة بوادي الذهوب والسحول. ويبلغ عدد مدرجات العقبة (44) أربعاً

وأربعين مدرجة، وهي تنزل الآن، إلى الشارع الحديث المسفلت الذي يدور حول المدينة المسورة(انظر الملاحق) ، ويقول السيد محمد علي الصهباني الأبي أنه سمي باب الراكزة لأنه قائم على رأس العقبة الصعبة التي لا تستطيع الجمال الصعود إليها إلا الإنسان والحمير ويصعد إليه من وادي الذهوب والسحول.

ويستمر الضلع الشمالي بامتداده بعد باب الراكزة بمسافة (83)م ليلتقي بالضلع الشرقي من السور عند دار الحكيم الذي تلتصق به (نوبة) التقاء الضلعين. وبذلك يكون طول الضلع الشمالي بكامله (283) مائتين وثلاثة وثمانين متراً.

الضلع الشرقي وباب النصر:

عندما تصل إلى دار الحكيم ونوبته يطل عليك من جهة الشرق سفح ريمان من جبل بعدان الشامخ، ومعه يبدأ الضلع الشرقي من سور إب، ويبلغ طوله حتى نوبة باب النصر (234) مائتين وأربعة وثلاثين متراً، ولم يبق من باب النصر سوى نوبة واحدة عرضها (7) سبعة أمتار وأخرى تقابلها هي مهدمة، وأصبحت فتحة الباب عبارة عن شارع عرضه (8) ثمانية أمتار، وتحولت النوبة إلى بقالة ومكان للسكن شأنها شأن معظم النوبات (انظر الصورة في الملاحق). وعند تدقيقنا في موقع الباب من السور وجدناه أيضاً (باباً مِزوّراً) مثل باب سنبل والباب الكبير وباب الراكزة, لكننا لم نستطع الحكم على الباب الجديد(باب الحكومة).

ثم يستمر امتداد الضلع الشرقي بمسافة (180)مائة وثمانين مترا بعد باب النصر إلى نهايته عند النوبة ألتي تربطه بالضلع الجنوبي والذي ابتدأنا منه. ولابد أن نشير إلى أن هناك نوبة أخرى تتوسط المسافة تماماً بين باب النصر ونوبة نهاية الضلع الشرقي, وبذلك يكون طول الضلع الشرقي من سور إبّ(429) أربعمائة وتسعة وعشرين متراً. وعليه يكون طول سور إبّ بكاملة على النحو الآتي: -

1 - الضلع الجنوبي 313 م
2 - الضلع الغربي 425م

3 - الضلع الشمالي 283م

4 - الضلع الشرقي 429م

المجموع 1450م ألف وأربعمائة وخمسون متراً

وهذا يعني أن محيط سور مدينة ابّ الحالي حوالي كيلومتر ونصف حسب قياساتنا االميدانية .

الساقية: -

وهي ساقية ماء مدينة إبّ، وتبدأ من منطقة جامع المشنة في سفح ريمان من جبل بعدان لتتجه إلى الضلع الشرقي من سور المدينة عند باب النصر وتدخل المدينة لتوزع الماء إلى الجامع الكبير القريب من باب النصر و لبقية المساجد والمدارس والحمامات(انظر الملاحق)، وما زالت بقايا خزان ماء وآثار من ساقية تظهر في سفح ريمان. وقد حدثنا أحد سكان إب القديمة وهو السيد ناجي يحيى حسن، فقال إنه كان قد شاهد الساقية عام 1963 قبل هدمها، وكانت تصل إلى الجامع الكبير وتمتد عند الضلع الغربي وتنزل عند منطقة (الحمزاوي) وهو سوق الذهب حالياً في السوق المركزي (شارع الأوقاف)حالياً، وكان هذا الفرع من الساقية ينتهي بحوض كبير طوله حوالي ثلاثة أمتار مغطى بقبة يأخذ الناس منه الماء وفي جوار القبة حوض ماء آخر مكشوف لسقاية المواشي والدواب.

كانت الساقية التي تأتي من سفح ريمان قد بنيت على شكل عقود متواصلة (قناطر) من السفح إلى المدينة، وتجري فوق هذه العقود الساقية، و وعدها السياغي (آيةفي القدرة على الأعمال الجبارة في البناء).وقد هدمت هذه الساقية بعد الاستغناء عنها في مطلع الستينات من القرن العشرين حينما اراد بعضهم الاستفادة من أحجارها أو بيعها أو البناء بها .ويحمل الباحثون اليمنيون(مكتب أوقاف إبّ)مسؤولية هدم الساقية وعدم الاهتمام بإبقائها والحفاظ عليها. ويضيف السياغي : وكذلك بعض المعاصرين من أهل المدينة، أنه قد بني أيضاً (دَبَبَاً) من تحت السور إلى السائلة العظمى

لدخول الماء إلى المدينة كي لا يقطعه عدو عنها(لج بر) وقد لا حظنا أيضاً وجود فتحة إلى جانب (النوبة) الثانية في الضلع الشرقي المقابل لسفح ريمان، هي مدخل لدهليز مغطى تحت الأرض كان يستخدم أوقات الحصار لجلب المياه من السائلة في الوادي الذي يقع بين الربوة التي بنيت عليها مدينة إبّ وسفح ريمان من جبل بعدان.

أما عن إنشاء هذه الساقية، فتختلف المصادر اليمنية في ذلك، فهناك من يقول إن الملكة السيدة أروى قد أنشأت هذه الساقية أيام حكم الصليحيين في القرنيين الخامس والسادس الهجري ، ولكن غالبية الباحثين تجمع على أنها شيدت في عهد آخر ملوك الطاهريين وهو السلطان عامر بن عبد الوهاب(□ بر) الملقب بالظافر الثاني الذي قتل عام 923هـ/ 1517م في معركة مع المماليك الذين غزو اليمن(بر بر) بمعنى أن الساقية بنيت في مطلع القرن السادس عشر الميلادي أي قبل تجديد السور لآخر مره بقرنين من الزمن ويُذكر أن السلطان عامر بن عبد الوهاب قد قام أيضاً بتعبيد أزقة مدينة إبّ بالحجارة.(تر بر) وبنى فيها حماماً ومسجد المشنة الذي تبدأ بالقرب منه ساقية مدينة إبّ.

لقد لاحظنا أن المؤرخ اليمني إسماعيل بن علي الأكوع، قد ذكر في كتابه (المدارس الإسلامية في اليمن) أن الساقية قد بناها الفقيه شجاع الدين عمر بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد ألنظاري بعد أن اشترى دوراً من أهل إبّ ودفع إليهم أثمانها و بنى العقود وحمل عليها ساقية الماء. و مات قبل أن يكمل العمل فأكمله أخوه

---

(20) السياغي، المصدر السابق، ص ص 90 – 91

(21) الحداد، التاريخ العام، جـ1، ص ص 90 – 91، جـ4، ص ص 21 – 22؛ السياغي. المصدر السابق، ص

(22) محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما 628هـ – 923هـ/ 1231 – 1517م. الاسكندرية 192، ص ص 281 – 282.

(23) الحداد، التاريخ العام، جـ4، ص ص 21 – 22؛ السياغي، المصدر السابق، ص.

شمس الدين الذي أوصل الماء إلى المدارس والمساجد في المدينة.[يربر] ولم يذكر الاكوع تاريخ البناء. وعند حسابنا للسنوات وجدنا أنّ جدهما جمال الدين محمد بن محمد بن معان ألنظاري الذي بنى المدرسة النظارية في مدينة إب كان قد توفي سنة 921هـ[سمبر] أي قبل وفاة السلطان عامر بن عبد الوهاب بسنتين، وهذا يعني أنهما عاصرا عهد السلطان عامر. وعلية فإنّ الأقرب للحقيقة أن السلطان عامر بن عبد الوهاب قد كلف الفقيه شجاع الدين ألنظاري بتشييدها، لان آل ألنظاري كانوا ينوبون عن الطاهريين وعمالاً لهم في مدينة إبّ. وهم من العوائل الغنية والمعروفة فيها.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر قام الفقيه التاجر محمد بن عبد الله باسلامة بترميم ساقية مدينة إبّ، و قام أيضاً عام 1286هـ/ 1871م ببناء الجناح العدني من مؤخرة الجامع الكبير في إبّ، حيث يذكر المؤرخ اليمني محمد بن علي الاكوع الحوالي في حديثة عن مناقب وأعمال باسلامة أنه رمم ساقية إب التي تأتي من عين الخَطَّابي المنسوبة إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) والواقعة في عزلة المويه من جبل ريمان ومخلاف بعدان ((وكان ترميم خبير عارف بحيث جرها في لحف الجبل وأبعدها عن عوادي السيول فأنتفع الناس بها عامة شرباً لهم وسقياً لمواشيهم والجوامع وللمسجد))[شمبر].

وفي أواخر النصف الأول من القرن العشرين، أي في سنة 1366هـ/ 1948م ابتكر أمير لواء إبّ أحمد بن أحمد السياغي طريقة أكثر احترازاً من سابقه باسلامة حين حفر خزاناً للماء أعلى بيوت نُمارَةْ ومسجد المشنة ومدَّ أنابيب وقنوات من الخزان إلى المدينة وإلى كل بيت ومسجد ليتم توزيع المياه لجميع أهل المدينة ولضمان نظافة المياه

---

(24) إسماعيل بن علي الاكوع، المدارس الإسلامية في اليمن، دمشق 1980، ص255.

(25) المصدر السابق، ص 255.

(26) محمد بن علي بن الحسين الاكوع الحوالي، حياة عالم وأمير، يحيى بن محمد الارياني اليحصبي وإسماعيل بن محمد باسلامة الكندي ، صفحة مجهولة من تاريخ اليمن المعاصر، صنعاء 1987،ص ص 172 – 173.

وعدم تلوثها(ﻫ بر) ويبدو أن هذا المشروع قد أنهى مهمة الساقية فاستغنى أهل مدينة إبّ عنها.

ولابد من الإشارة الى أن الرحّالة الدنماركي نيبور والبعثة المرافقة له الذي زار اليمن في النصف الثاني من القرن الثامن عشر حين بدأ رحلته داخل اليمن في 22 فبراير – شباط 1763م، قد شاهد الساقية في مدينة إب وقال يقع في شرقي المدينة جبل بعدان الذي ينساب منه الماء في قناة فوق جدار طوله (150) خطوه مزدوجة، أي حوالي (250) متراً، تمتد إلى جامع كبير ومنه إلى المنازل وإلى المساجد الأخرى. ولأن الجامع الكبير يقع في مكان منخفض، يتم رفع المياه من خزان الجامع إلى خزان آخر مرتفع، بطريقة المسنى، ومن الخزان المرتفع ينساب الماء إلى المدينة.(□ بر)

إلا أن ما ذكره نيبور في موضوع الهدف من بناء المسنى يختلف عما شاهده المعاصرون لهذا المشروع ومنهم الباحث محمد علي صالح الصهباني الإبّي ، حيث ذكر في كتاباته التي قدمها لنا مشكوراً أن بناء المسنى لم يكن الهدف منه إيصال الماء إلى الجامع الكبير لأنه لم تكن هناك مشكلة في ذلك فالماء يصل إليه عبر الساقية . ولكن عندما بنى الأمير أسد الدين المدرسة الأسدية في عهد الرسوليين وجد صعوبة في إيصال الماء إليها لأنها بنيت على مرتفع ، كما أن بناءها كان عالياً قياساً بما جاورها ولذلك أنشأ أسد الدين المسنى لإيصال الماء إلى المدرسة ، حيث قام ببناء بركة ملاصقة للجامع الكبير من جهته الجنوبية ، وبنى في جانب البركة من غربها حائطا ضخما مرتفعا ، في أعلاه حوض تذهب منه ساقية إلى بركة المدرسة الأسدية ، بحيث أصبح هذا الحوض أعلى من بركة المدرسة الأسدية بعدة أذرع . وثبت في أعلى الحوض دعامتين تمر منهما

---

(27) الاكوع الحوالي، حياة عالم وأمير، ص 173.

(28) أحمد قايد الصايدي، المادة التاريخية في كتابات ((نيبور)) عن اليمن، بيروت 1990، ص ص 195 – 160؛ أنظر أيضاً: احمد قايد الصائدي ''المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن،، بحث في مجلة دراسات يمنية، فبراير – مارس 192، العدد 5، مجلة تصدر عن مركز الدراسات والبحوث اليمني. صنعاء، ص ص 61 – 62.

حبال في أطرافها قرب جلدية لملء الماء . ويقوم ثوران بسحب الحبال فترتفع قرب الماء من البركة الملاصقة للجامع الكبير إلى الحوض ، ثم يقوم مسؤول عن السقي بتفريغ القرب في الحوض ، ويعود الثوران لتهبط القرب مرة أخرى إلى البركة لتمتلئ بالماء وترفع إلى الحوض ، وتتكرر هذه العملية طول النهار . وعند ما تكتفي المدرسة الأسدية من الماء يقوم مسؤول أخر بفتح فرع أخر من الساقية لنقل الماء إلى مساجد في المدينة . ولكل مسجد ساقية ، وله مدة محددة للتزود بالماء . والمساجد التي تعتمد على المسنى في التزود بالمياه هي الجلالية العليا والأسدية ومسجد علي بن عمر الأزهري الذي سمي لاحقاً مسجد السلاط ، ومساجد الحشيش والبيحاني والكاظمي ومدرسة الأمير غازي الجلالية السفلى ومدرسة البدرية .

لقد قدم الباحث محمد علي صالح الصهباني الإبّي شرحا تفصيلياً في كتاباته إلينا عن ساقية إبّ لأنه عايشها وشاهدها بأمّ عينيه ، وبهذا الوصف يكون الأخ الصهباني قد أكمل ما أغفله الأخرون ممن كتبوا عن الساقية فيقول : - إن المياه والينابيع المتكونة بفعل الأمطار الغزيرة تتسرب من قمم عزلة الموية إلى السايلة ، وهناك تقع عيون ، منها عين الخطابي الشهيرة وعين قذف وغيرهما والتي تتزود منها مدينة إبّ بالماء عبر الساقية .

ويضيف الصهباني أن السيول قد كشفت بفعل انجراف التربة عن أنابيب من الخزف كانت تستخدم لنقل الماء إلى المدينة قبل بناء الساقية ، ربما تعود إلى ثمانمائة عام ، وهذه الانابيب أو القطع الأنبوبية تلتصق بمادة النورة التي وضعت من تحتها وفوقها وجوانبها . و لعلها أنسدت وأهملت بفعل الطين والشوائب التي يحملها السيل أثناء موسم الأمطار . وقد عثر على أثار هذا الأنابيب الخزفية تحت جبل النقاشة جوار الطريق القديم ، كما عثر على بعض منها في مقبرة المجعار غرب المشنة عندما حفر الأمير السياغي لدفن الأنابيب الحديدة المائية التي قام بإنشائها لاحقاً .

أما عن الساقية ، فيقول الصهباني ، إنها كانت ساقيتين واحدة تحملها القناطر أو العقود ، والثانية في أسفل العقود على الأرض . حيث كان الماء يتجمع في

ساقية تبدأ من السائلة في محل يقال له المرد ويقع في الثلث الأخير من مستوى إرتفاع جبل بعدان ،ومن هناك تمتد هذه الساقية ا لمبنية بالحجر والنورة إلى مرتفعات الشهد ثم تهبط إلى المشنة . ومن المشنة تبدأ العقود الحجرية (القناطر) حيث تنقسم الساقية إلى قسمين واحدة في الأعلى تسير على العقود والثانية في أسفلها . وهذه الثانية ، أي الأرضية ، تغذي مورد ماء المدينة تحت أحدى نوب الحراسة في سور المدينة القائمة على باب النصر ، وتتفرع منها عند مورد ماء المدينة ساقيتان واحده تتجه نحو الشمال والأخرى نحو الجنوب . وتغذي ساقية الشمال المساجد الواطئة في المدينة ، وتمتد إلى خارج السور لتزود بعض المساجد بالماء مثل الحمزاوي ، وكذلك الحوض المعد لسقي الأغنام . كذلك أنَّ ساقية الجنوب تغذي بقية المساجد الواطئة بالماء مثل مسجد الجاءة . ومن هذه الساقية مد السياغي ساقيته إلى سجن الزاجر الذي كان في أسفل الجبانة جهة الجنوب .

أما الساقية المرتفعة القائمة على القناطر أو العقود ، فهي محكمة البناء وتمتد إلى الجامع الكبير والمسنى ، وفي العهد العثماني تم تأسيس حنفيات ضخمة ليحصل الناس على الماء منها ويأتي الماء إلى الجامع الكبير عبر الساقية. ولم يبق من أثار هذا النظام المائي سوى أجزاء بسيطة من ساقية المسنى وجزء من ساقية حارة المدقة التي كانت تغذي بالمياه جامعي المخلطة والصامت بالجاءة ، وهناك بقايا للحنفيات في بعض الحارات.

وأخيراً لا بد من الإشارة إلى أن مدينة إبّ لم يكن فيها غير حمام واحد يتزود بالمياه من الساقية وهو وقف على الجامع الكبير ، ويقال إن الأمير أسد الدين الغساني قد شيده في القرن السابع الهجري . وفي السنوات العشر الأخيرة بُني في مدينة إبّ حمامان ، أحدهما في ضاحية إبّ من جهة الغرب والتي تسمى وادي شعب المنيل ، والحمام الثاني بُني في الضاحية الشمالية غرب عقبة الذهوب لوجود الآبار الإرتوازية .

إن إنشاء الساقية في القرن السادس عشر وهدمها في النصف الثاني من القرن العشرين، يعني أن عمر الساقية هو أربعة قرون من الزمن كانت خلالها تزود الماء

لأجيال عديدة من أهل مدينة إب . وكم كان جميلا لو أن هذه الساقية قد بقيت شاخصة إلى يومنا هذا تحكي جانباً من روائع حضارة اليمن في العمارة والبناء والإرواء.

3 -طابع العمارة في مدينة إب المسورة*

تتكون مدينة إبّ القديمة من 33 حارة ، وهي حارة الحمام وحارة الجامع الكبير وحارة الراكزة وحارة الشمس وحارة الكاظمي وحارة عقيل وحارة غرب الجامع الكبير وحارة المعطارة وحارة دار الملك وحارة حشملة وحارة الحمضي وحارة الجاءة وحارة النخلاني وحارة المقري وحارة سنبل وحارة الدجاج وميدان الجاءة وساحة الحوطة وحارة الغفرة وحارة النمي وحارة السني وحارة البيحاني وحارة الباب الكبير وحارة المخلولة وحارة الميدان الأعلى وحارة السوق الأعلى وحارة بني مفضل وحارة الأسدية وحارة الحكومة وحارة الصامة وحارة المدقة وحارة باب النصر وحارة الحزر . ومن الملاحظ أن أغلب أسماء الحارات منسوبة إلى اسماء الجامع الكبير والمساجد وأبواب المدينة والمدارس الدينية القديمة . ويتخلل هذه الحارات شوارع وأزقة ضيقة مرصوفة بالأحجار تربط بين أطراف المدينة ومراكزها الرئيسية مثل المساجد والأسواق والميادين والمدارس والمكاتب الإدارية . وتتميز أزقة المدينة كونها ضيقة ومتعرجة ومتقاطعة ومرصوفة بالحجارة المربعة، وبعضها بشكل ممرات مسقوفة والسقوف هذه تكون مسطحة أو مقبأة تربط بين بيتين مثل باب الريشة . وتزين نوافذ البيوت والواجهات المشربيات الخشبية المنمقة(انظرالملاحق) .

أن طابع العمارة في بيوت مدينة إبّ يأخذ شكل المنازل البرجية المبنية با لجحر، وهو حجر محلي من المنطقة الجبلية التي تقع فيها المدينة ، وتكون ألوان الحجر رمادية أو وردية أوبرتقالية. وتبدأ عملية تشييد المنزل ببناء الأساس أو القاعدة من أحجار الجرانيت المقاوم للرطوبة ويغطى بطبقة من القضاض (النورة)، ويبلغ سمك جدران

* أعتمدنا في هذا الموضوع على مشاهداتنا الميدانية وكتاب (دليل مدينة إب القديمة) الذي أصدره مكتب الأثار والمتاحف والمخطوطات في محافظة إب عام 2005 م .

الأساس أو القاعدة حوالي متر واحد . ثم يبنى بعد ذلك على الأساس الطابق الأرضي من المنزل ويسمى الطابق الأول أو السفلي و يتكون عادة من غرفة مربعة أو مستطيلة الشكل تستخدم في الغالب حظائر للحيوانات ومخازن للحبوب وحطب الوقود وأخشابها، وكذلك لوضع الألة الحجرية لطحن الحبوب وخزانات المياه الفخارية .إن الطابق الأرضي هو أيضاً مدخل المنزل ، وهو عبارة عن باب خشبي من دلفة واحدة أو دلفتين ، ويتوسط الباب مطرقة من الحديد مزخرفة . ومن الملاحظ أن أصحاب المنازل قد أعتنوا بزخرفة الأبواب والعتبات الخشبية ونقش كتابات مثل الأدعية والأشعار وتواريخ البناء.

يوجد في الطابق الأرضي (الأول) السلم (الدرج) الذي يؤدي إلى الطوابق الأخرى، ويحتوي الطابق الثاني عادة على الديوان والغرف الخاصة ، أما الطوابق التالية فلها عدة وظائف منها غرف الجلوس (السمرة) وغرف النوم للنساء والأطفال. والطوابق الأكثر إرتفاعاً تخصص لشؤون التدبير المنزلي ، وتتكون من غرفة المعيشة والمطبخ والحمام ومخزن الغذاء . ويعد هذا الطابق من أهم طوابق البيت الإبِّي والذي يزخر بحركة العائلة طيلة اليوم . ويبنى في الطابق الأخير غرفة (المنظر) أو المفرج وتطل على الأماكن المفتوحة للتمتع بمشاهد جما ل الطبيعة ،ويقتصر بناء هذه الغرف على العوائل الميسورة عادة . أما سطح المنزل فهو متنزه للعائلة خصوصاً النساء ، ويستخدم لنشر غسيل الملابس ، وأخذ حمام الشمس وزراعة النباتات العطرية . ومن الملاحظ أن نوافذ الغرف في الطوابق هذه تزداد إتساعاً كلما أرتفع البناء ، ويعلو النافذة بناء جصي مقوس ذو فتحات تغطى بالزجاج الملون وتسمى (القمرية) . وفي عدد من بيوت مدينة إبّ تغطى النوافذ بالمشربيات ، وهي مصنوعة من الخشب وبأشكال هندسية مزخرفة وتسمى في العراق (الشناشيل) حيث توجد فيها فتحات تمكن النساء من رؤية ما يدور في الخارج دون أن يراهن أحد ، وتوضع فيها أيضاً الأواني الفخارية لتبريدها.

يوجد في مدينة إبّ ثمانية وثلاثون قصراً يطلق عليها أسم (دار) ومن هذه القصور الباقية : دار الملك (بيت الصنعاني) ودار الفرناج (1312 هـ / 124 م) ودار الحمام

وينسب بناؤه إلى المهدي بن العباس في منتصف القرن الثاني عشر الهجري، ودار البيضاء ودار الخان . ودار عقيل (المتوكل) ودار الشجاع ودار الديدبان ودار صفر ودار الواسطة ودار القلم ودار الحكيم ودار الثجة ودارالغدر ودار الحليب ودار الميدان ودار الشماع ودار الخباني ودار العزوة ودار النمي ودار العيدروس ودار زهير ودار السيع ودار الشريف ودار الخبشة ودار المجزبي ودار النصيف والدار الجديد ودار السيسي ودار الضرب ودار الصامت ودار سعد الدين ودار المسنى ودار بيت منير (دار الحكومة) .

أما عن طابع العمارة في مساجد إبّ فيقوم تخطيطه وطرازه على الصحن المحاط بأربعة أروقة أعمقها رواق القبلة . وتمتاز المساجد القديمة بسقوفها الخشبية المسطحة المقسمة إلى مربعات من عدة مستويات (المصندقات) وفيها زخارف محفورة وبارزة ، وتوجد في بعض المساجد قبة كبيرة أو عدة قباب ، في حين جمعت مساجد أخرى السقف المستوي والقبة معاً .

ويعد الجامع الكبير من أقدم المساجد في مدينة إبّ وأكبرها ويعرف بالجامع العمري لأن الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قد أمر ببنائه ، وقد تم تجديد الجامع وتوسيعه في مراحل متعددة أبتداءً من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي الى القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي .

ومن المساجد المعروفة في مدينة إبّ : مسجد سيف السنة أحمد محمد البريهي ويعود تأريخه إلى القرن السادس الهجري ويقع بجوار باب الراكزة ومسجد البيحاني ويقع الى الشمال من دار الملك ومسجد السنف ويقع الى الغرب من باب النصر وهو من المساجد المهجورة ومسجد الحمضي بجوار دار الواسطة ومسجد قشمر ويقع في الجهة الجنوبية من المدينة ومسجد عقيل بن عمر ويقع في حارة عقيل ويعود تأريخه إلى القرن الحادي عشرالهجري/ السابع عشر الميلادي ومسجد الغفرة ويقع في حارة الغفرة ومسجد الكاظمي ويقع قرب الباب الكبير ومسجد المخلطة ومسجد الصامت ومسجد الحليب ومسجد الهادي وقبة الفقيه ومسجد النمي.

وتتشابه في مدينة إبّ عمارة المساجد مع المدارس الإسلامية ،إلا أن المدارس لا توجد فيها مئذنة ، حيث من النادر أن يشمل تخطيط عمارة المدارس بناء المئذنة ما عدا المدرسة الجلالية العليا . ولهذه المدارس تخطيط معماري على شكل فناء متوسط مكشوف من الناحية الشمالية منه حيث بيت الصلاة ،ويوجد في الناحية الجنوبية أبواب مفتوحة على الفناء إضافة إلى مساكن الطلبة والمطاهير وبرك الماء ، وتتنوع سقوف المدارس بين سقف خشبي مسطح وقبة واحد أو أكثر من قبة . ومن المدارس المشهورة في مدينة إبّ ، المدرسة الأسدية الواقعة بجوار السوق القديم ، وقد جددت إلى مسجد في شوال سنة 1348 هـ ومدرسة الصبان بجوار خان فارس والمدرسة الشمسية الواقعة في حارة الشمسي والمدرسة الجلالية العليا وتقع في قلب مدينة إبّ والمدرسة الجلالية السفلى وتقع في جنوب الميدان الأسفل والمدرسة النظارية و يطلق عليها مدرسة المشنة وتقع على سفح ريمان من بعدان وبنيت على قاعدة مرتفعة خصوصاً في الجهتين الجنوبية والغربية ، وزود المدخل الغربي بسلم حجري طويل ، وسنتناول هذه المدارس بالتفصيل في الفصل الخامس من كتابنا هذا .

توجد في مدنية إبّ أسواق مشهورة ومنها سوق المقاوتة و اللحام والطعام ، وهو السوق الحا لي . وسوق القماش وسوق المزاينة ، أي الحلاقين ويقع بجوار المدرسة الشمسية، وسوق المخياطة أو سوق الطعام عند سكة النخلة وسوق المعطارة والحطب والمدر واللبن في الميدان الأسفل وسوق الملح في الميدان الأعلى وسوق الجنابي في الميدان الأسفل شمال مدرسة الجلالية السفلى وسوق اللحمة عند سكة الحلقة .

وتمتاز مدينة إبّ بوجود الخانات فيها والتي تسمى محلياً (السمسرة) وتستخدم لمبيت المسافرين ، ومنها الخان الأسفل بجوار مدرسة الصبان ويتكون هذا الخان من ثلاثة طوابق يتوسطه منور تحيط به غرف السكن ، وخان فارس الذي تم بناؤه عام 1180 هـ / 1766 م ، والخان الأعلى ويقع شمال سوق المدينة القديمة وخان أو سمسرة الصنعاني ، وهي ملاصقة للسور الغربي للمدينة من خارجه وتطل على الطريق القديم المؤدي إلى الباب الكبير، ويعود تأريخ بنائها إلى سنة 1252 هـ / 1836 م حسب

ما هو مدون على أحد أبوابها الخشبية ، وسمسرة الغرباني بجوار المدرسة الشمسية وسمسرة النخلة شمال السوق الأسفل .

ومن معالم مدينة إبّ ايضاً (المدافن) التي تحفظ فيها الحبوب ومنها مدافن دار البيضاء ، وكان لهذه المدافن موظفون مسؤولون عنها ويعرف الموظف باسم (الدفان أو الحافظ أو الكيال) ولعملية فتح المدفن لأخراج الحبوب طريقة خاصة ، حيث تتم تهوية المدفن أولاً بالمحفة واشعال أعواد من الخشب ، وبعد التهوية يقوم الموظف المختص بإخراج الحبوب من المدفن ونقلها إلى (الشونة) (وهي غرف لخزن الحبوب) وهي عبارة عن مبنى من طابقين بجوار المدرسة الجلالية السفلى، وتوجد في الطابق الأول أحواض (حِجَبْ) صغيرة مغلفة بطبقة سميكة من القضاض توضع فيها الحبوب لتخليصها من الرطوبة قبل التوزيع . وهذه الاحواض مقسمة حسب اصناف الحبوب وانواعها.

وأخيراً فأن مدينة إبّ تمتلك شبكة من الأنفاق تحت الأرض ، وقد بنيت هذه الأنفاق بالحجارة وتحمل سقوفها عقوداً نصف دائرية ، وتستخدم لتصريف مياه الصرف الصحي إلى منطقة الشعاب ، أو تستعمل ممرات للتنقل من المدينة إلى خارجها للحصول على الأمدادات والمؤن في أوقات الحصار والأخطار والمعارك ولم تعد تستخدم الآن.

4 -مدينة إبّ في كتابات الرحالة العرب والاجانب

الرحلات الاستكشافية التي قام بها الرحالة العرب والأجانب إلى اليمن عديدة، ولكن قليلاً منها متوفر في مكتباته والتي تمكنا من الاطلاع عليها و تناولت مدينة إبّ ونواحيها:

رحلة نيبور عام 1763م : -

تعد رحلة المهندس كارستون نيبور أولى الرحلات العلمية الأوربية إلى اليمن، والتي تبناها ملك الدنمارك فردريك الخامس بكتابه الصادر في 15 ديسمبر عام 1760 حيث حدد هدف الرحلة بالقول ((على أعضاء الرحلة المذكورين أعلاه أن يتوجهوا معاً إلى العربية السعيدة [اليمن] وأن يضعوا جميعاً نصب أعينهم دائماً الهدف النهائي للرحلة المحددة من جلالتنا، وهو القيام بأكبر قدر ممكن من الاستكشافات العلمية في هذا البلد))(□ بر)

تكونت البعثة من خمسة أعضاء من العلماء الشباب اثنان منهم من الدنمارك هما فون هافن المتخصص في علوم اللغة والدكتور كرستيان كرامر المتخصص في الطب والطبيعة والسويدي بيتر فورسكال المتخصص في الرسم والمهندس كارستني نيبور المتخصص في الرياضيات والفلك والجغرافية، وكان أميناً مالياً للبعثة.(لح تر)

انطلقت البعثة في رحلتها من كوبنهاكن عاصمة الدنمارك في 4 يناير – كانون الثاني 1761، ووصلت القسطنطينية في 30 يوليو – تموز من العام نفسه. وفي ١١ اغسطس – آب غادرت البعثة إلى الإسكندرية ووصلتها في 26 من الشهر نفسه، ومنها إلى القاهرة حيث وصلتها في 10 نوفمبر – تشرين الثاني وبعد أن مكثت في مصر حوالي عام غادرت القاهرة في 28 أغسطس – آب 1762 إلى السويس ووصلتها في 31 أغسطس – آب. وفي 10 اكتوبر – تشرين الأول أبحرت البعثة من مدينة السويس باتجاه اليمن، ووصلت ميناء جده في 29 أكتوبر – تشرين الأول وغادرته في 19 ديسمبر – كانون الأول، ووصلت ميناء اللحية باليمن في 29 ديسمبر – كانون الأول 1762.

أما عن خط رحلة البعثة داخل اليمن، فقد غادرت البعثة ميناء اللحية في 22 فبراير – شباط 1763 ووصلت بيت الفقيه بعد ثلاثة أيام، قامت البعثة برحلات متفرقة، أهمها رحلات نيبور إلى غليفقة والحديدة وزبيد ورحلته الجبلية المشتركة مع

---

(29) الصايدي، المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، ص 33.

(30) المصدر السابق، ص ص 36 – 37.

فورسكال، باتجاه العدين وجبلة وتعز ثم العودة إلى بيت الفقيه بطريق (بلاد ابن عقلان) وحيس. وفي 20 أبريل _ نيسان غادرت البعثة بيت الفقيه إلى المخا ووصلتها بعد ثلاثة أيام.وفي 9يونيو - حزيران غادرت المخا الى تعز ووصلتها بعد أربعة أيام، وغادرتها يوم 28 من الشهر نفسه إلى مدينة إبّ وجبل سمارة ويريم حيث وصلتها في 5 يوليو – تموز. وفي 13 من الشهر نفسه غادرت البعثة مدينة يريم بطريق ذمار لتصل صنعاء في 16 يوليو – تموز 1763. وبعد أن قابلت الإمام غادرت البعثة صنعاء في 26 من الشهر نفسه باتجاه المخا عن طريق مفحق وبيت الفقيه وفي 15 أغسطس – آب وصلت المخا لتغادرها باتجاه الهند في 23 أغسطس – آب من العام نفسه، بعد أن توفي معظم أعضائها بمرض الملا ريا.(□ تر)

لقد قضت ملاريا تهامة التي أصيب بها جميع فريق البعثة بما فيهم نيبور على أعضاء البعثة جميعاً عدا نيبور. فقد توفي البروفسور فون هافن في المخا ودفن فيها. وتوفي البروفسور بيتر فورسكال ودفن في يريم، وفي طريق العودة قضت الملاريا على أعضاء البعثة الآخرين،حين مات الرسام باورنفانيد قرب جزيرة سُقطرة، ومات خادم البعثة برجرين بعد يوم واحد من وفاة باورنفايند وقذف بجسديهما في البحر، ثم توفي الطبيب كرسيتان كرامر في مدينة بومبي في الهند .وواصل نيبور مهمة البعثة منفرداً متحدياً مرض الملاريا الذي شفي منه إلى أن عاد إلى الدنيمارك في شهر نوفمبر – تشرين الثاني 1767.(بر تر)

سجل نيبور نتائج رحلته في كتابين الأول (وصف العربية) أو (وصف بلاد العرب) صدر عام 1772 في كوبنهاجن وقد قسمه إلى قسم عام فيه معلومات عامة عن العرب وحياتهم ومجتمعهم، ثم قسم خاص باليمن تحدث فيه عن جوانب تاريخ اليمن وجغرافيته وحياته السياسية والاجتماعية وما إلى غير ذلك . أما الأقسام الأخرى فقد خصص كل واحد فيها لبلد من البلدان المحيطة باليمن. أما الكتاب الثاني فعنوانه

---

(31) المصدر السابق، ص ص 38 – 39.

(32) المصدر السابق، ص 39.

(وصف رحلة إلى بلاد العرب والبلدان المجاورة) وهو عبارة عن يوميات سجلها خلال رحلته، ويقع في ثلاثة مجلدات، الأول منها صدر في كوبنهاكن عام 1774م وتضمن وصفاً لرحلته من كوبنهاكن وحتى مغادرته اليمن. أما المجلد الثالث فقد تناول فيه رحلته في الهند وعُمان وإيران والعراق وبلاد الشام. والثالث تضمن وصف رحلته من سوريا إلى قبرص ومنها إلى فلسطين وتركيا وبلغاريا وبولونيا وألمانيا حتى وصوله الدنمارك.(ترتر)

لقد رسم نيبور أول خارطة لليمن يتوفر فيها قدر كبير من الدقة، وأرفقها في المجلد الأول من كتابه (وصف رحله إلى بلاد العرب) وهي خارطة جزئية لليمن تمثل المنطقة التي كان يحكمها الإمام المهدي عباس، وتمتد من المخا والحجريه جنوباً، إلى شمال اللحية وعفار وبيت ادهم شمالاً، ومن البحر الأحمر غرباً، إلى شرق ذيبان وذمار ويريم واب شرقاً، وهي المنطقة التي أطلق عليها في كتاباته اسم مملكة الإمام. وهناك خارطة أخرى أكبر مساحة وأقل تفصيلاً أرفقها بكتابه (وصف بلاد العرب) أظهر فيها امتداد اليمن في الجنوب إلى يريم وعدن والسواحل المطلة على المحيط الهندي، وفي الشمال تمتد إلى شمال (أبو عريش) في خط أفقي إلى الربع الخالي. وفي الغرب إلى البحر الأحمر، وفي الشرق إلى نهاية بلاد الجوف وحضرموت.(يرتر)

إبّ في كتابات نيبور

وصف نيبور مدينة إبّ بالقول إنها تقع في قمة مرتفع، يحيط بها سور وأبراج، وبيوتها مبنية بالحجارة، وطرقها مرصوفة، ولا يزيد عدد بيوتها عن خمسمائة بيت، بينما يقدرها العرب بثمانمائة بيت. في المدينة عدد من المساجد الصغيرة، بينها

(33) المصدر السابق، ص ص 63 – 66.

(34) المصدر السابق، ص ص 66 – 67.

مسجدان لكل واحد منهما منارة. وفي شرق المدينة ينتصب جبل مرتفع جداً، وهو جبل بعدان الذي تنحدر منه المياه التي يشرب منها السكان(سم تر)

ولما كانت البعثة قد وصلت إلى مدينة إب في مطلع شهر يوليو – تموز من عام 1763م، لاحظ نيبور هطول الأمطار كل يوم تقريباً بعد الظهيرة بانتظام في فصل الصيف، وتحدث عن الآبار والسدود في اليمن(شم تر) ولفت انتباهه ساقية إبّ فقدم وصفاً لها ذكرناه في المبحث السابق. كما تحدث عن تزويد المسافرين في منطقة إبّ الجبلية بالمياه، وقد أطلق علي السقاية اسم ماجل Madsjil وتعرف اليوم في محافظة إبّ بالسقاية أو الساقية، ووصفها على النحو الآتي:

((وفي هذا الجبل وجدنا ثلاثة مواجل، أو بيوت ماء صغيرة، وهي تملأ باستمرار بماء صاف عذب، وذلك ليجد المسافرون ماءً طيباً يجددون به نشاطهم. وخزانات المياه هذه عبارة عن بناء مربع مساحته حوالي2,5 قدم وارتفاعه 5 إلى 7 أقدام وسطحه من الأعلى أما مدور أو مخروطي الشكل، وله في أحدى جهاته فتحة صغيرة يُصب منها الماء إلى داخلة، ويجد المسافر عند هذه المواجل وعاءً صغيراً، أما من القرع أو من الخشب يستخدمه للاغتراف أو الشرب من هذه المواجل.))(لم تر)

ومن الظواهر الأخرى التي جلبت اهتمام نيبور في منطقة إب الطرق المرصوفة بالحجارة سواء في المدن كمدينة إبّ ومدينة جبلة، أوفي جبل سمارة، ويذكر أن هذه الطرق قد أهملت صيانتها منذ سنوات طويلة*..

---

(35) المصدر السابق، ص 230.

(36) المصدر السابق، ص ص 175 – 159.

(37) المصدر السابق، ص 160.

* و تبقى منها مشهورة عند الناس في إب وجبلة مثل : نقيل الخرخري أو نقيل السياني يعبر الجزء الشرقي من جبل التعكر ، ويربط بين مراكز ذي السفال والسياني وجبلة ، ويمر بقراها متخذاً وجه التعكر الشمالي ، ووجه الجنوبي ، وعلى بعض جوانبه توجد بعض السماسر وبعض السقايات المعدة لخدمة

وعند مغادرة نيبور مدينة القاعدة مع أفراد البعثة متجهاً إلى إبّ، صادف جسراً قائماً فوق عقد ضخم مبني بالحجارة وذلك قرب سمسرة. ويستطيع المسافر أن يمر على ذلك الجسر متجنباً مجرى الماء المنحدر بقوة من الجبال. ويقول الدكتور الصايدي أنه يبدو من خلال أسماء القرى التي ذكرها نيبور مثل قرية ذي شِراق وقرية دمنه، أن ذلك الجسر يقع على سائلة السياني(□ تر)

وعن السفر في المناطق الجبلية، ومنها منطقة إب يقول نيبور إن اليمنيين يسافرون سيراً على الأقدام أو على ظهور الحمير أو الجمال ويجد المسافر بين جبلة والعدين السقايات التي تملأ بالماء ليشرب منها المسافرون، والتي أطلق عليها أسم (ماجل). كما لاحظ نيبور وجود مبان صغيره خالية يلجأ إليها المسافرون عند هطول الأمطار. وأكد مرة ثانية أن الطرق الرئيسة بين جبلة والعدين مرصوفة بالحجارة ولكنها مهملة ولم تجر لها صيانة منذ سنوات طويلة(□ تر)*

المسافرين حينها. ومثله طريق سمارة القديم المرصوف الذي يربط منطقة المخادر بمنطقة سمارة العليا ويصل إلى قرب منطقة كتاب.

(38) المصدر السابق، ص 234.

(39) المصدر السابق، ص 202. لم يكن بالإمكان الاطلاع على المادة الخاصة باليمن في كتابات نيبور، لولا الجهد الكبير الذي قام به الدكتور أحمد قايد الصايدي في كتابه (المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن) حيث قام بترجمتها عن الالمانية مع تعليقات وتوضيحات مهمة.

* نعتقد أن هذا الطريق يخرج من مدينة جبلة باتجاه شمال غرب المدينة ويمر بين بعض قرى عزلة أنامر أعلى ويقسم عزلة وراف عن أنامر أعلى ثم يأخذ أسفل عزلة وراف من جهة الشمال والغرب إلى أن يصل منطقة حدبة العليا من أعمال مديرية العدين وأقرب المناطق إلى مركز مدينة العدين رغم أنه لم يعد واضحاً ، ولكنه افتراضاً منا اعتماداً على بعض الأجزاء الباقية من هذا الطريق في المناطق المشار إليها وعلى افتراض أن هذا الاتجاه أقرب نقطة توصيل جبيلة بالعدين. (الهامش للدكتور عبدالله الفلاحي).

ب -رحلة الريحاني 1922م : -

قام بهذه الرحلة إلى اليمن أمين الريحاني، وهو عربي مسيحي من لبنان، زار نجداً والحجاز واليمن والعراق والّف كتابه المشهور (ملوك العرب) الذي دون فيه لقاءاته تسعة من ملوك ورؤساء العرب وترجم لهم عن رحلاته في بلادهم، ومنهم أمام اليمن. وقد رافقه في رحلته إلى اليمن زميله قسطنطين، وهو عربي مسيحي من لبنان أبعد إلى الحجاز نتيجة قيامه بنشاط سياسي، فعمل مستشاراً للشريف حسين. ولما قدم أمين الريحاني إلى الحجاز زامله في رحلته إلى اليمن.

وقد بدأ أمين الريحاني جولته في اليمن في رجب من عام 1340هـ/ 1922م بطريق عدن، ووصل إبّاً في السنة نفسها، وقدم لها في كتابه وصفاً من خارجها قبل دخوله إليها، فذكر أن إبّاً جميلة من بعيد، فالقادم إليها من ماوية أو من تعز يراها في السهل وحوله الربى كأنها حفنة من اللؤلؤ على بساط أخضر مفروش في بحيرة جفت مياهها. والقادم إليها من يريم يراها قائمة على رأس الجبل كصخر في مرج أو كبرج في جزيرة. وعندما يتحدث الريحاني عن مدينة إبّ من داخلها يقول إنها مسورة، وهي وسخة ومزدحمة، يروق الناظر إليها من الخارج فقط. بيوتها من الحجر وأكثرها ثلاث طبقات، تستخدم الأولى للمواشي والدواب والثانية للخدم والثالثة لأهل البيت. ويضيف الريحاني أنه لا يوجد في المدينة مدرسة وانما في المساجد لتعليم القرآن. وليس فيها أحد من الأطباء، ولا نقطة ولا حبة من الدواء، ويكثر فيها الجدري والحمي وأكل القات.(لح ير)

ومن الأمور التي يذكرها الريحاني بارتياح شديد أن للمدينة ساحة استقبال وساحة وداع. وفي ساحة الاستقبال يترجل المسافر إذا كان معروفاً وينتظر قدوم ألمرحبين. ولما كان الريحاني زائراً في طريقه إلى الإمام في صنعاء، فقد استقبله عامل

---

(40) أمين الريحاني، ملوك العرب، بيروت 1980، جـ2، ص108.

إبّ إسماعيل باسلامة ورحب به باسم الإمام وسط عزف الأبواق والطبول والرجال والخيول والجنود والأهازيج والحشود من الناس.

((وبعد السلام ركبنا وانخرطنا أنا ورفيقي رسول القاضي عبد الله العرشي في ذاك الجمع المنيَّل المهلل نحسب أنفسنا في حلم من الأحلام، أو في موكب من مواكب الجان، والجنود مسترسلو الشعور، مكحلو العيون، المزينة عمائمهم بالورد والريحان، حولنا وأمامنا ينشدون بصوت جلي رهيب:

يا من يخالف أمرمولانا ويعصيه لابد من يوم تراه
لابد من يوم يشيب الطفل فيه والطير يرسي في سماه

ودخلنا المدينة دخول الفاتحين، ونزلنا على الرحب في بيت من بيوت العامل إسماعيل المشهور في بلاد اليمن، أعلاها وأسفلها، بكرمه وفضله وعدله، فتمتعنا، بعد أيام من المشقة والشقاء، بنواعم العيش وطيباته، ومثلما أسرعنا من ماوية أبطأنا في إبّ)).[41]

لقد أعجب الريحاني كثيراً بشخصية عامل إبّ إسماعيل باسلامة فقال عنه إنه لا يخطب في ضيوفه ولا يفاخر بدينه ولا يهدد بلاد الكفار بالدمار. هو رجل هادى الخاطر وديع النفس غني كريم، يحبه جميع من يشتغل في أرضه كما يحبه جميع من في حكمه.

ويقدم لنا الريحاني فكرة عن مزروعات إبّ من الفواكه فيقول إن العامل إسماعيل باسلامة قد جاءه في صباح اليوم التالي لوصوله مدينة إبّ يسلم عليه وبيده طاقة من ورد نيسان قدمها للريحاني، واصطحبه إلى بساتينه التي تزرع فيها الثمار بأنواعها. تلك التي تصلح في الشمال وفي الجنوب وفي المناطق الباردة والمناطق الحارة.

(41) المصدر السابق، ص 106.

فشاهد الزيتون والموز والعمب (المنجات) والمانجو المصري* والعنب والتفاح والرمان، كلها زاهية زاهرة حسب وصفه, ويضيف الريحاني أن هذه الأشجار تنمو كلها في اليمن الأسفل لأن هذه المنطقة من الأرض لا تبعد أكثر من عشر درجات عن خط الاستواء، إضافة إلى ارتفاعها عن البحر خمسة آلاف قدم.(42)

وبعد ان انتهت زيارة الريحاني، ودّعه العامل إسماعيل وأهالي إبّ من ساحة الوداع في المدينة، حيث رافقه إليها هو ومعيته، ومنها أرسل معه إلى ذمار ثلاثين جندياً نظامياً على رأسهم ضابط تركي. وينهي الريحاني حديثه عن مدينة إبّ بالقول إنه سار إلى مقصده صنعاء بعد استراحة يومين في نعيم ضيافة مدينة إبّ(43)

جـ - رحلة الثعالبي عام 1924 : -

هو الشيخ عبد العزيز إبراهيم الثعالبي، من قادة الاتجاه العربي الإسلامي في تونس، ولد سنة 1874م/ 1291هـ وتوفي سنة 1944م/ 1363هـ. سافر الثعالبي إلى مصر وسوريا والعراق والحجاز واليمن. وقد كتب بخط يده مذكراته عن رحلته إلى اليمن بشكل رسالة مؤرخة في 11 أكتوبر – تشرين الأول 1924 موجهة إلى صديقه محمد المنصف المنستيري، وتقع في 58 صفحة من الحجم الكبير. إضافة إلى مجموعة من الوثائق المتعلقة بالجهود التي بذلها الثعالبي خلال هذه الرحلة لدى الإمام يحيى وقادة المحميات البريطانية التابعة لمستعمرة عدن لتوحيد البلاد اليمنية. أما المجموعة

---

* تسمى العَنْبَ أو الْعَمْب بفتح العين وتسكين النون أو الميمي ، وهو نوعان الأول : عنب العظام وهو الذي يشبه المانجو المصري – الهندي ..الخ . والثاني: وهو المسمى عَنْبَ الشام أو عمب الشام ذي الثمرة الصفراء أو الوردية ، وغلافها الخارجي أخضر وتميل إلى الصفرة دليلاً على نضجه ، وحجمها متفاوت بين وزن نصف كيلو إلى 3 كيلو ، ويوجد في كثير من مناطق اليمن ومنها منطقة إب. (الهامش للدكتور عبدالله الفلاحي).

(42) المصدر السابق، ص ص 106 – 107.

(43) المصدر السابق ، ص108. قام المؤرخ اليمني محمد بن علي الاكوع الحوالي في كتابه حياة عالم وأمير، بنقل ما كتبه الريحاني عن مدينة إب في الصفحات 398 – 401.

الثالثة من الوثائق فتتعلق بمهمة الثعالبي عام 1926 في الحجاز واليمن لتحقيق المصالحة بين سلطان نجد والحجاز عبد العزيز بن سعود وإمام اليمن يحيى بن محمد حميد الدين. وقد جمع المؤلف هذه المجموعات الوثائقية الثلاث في ملف يحمل عنوان (الرحلة اليمنية).(يريد)

بدأ الثعالبي رحلته في اليمن عام 1924، في 12 أغسطس – آب من ميناء عدن باتجاه صنعاء للقاء الإمام يحيى(سمه يريد) وقد مرّ بمدينة إبّ ذهاباً وإياباً.(شمه يريد) وفي طريق الذهاب وصلها يوم 20 أغسطس _ آب ودخلها في الساعة التاسعة صباحاً من الباب الكبير الذي أطلق عليه اسم الباب الغربي، ومنه مرّ بسوق الحبوب وسوق الصاغة، ثم انتهى إلى دار الحكومة حيث تقرر نزوله فيها. ويقول الثعالبي إنه بعد برهة يسيرة من وصوله زاره الشيخ إسماعيل بن محمد باسلامة وفي معيته أعيان المدينة وأكابر موظفيها، وهم إسماعيل الغرباني، والقاضي أحمد عبد الله صميره مأمور المالية، ويحيى صميره مأمور الأوقاف، ويحيى بن علي الحداد كاتم أسرار العامل، والحاج محمد المنصوب وآخرون لا يتذكر أسماءهم، وسلموا على الثعالبي ورحبوا به وغادروه ليستريح.(لهه يريد)

وفي صبيحة اليوم التالي أقبل عامل إبّ إسماعيل باسلامة لزيارة الثعالبي بصفة رسمية يحيط به الموظفون والمشايخ وأعيان البلدية، وقدم له باقة من زهور مدينة إب وبعض القوارير من ماء الورد المكرر المصنوع في مدينة إبّ(□ يريد) ويبدو أن تقديم الورود هو تقليد اتبعة عامل ابّ إسماعيل باسلامة، لأنه قام بالشيء نفسه مع أمين الريحاني.

---

(44) عبد العزيز الثعالبي، الرحلة اليمنية 12 أغسطس – 17 أكتوبر 1924، تقديم وتحقيق حمادي الساحلي، بيروت 1997، ص5.

(45) عبد الباري طاهر، اليمن في عيون ناقدة، صنعاء 2002، مقدمة الكتاب.

(46) الاكوع الحوالي، حياة عالم وأمير، ص 401.

(47) الثعالبي، المصدر السابق، ص ص 62 – 63.

(48) المصدر السابق ص 63.

ويذكر الثعالبي أنه ألقى في الحاضرين خطبة أو محاضرة، بعد أن أخذوا أماكنهم واستراحوا قليلاً، حثهم فيها على الاتحاد والتآخي وتوجه عامة الناس إلى التضامن، والعمل على إحياء الروح العربية الإسلامية ببث المبادئ القومية بشرط أن لا تتقاطع مع الدين. وحثهم على الاهتمام بالزراعة وإصلاح الأراضي واعمارها باستخدام الآلات الحديثة لكي يكثر المحصول وتنمو المكاسب وتتنوع طرق العمل. وقد أجاب عامل إبّ إسماعيل باسلامة على هذه الخطبة بالثناء والشكر.(□ ير)

قدم الثعالبي وصفاً لمدينة إب، فقال هي مدينة مبنية بالحجارة وأكثر دورها متشابهة وبناؤها مؤلف من عدة طبقات أكثرها أربع وأقلها طبقتان. طرقاتها معوجة وضيقة، [وهي ما زالت إلى يومنا بهذا الشكل](لجسم) ((وعليها سور ضخم له أربعة أبواب: وهي الباب الكبير وباب النصر وباب سنبل وباب الراجز[الراكزة]. وفيها أبنية عمومية كثيرة أغلبها غير معتنى به وبعضها مهمل، وفيها من المساجد فقط 32 مسجداً منها المسجد الجامع... ويسع 5000 خمسة آلاف نسمة))(□سم)

وعن التعليم في إبّ، يقول الثعالبي إنه لم يبق في المدينة سوى سبعة كتاتيب للصبيان فيها 700 تلميذ. وتوجد مدرسة علمية واحدة لتعليم النحو والفقه وما إليها من الفنون. ويضيف أن أوقات التعليم تبدأ كل يوم مع صلاة الصبح إلى الضحى على الطريقة القديمة

أما عن عدد سكان مدينة إبّ فيذكر الثعالبي أنهم كانوا عام 1924م، وهو وقت زيارته، (6000) ستة آلاف نسمة فقط كلهم مسلمون عدا (25)خمسة وعشرين كانوا من اليهود.(برسم)

---

(49) المصدر السابق، ص 63.

(50) مازالت أزقة مدينة أب القديمة المسورة مرصوفة بالطابوق وبعض من تفرعات الأزقة يبلغ عرضه نصف متر فقط، وأغلبها عرضها مترين أوثلاثة.

(51) الثعالبي، المصدر السابق، ص 62؛ عبد الباري طاهر، المصدر السابق، ص ص 204 – 205.

(52) الثعالبي، المصدر السابق، ص62

ومـن الملاحـظ أن الثعـالبي يـذكر أن مدينـة إبّ (أزليـة) أي قديمـة بناهـا (دار الأكبر) الفارسي عندما فتح اليمن، ويقصد به دار الأول ملك الفرس الذي حكم خلال الأعوام 522 – 486 قبل الميلاد. كذلك يقول عن الجامع الكبير إنه بناه أحد المحسنين (الهنـود) ولم يـتمكن مـن إتمامـه فأتمـه الإمـام المنصـور الزيـدي في القـرن السـادس مـن الهجرة. ولكننا لا نميل إلى الأخذ بهذه المعلومات، فمدينة إبّ حميرية وكل الآثار تدل على ذلك كما أن أهل إبّ هم من القبائل اليمنية التي دخلت الإسلام مبكراً وقاتلوا تحت راية ذي الكلاع، ولا يحتاجون إلى شخص غريب لبناء المسجد لهم. ولذلك فنحن نميل إلى الأخذ بالرواية القائلة إن المسجد الجامع قد بني في زمن الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو المتعارف علية بين أهالي المدينة ولذلك يطلقون علية الجامع الخطابي، والذي كانت المياه تأتيه عبر ساقية الماء من عين الخطابي في سفح ريمان من جبل بعدان الذي قدم له الثعالبي وصفاً بالقول:_

((يوجد فوق مدينة إبّ إلى جهة الشرق جبل نضر خصب أسمة جبل بعدان، والخضرة لا تفارقه طول السنة بسبب كثرةما فيه من المياه والعيون وما ينزل فيه من الأمطار، تزرع فيهأصناف الحبوب والبقول من قمح وشعير وذرة وعدس وفول وحمص ودُخن وجلجلان وخشخاش وبصل وثوم وبطاطس وهندباء وطماطم وفلفل وباذنجان وكراث ونحوذلك . ويغرس فيه من أشجار الفواكه الرمان والتين والاترج والتين الشوكي والبُن والورس. ومن الزهورالورد والياسمين والقرنفل وغير ذلك مما هو معروف في المناطق الباردة والحارة بسبب اعتداله وكثرة مياهه)).[ترسم]

ويقول الثعالبي: قد يستمر نزول المطر في جبل بعدان أيام الخريف مدة عشرة أيام، ويستمر فصل الشتاء في هذه المنطقة ستة أشهر ويقدر الطبيعيون كمية المياه التي تنزل في قضاء إبّ أضعاف ما ينزل في غيرها من بقية الاقضية باليمن. ويضيف أن المياه

---

(53) المصدر السابق، ص 64.

الكثيرة التي تنزل من جبل بعدان تتجمع في نقطتين متوازيتين، واحدة في الشمال والأخرى في الجنوب. فالتي في الشمال تنسكب في وادي ميتم الواقع حول إبّ ومنه تنصب في وادي المسيمير ومن هناك تتحول إلى لحج. والتي في الجنوب تنصب في سائلة الزبيدي ومنها إلى وادي المشيرق وهو يجري إلى جهة القبلة ثم يلتقي بجبل حريب فيسيل غرباً ويسقى أراضي زبيد ومنها يتحول إلى جبال تهامة.[يرسم]

وخلال توسع الثعالبي في حديثه عن مدينة إبّ حيث يتجاوزها بصفتها مدينة إلى القضاء فيقول إن قضاء إبّ يمتاز من غيره من البقاع والأعمال اليمنية بوجود أبنية عمومية يلتجئ إليها المسافرون والقوافل عند نزول الأمطار، وهي الملاحظة نفسها التي سجلها الرحالة نيبور قبل ثلاثة وخمسين عاماً، أي حوالي نصف قرن من الزمن . إلا أن الثعالبي توسع في وصفه لهذه الأبنية العامة فذكر أنها منتشرة من السياني إلى المخادر، وكلها على نسق واحد بناؤها من الحجارة وشكلها مربع، شيدها أهل البر والمعروف لوقاية المسافرين من أخطار الأمطار. وقد أحصاها الثعالبي من أولها إلى آخرها فوجدها (20) عشرين (صبلاً) وهو الاسم الذي يطلقه الأهالي على هذه الملاجئ التي تقي المسافرين من الأمطار، وهي: الأصْبُل ((الأول في عقبة السياني، والثاني أسفل نقيل المحروس، والثالث في أعالي وادي شبار والرابع في رأس نقيل المحمول عند الساقية، والخامس أسفل نقيل المحمول، والسادس في صبر العرمة وسط وادي السيل، والسابع حول سائلة دار الشرف، والثامن جوار السائلة المنسكبة من جبل بعدان، والتاسع في شعب الذغار، والعاشر في مغل الجمل، والحادي عشر أحوال رمضان، والثاني عشر عند سقاية ألذهوب والثالث عشر قبالة نعيمة عند الماء والرابع عشر اسفل النقيل النازل من إب عند الاحواض السفلى، والخامس عشر العثرب وسط وادي السحول، والسادس عشر في شعب الحجل ويسمى جبل الكربة، والسابع عشر دار مواقع وسط السحول، والثامن عشر في سوق السبت جانب السحول، والتاسع عشر قبالة ماء لاذة والعشرون جانب ماء المخادر))، كما قام الثعالبي بقياس المسافات بين اصبُل وأصبُل فوجد أنها مسير ميلين عدا ثلاثة

---

(54) المصدر السابق.

اصبُول الواقعة بين الذهوب واسفل عقبة إبّ، فكانت المسافة بين كل واحد منها ميلاً واحداً. كذلك لاحظ الثعالبي وجود أصَبْل اخرى بين مدينتي جبله وإبّ حسب منها أربعة[سمسم]

يذكر محمد بن علي الاكوع الحوالي أنه التقى الثعالبي عند زيارته مدينة إبّ مرتين حين مر بها ذهاباً وإيابا إلى صنعاء. ففي المرة الأولى زار الاكوع الحوالي الثعالبي اثر وصوله إلى دار الضيافة بدار الحكومة بمدينة إبّ ومكث معه برهة قصيرة تجاذبا الحديث وناقشا اسم مدينة إبّ، فقال الثعالبي ((ربما أنها مأخوذة من آب اسم الشهر الرومي لكثرة الأمطار فيه وهو من أشهر الخريف الذي تغزر فيه الأمطار ولكن لكثرة الاستعمال صارت الكلمة إبّ))[شمسم] ولاشك أن زيارة الثعالبي لمدينة إبّ في شهر آب نفسه الذي تكثر فيه الأمطار قد جعلته يميل إلى هذه الرأي، ولذلك كتب في مذكراته أن صواب اسمها هو ((آب لا بهمزة مكسورة، ومعناه المياه)).

ويضيف الاكوع الحوالي أن الثعالبي حسن الأخلاق متواضع كريم المعشر عالم متفنن ((وهو ضخم الجثة طوال وقد تفسخت تحته بغلتان كبيرتان فارهتان من أملاك الأمير إسماعيل، ولم تصلا إلى سمارة إلا بُدلتا بغيرهما. وكان الثعالبي يلبس ملابس أفرنجية وهي التي عمت المعمورة اليوم وعلى رأسه كوفيه طاقية حمراء فيها عذبة سوداء))[لهسم]

ثم التقى الاكوع الحوالي الثعالبي مرة ثانية عند عودته من صنعاء ماراً بمدينة إبّ، ونزل أيضا في دار الحكومة، وصادف قدومه يوم جمعة ((فلم نشعر ونحن في المقيل إلا وقد أقبل ماشياً الأستاذ الثعالبي وبيده عصا غليظة يتوكأ عليها كغلظة جسمه فما ظهر من باب الديوان وأدى التحية حتى قام لمصافحته كل من في المقيل

(55) المصدر السابق، ص65؛ عبد البارئ طاهر، المصدر السابق، 206.
(56) الاكوع الحوالي، حياة عالم وأمير، ص402؛ الثعالبي، المصدر السابق، ص 62.
(57) الاكوع الحوالي، المصدر السابق، ص402.

الغاص بأهله ووسع له بقعة أربعة يمنيين فقعد على زاوية متربعاً)) وقد حدث الجالسين عن سفراته إلى صنعاء وأمور أخرى علمية ودينية. ومما حدثهم أنه سابع أخوته وهو أصغرهم وأنه لم يعرف ركوب البغال أو غيرها من ذوات الحوافر إلا باليمن. ويصف الاكوع الحوالي حديث الثعالبي فيقول إنه أطرب السامعين في حديثة لحسن لهجته وفصاحة نبراته الخلابة(58)

يقول الثعالبي إنه كان مزمعا عشية اليوم الثاني لوجوده في مدينة إبّ على زيارة شلال الماء النازل من بعدان الذي تستقي منه مدينة اب وبعض البساتين ,ولكن تلبد الغيوم ونزول المطر وصعوبة السير واكفهر الجو جعله يقبع في السراي ولا يخرج منه، واهتم بإعداد وسائل السفر في صبيحة اليوم التالي إلى صنعاء. حيث أعد بغلين لركوبه وجملاً لحمل أثقاله. وقد أقال من الخدمة مرافقه الحاج حمودة طه البحراني وعين بدلاً منه الشاب محمد الدشن من مدينة إبّ(59)

وفي صبيحة الجمعة 22 أغسطس – آب أقبل عامل إبّ الشيخ الحاج إسماعيل باسلامة في حاشيته وموظفي أدارته لتوديع الثعالبي. وقبل التوديع أرسل العامل باسلامة برقيات إلى الإمام في صنعاء ومتصرف ذمار وعامل المخادر يبلغهم بقدوم الثعالبي إليهم, ثم بدأت من دار الحكومة في إبّ مسيرة الوداع ،ويصف الثعالبي ذلك فيقول: -

((وبعد اطلاعي على نصوص البرقيات أمر العامل مديرالبرق بإرسالها حالاً، وقام العامل وقام معنا حضرات الأعيان: الشيخ منصور الصنعاني، والحاج أحمد عمرصَبَّان والقاضي عبد الله بن علي الغيسي، ومحمدالحاج القدسي، وأحمد البصير، وعبد الله المخادري،والقاضي يحيى بن علي الحداد كاتم أسرار العامل،والقاضي صالح بن علي والشيخ غالب الروضي وكيل رئاسة

---

(58) المصدر السابق، ص ص 403 – 406.

(59) الثعالبي، المصدر السابق، ص ص 65 – 66.

البلدية، والقاضي أحمد صبري وكيل بيت المال، ويحيى الحبيشي حارس الخزينة، والسيدالظفيري، والحاج محمد عبّود والحاج علي عبود،واحمد محمد باسلامة عمّ العامل وعبده بن محمدباسلامة ومعهم خلق كثير لايحصى))[لحشم]

ويضيف الثعالبي أن هذا الجمع الغفير من أهالي إبّ وأعيانها قد ساروا معه لتوديعه تتقدمهم فصيلة من الجند، إلى أن وصل الموكب الباب الشرقي من المدينة، أي باب النصر، واستمر الموكب في سيره إلى أن وصل عقبة الذهوب، ويقول عنها الثعالبي إنها من أجمل ضواحي إبّ حيث توجد على جانبيها البساتين التي وصفها بالأنيقة. وعندها، أي عند العقبة توقف الثعالبي وأقسم على العامل ومن معه أن يعودوا، فودعوه فرداً فرداً وداعاً شيقاً حسب تعبيره، ثم عادوا إلى المدينة[□شم]

لقد ترك الشيخ عبد العزيز الثعالبي مدينة إبّ محملاً بالذكريات الجميلة والإعجاب بأهلها وبكرمهم واحتفائهم به، مثلما فعلوا مع أمين الريحاني. ومن التقاليد التي لم تبارح ذاكرة الثعالبي هو الاستعراض العسكري الذي يقوده عامل إبّ كل يوم في مدينة إبّ في الزوال. حيث ينزل العامل وصحبه خارج المدينة بنحو (200) متر ثم يعود راكباً بغلته تتقدمه مفرزة من الجيش ومعهم طبلات صغيرة، تشبه طبلة رمضان، ينقرون عليها، ومفرزة ثانية تحيط بهم، وكلهم يترنمون بأناشيد الحرب الحماسية على وزن النقرات. والناس في إبّ لا يعرفون وقت الزوال إلا حين يمر بهم موكب العامل يخترق أهم شوارع المدينة ثم يعود إلى قصره[برشم]

---

(60) المصدر السابق، ص 66.

(61) المصدر السابق.

(62) المصدر السابق، ص 63.

د - رحلة أحمد زكريا 1936 : -

عمل أحمد وصفي زكريا مدة ستة أشهر في اليمن عام 1936 وعندما غادرها نشر كتاباً عنها، وما كتبة في وصف مدينة إبّ شبيه بالكلمات والتعابير لما كتبه أمين الريحاني، ولكن بشكل مختصر حين قال : ((إبّ مسورة قذرة وسط سهل حوله آكام، بيوتها من الحجر أكثرها ثلاث طبقات يكثر فيها الجدري والحمى وأكل القات))(ترشم) ثم يعدد كما فعل الريحاني أنواع الفواكه التي تزرع في إبّ، ولكنه يضيف شيئاً جديد فيقدم لنا إحصائية عن عدد بيوت إبّ عام 1936 ويقول أنها (500) خمسمائة بيت، ومنها (50) دكاناً، وخان كبير، ويقول أن عدد سكانها يبلغ ألفين وخمسمائة نسمة، في حين قال الثعالبي عام 1924م أن عدد سكانها (6000) آلاف نسمة. ويؤكد زكريا مشاهدته لدار الحكومة والحديقة المجاورة للسور، وربما يقصد بساتينها عند الضلع الغربي من سور المدينة.(يرشم)

وتطرق زكريا إلى جبل بعدان، ويذكر قلعة حب أو حصن حَبْ التي يقول عنها إنها متهدمة تظهر فيها أنقاض لدار الحكومة ويصفها بالضخمة، كما رأى سجوناً وحوانيت في الحصن(سمشم) ولم يتوسع زكريا في الحديث عن مدينة إبّ بأكثر من هذا.

هـ - - رحلة نزيه مؤيد العظيم 1937

هو نزيه مؤيد تقي بك العظم الدمشقي ناهض الاستعمار الفرنسي في بلاد الشام , فلجأ الى مصر , وهناك التقى بأحد الباحثين الامريكان الذي كان يريد زيارة اليمن فرافقه اليها في رحلته ,ونشر عنها كتاب (رحلة في بلاد العرب السعيدة من مصر الى صنعاء)بعد عودته الى مصر. وفى الجزء الأول في كتابه هذا يتناول زيارته الى مدينة ابّ ،ويتطرق قبل وصوله الى مدينة ابّ من صنعاء الى نقيل سمارة ،فيصفه بأنة نقيل

---

(63) احمد وصفي زكريا، رحلتي إلى اليمن، دمشق ، 1986، ص172 – 173.
(64) المصدر السابق، ص173.
(65) المصدر السابق.

عظيم يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر 1100م وقد حول الاهلون جنبات الجبال القائمة حول هذا النقيل الى حقول غناء حسب وصفه، حيث زرعوها بناً وقاتاً . ويضيف العظم انه يوجد فى هذا الجبل قرية سمارة وقرية بيت هُدَيَّان وقرية منزل سمارة الواقعة بين هديان وسمارة . ويصف قرية سمارة بالقول إنها أول بلاد الشوافع , وفيها اشجار مثمرة مثل التالوك و الدراف والمشمش و الخروب والجوز و الموز واشجار اخرى غير مثمرة كالطَّنبْ والسنديان و البلوط و العنب وغيرها ،وان شجر العنب يصلح خشباً ،واما (الطَّنَبْ) و السنديان و البلوط فلا تصلح ألا حطباً* . وقد أعجب العظم بمنطقة جبل أو نقيل سمارة، فيقول إنه بعد اجتيازه لقرية سمارة رأى مياها كثيرة وحقولا متسعة مغروسة تتنا و تنباكا وحنطة وشعيرا وذرة صفراء وبيضاء وغيرها من النباتات الصيفية والشتوية حيث تنمو جميعها بعضها الى جانب بعض في فصل واحد وفى آن واحد . ويعلل ذلك بالقول إن هذا ليس بغريب في البلاد العربية السعيدة لقربها من خط الاستواء . من جانب آخر يذكر العظم أنه منذ اجتيازه قرية سمارة رأى اختلافا في أزياء الناس نساء ورجالا . فالنساء يلبسن البرانيط المصنوعة من القش فوق حجبهن ويتركن سواعدهن عارية ويلبسن أثوابا ملونة من الأقمشة القطنية أكثرها من صنع ألمانيا واليابان . أما الرجال فشبه عرايا الا من مآزر يشدونها الى وسطهم وعمائم بيضاء يلبسونها فوق رأسهم , وتختلف جنبياتهم عن جنبيات الزيود , فجنبيات الزيود مستطيلة أما جنبيات الشوافع فمحدوبة* . وكان أكثرهم يحملون شمسيات بيضاء وغلانين طويلة محشوة تنباكا .

---

* ملاحظة : يعد الطنب أو شجرة الطنب في مدينة إب أو ريفها أفضل مصدر للأخشاب المقاومة للمياه أو ألتآكل (التنخر) ولذا فهو من أغلى الأشجار ثمناً ، ويستخدم إضافة للخشب لصناعة الأبواب المنزلية الخشبية ، وسقوف المساجد القديمة والمنازل العريقة بهذه الصفات فضلاً عن إمكان نقشه وحفره وزخرفته بشهولة مع مقاومة للتآكل ، وهذا مخالف لرأي نزيه العظم. (الهامش للدكتور عبدالله الفلاحي).

* يبدو أن العظم وقع في خطأ لأن الجنبية تكون محدوبة (مسلوبة أو أكثر إنحناء وتقوساً أو أكثر استقامة بحسب نوع العسيب إذا كان جفلاً مستقيماً أو صلبة محدوبة أكثر ، والمعروف نوعان من الجفول (العسيب) (بيت الجنبية) في اليمن. (1) العسيب أو الجفل القائم وهو ملبس المشايخ وبقية المواطنين والعسيب أو الجفل المحدوب (يسمى الجلبة) عند اليمنيين ، وهذا يلبسه السادة أو القضاة

بعد أن وصل موكب العظم قرية المخادر أستقر فيها للراحة والنوم وتوجه في صباح اليوم التالي إلى مدينة ابّ فسلكوا هبوطا واديا وعراً ورأى العظم في الجبال المحيطة بالوادي عروقا كثيرة من (الكورتيز) أي الحجر الأبيض الصلب الذي توجد به بعض المعادن الثمينة . ويصف الجبال بأنها مكسوة بالأشجار الكبيرة والصغيرة المثمرة وغير المثمرة . وبعد مسير ساعتين من المخادر تقريبا رأى العظم غيلا كبيرا يشبه أنهار بلاد الشام ينساب بين الوديان انسيابا ثم يخرج الى سهل واسع بالقرب من سوق السبت , حيث شاهد كثيراً من النساء يملأن منه الماء.

يقول العظم إنهم قبل وصولهم الى مدينة ابّ بنحو ساعة من الزمن أخذ الطريق يصعد فى نقيل صعب المرأس يقال له نقيل الذهوب . ويستغرب العظم من أن هذا النقيل مرصوف بالحجارة رصفا . ولعله يقصد بهذا (عقبة الذهوب) .ويضيف العظم : -

((وقد رأينا من رأس هذا النقيل مدينة ابّ العظيمة زاهية زهوا تتيه عجبا ودلالا فوق رؤوس الهضاب والتلال الراكعة تحت أقدامها . وقد إزدانت هذه التلال والهضاب الكثيرة بالنباتات والأشجار . فرأيت فيها الجوز والموز والعنب والرمان والسفرجل والدراق والمشمش والأجاص والفجل والجزر والبقدونس الى غير ذلك من النباتات والأشجار الكثيرة ،وقبل أن نصل إلى البلد بكيلو متر واحد تقريبا وجدنا ابن عاملها على الطريق في انتظارنا . ولما أقبلنا عليه حيانا مرحبا ومهنئاً بسلامة الوصول بالنيابة عن والده إسماعيل بك با سلامة وبالأصالة عن نفسه فرددنا تحيته بأحسن منها وامتطى جواده وسار

والإحداب من الشمال إلى اليمين حال اللباس ، وهناك نوع من الجلب (العسيب) يتجه بالاحداب من اليمين إلى اليسار يلبسه أفراد الفئات الدنيا (المزاينه والجزارين والدراويش) لتميزهم عن غيرهم من الفئات الأجتماعية الأخرى. وهذه لم تعد منتشرة بكثرة في الوقت الراهن. (الهامش للدكتور عبدالله الفلاحي).

أمامنا الى أن وصلنا الى مدينة ابّ وقادنا حضرته الى دار الحكومة حيث أعدوا مكانا لنزولنا))[شمشم]

ويقدم العظم وصفا لدار الحكومة لم يقدمه غيره من الرحالة فيقول إن دار الحكومة تقع فى أول المدينة خلف السور وهى بناية ضخمة مبنية بالحجر الأبيض المنحوت ,ويضيف: -

((وبعد الاستراحة قليلا خرجت الى المدينة فطفت أسواقها وعرجت على جوامعها الكثيرة والجميلة المستعملة مساجد ومدارس في آن واحد . ورأيت بنايات ضخمة قد تداعت أطرافها وهى من أيام حمير مكتوباً على كثير من حجاراتها وأبوابها ومنافذها كتابات مطولة بالخط الحميري. ومررت ببعض المدارس وكان التلاميذ يقرؤون بالجملة كما هي عادتهم وطفت بالأسواق وهى ضيقة لكنها مرتبة ونظيفة ومرشوشة ودكاكينها ملأى بالبضائع الأجنبية والمحصولات الوطنية))[لهشم].

ثم يلتقي العظم بمضيفهم عامل ابّ اسماعيل با سلامة بعد عودتة من جولته فى المدينة حين زارهم في مقر إقامتهم بدار الحكومة, ويصفه بالقول : -

((جاءنا العامل اسماعيل باسلامه يرفل بأثوابه الحريرية وعمامته البيضاء وحسامه المذهب اليماني وسلم علينا))وقد أبدى العظم سعادته ورفاقه في الرحلة بلقائه خصوصا أنهم قد سمعوا عن لطفه وأنسه الشيء الكثير .وبعد هذه التحية سأل العظم باسلامة عن عدد نفوس مدينة ابّ فأجابه (نحو عشرين ألف) كما سأله عن

---

(66) نزية مؤيد العظم , رحلة فى بلاد العرب السعيد من مصر الى صنعاء ,القاهرة ,الجزء الأول , ص 289. انظر أيضا الاكوع الحوالى ,حياة عالم وأمير ,ص 407 حيث أشار الى رحلة العظم ونقل عن كتابه هذا .

(67) العظم – المصدر السابق , ص 290.

الصناعات الموجودة فى المدينة , فأجابه باسلامه أن الزراعة هي أهم الصناعات في مدينة إبّ فمعظم أهلها وما يتبعهم من القرى والدساكر يشتغلون بالزراعة . وعدد له أهم المحاصيل وهى :البن والقات والأثمار بأنواعها والخضروات والحبوب كالذرة والشعير والحنطة والتتن والتنباك . ثم انتقل العظم فى أسئلته إلى عامل إبّ باسلامه بالاستفسار عن طرق المواصلات التي تربط صنعاء بحضرموت ولحج فأجابه باسلامه: -

((أن طريق القوافل كان قديماً يمر بحضرموت الى البيضاء فرداع فذمار فصنعاء . فقلت وهل يوجد بين صنعاء ولحج طريق غير الطريق الى نتبعها نحن فى رحلتنا ؟فأجاب :نعم يوجد طريق تمر بصنعاء ذمار، يريم،السدة،قعطبة، الضالع،يافع ،لحج،ويقال لهذه الطريق الشرقية وهى أسهل من الطريق التي اتبعناها نحن في هذه الرحلة ولكنها أطول منها ويمكن للجمال المحملة ان تسير عليها بسهولة))[68].

وكان من جملة الأسئلة التي وجهها العظم الى باسلامة موضوع اليهود فى مدينة إبّ، فأجاب أنه يوجد في المدينة يهود ولكنهم قليلون ويشتغلون بالأشغال اليدوية كالنجارة والحدادة والبناء والترقيع والحياكة وغيرها* . ثم طلب العظم من العامل باسلامه أن يسمح له بأن يزوره حاخام اليهود ليلا للقائه . فوعده العامل بارساله إليه .

وفى المساء جاء حاخام اليهود حسن جمل، وهو رجل هرم بلغ من العمر عتيا، وجرى بينه وبين العظم حوار بشكل سوآل من العظم وجواب من الحاخام الذى أوضح له أن عدد اليهود فى مدينة ابّ يبلغ نحو ماتين وخمسين شخصا يتعاطون المهن اليدوية كالغزل والحياكة والنجارة والترقيع والحدادة والبناء الى غير ذلك وأنهم جاءوا إلى

---

(68) العظم المصدر السابق , ص 291.

* وكذلك صياغة الحلي الذهبية والفضية النسائية ومياسم الجنباي.

اليمن بعد خراب الهيكل في أورشليم أي منذ 2225سنة وأضاف أنه لا يوجد يهود من سكان اليمن الأصليين. وأجابه عن أسئلة أخرى أوضح الحاخام للعظم فيها أنه لم يهاجر منهم أحد الى فلسطين ولكنه يوجد بينهم وبين الصهاينة فى فلسطين علاقات ومراسلات ، فهم يكتبون الى يهود إبّ أحيانا ويرسلون لهم الجرائد والنشرات أحينا أخرى،وأضاف الحاخام أنه لايوجد لديهم المال الكافي للهجرة الى فلسطين ، ولوأن الصهاينة فى فلسطين أرسلوا لهم المال لهاجر كثير منهم الى هناك ،علماً أن الحكومة اليمنية منعت الهجرة . وقد إستغرب العظم كثيراً من صراحة الحاخام عندما سأله ماذا يعنى اليهود بأرض الميعاد ؟ فأجابه أنها فلسطين التى سيعود إليها جميع يهود العالم وهذا الشيئ مكتوب فى التوراة وأن البريطانيين سيملكونها ، ولكن في نهاية الأمر سيظهر المسيح الموعود وينتهي بظهوره كل حكم غير يهودي على هذه الأرض وسيتهود جميع العالم وتزول جميع السلطات والحكومات(69).

كانت ليلة لقاء الحاخام فى مدينة إبّ هي الليلة الوحيدة والأخيرة التي قضاها فيها نزيه العظم . ففي الصباح غادرها مع رفاق الرحلة مبكرين من إبّ الى مرحلتهم الأخيرة وهى قرية ماوية .

5 - كوارث الطبيعة في مدينة إب :

واجه اليمن في تاريخه على مر العصور كوارث طبيعية سواء من الزلازل أو من إنتشار الأوبئة الفتاكة أو من القحط والمجاعة . وكانت مدينة إبّ وما حولها واحدة من المناطق التي عانى سكانها من الكوارث الطبيعية التي قتلت كثيراً من الناس . وقد مكنتنا المصادر والمراجع المتوافرة من إلتقاط نماذج من الكوارث الطبيعية التي ألمت بمنطقة إبّ عبر التأريخ .

يقول الخزرجى في العسجد المسبوك إنه في يوم الجمعة السادس من شهر ربيع الآخر عام 549 هـ وقع زلزال في اليمن من صنعاء إلى عدن ، هلك فيه كثير من الناس

---

(69) العظم ، الصدر السابق ,ص 293—294 .

وأنهدمت العديد من الحصون والقرى والمساكن ومنه حصن حب الذي انهدم قسم منه وقتل فيه ثمانية أشخاص . كذلك أنهدم في ريمان منزل مسلم ابن حسين فمات فيه خمسة أشخاص ومنزل عيسى بن احمد. وانهدم في بعدان إلى رأس وادي مرارة عدة مساكن ومنازل ولم يتوف فيها أحد ، وانهدم في السحول دار أبن العزب فمات فيه سبعة أشخاص (لح لها).

أما مدينة إبّ فقد أصابها البلاء وانهدمت وتوفي نتيجة ذلك ثلاثمائة وسبعون شخصاً، وهو عدد كبير قياساً بسكان المدينة . ويضيف الخزرجى أن منزل الظهر قد انهدم ومات فيه اثنان وثلاثون شخصاً وانهدم منزل الكربك ومات فيه تسعة عشر شخصاً كما تأثرت بالزلزال مدينة جبلة وتشققت بعض قصورها ودورها ومات فيها شخصان(□ لها).

وقد كتب الفقيه أحمد بن محمد البريهي قصيدة حزينة بهذه المناسبة جاء فيها :

خليلي من ذا (في الدنا) أو (الذي) عيشه طابا فلا تحزن أن ناب إب الذي نابا(بر لها)

فآدم في الفردوس ما طاب عيشه ولا طاب في الدنيا وإن كان قد تابا(73)

لقد أوضح الخزرجى ونقل عنه ابن الديبع بأن هذا الزلزال قد سببه سقوط حجر من السماء (نيزك) في منطقة الصلاحف وتقع في الجنوب الشرقي من مدينة جبلة وهي منطقة زراعية خصبة فيها عين ماء غزيرة . وقد أدى سقوط النيزك إلى حدوث الزلزال . ويصف الخزرجى حالة سقوط النيزك فيقول:

---

(70) شمس الدين أبو الحسن ابي بكر بن الحسن الخزرجي ، العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك ، (مخطوط) في مكتبة المركزالثقافي في مدينة إب ، الورقة رقم 132.

(71) المصدر السابق ، الورقة 134.

(72) البيت الأول مختل الوزن وهو محرف عن أصله.

(73) عمر بن علي بن سمرة الجعدي ، طبقات فقهاء اليمن ، بيروت، 1981 ، تحقيق فؤاد سيد ، ص 159.

(وانشقت السماء وسط النهار وظهر نجم وبعده دخان في المخلاف الأخضر ، وحصلت بعد ذلك زلزلة شديدة في اليمن من صنعاء إلى عدن هلك فيها عدد كثير من الناس وانهدم كثير من الحصون والمساكن على أهلها)[74]

ومن الكوارث الأخرى التي سجلها المؤرخون اليمنيون ، انتشار الطاعون في اليمن في أواخر القرن التاسع الهجري ، أي في أواخر حكم الرسوليين ، وكان انتشاره في اليمن عام 839 هـ ومات بسببه من أعيانها الكثير ، ومنهم الفقيه محمد بن عبد الله الكاهلي الذي كان مدرسا في مدينة إبّ ،والمقريءتقي الدين عمر بن عيسى الخطيب المدرس في جامع إبّ الكبير .ويذكر البريهي في طبقاته أن الخطيب كان يدفن الغرباء الذين يموتون بالطاعون ويحملهم الى مقابر مدينةإبّ ، وفي آخر خطبة جمعة له كان في الجامع الكبيرمائة وثلاثة عشر جنازة ،فعزى الناس بموتاهم وودعهم لانه كان يشعر بأصابته بالطاعون ،ونزل من المنبر وهو يبكي ولم يستطع ان يصلي الجمعة بالناس وتوفي خلال اسبوع[75]. ويبدو أن وباء الطاعون استوطن منطقة مدينة إبّ ، فقد عاد إليها بعد حوالي عشر سنوات ففي عام 848هـ توفي في مدينة إبّ المقرئ عفيف عثمان بن عمر الناشل ، بعد أن اجتاحها الطاعون[76]. ثم عاد إليها بعد حوالي مائة سنة . وكان ابتداء وباء الطاعون من مدينة إبّ وجبلة ونواحيهما فمات كثير من الناس ، ثم أنتقل

---

(74) ابي الضيا عبد الرحمن بين علي الديبع ، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، حققه وعلق عليه محمد بن علي الأكوع الحوالي ، صنعاء ، 1988 م ص 257 وسارمز له (ابي الديبع ، قرة العيون)

(75) أبي الضياء عبد الرحمن بين علي الديبع ، الفضل المزيد على بقية المستفيد من أخبار مدينة زبيد ، تحقيق د . يوسف شلحد ، بيروت ، 1983 م , ص 113 ، وسأرمز له (ابن الديبع ، الفضل المزيد) ؛عبدالوهاب بن عبد الرحمن البريهي،طبقات صلحاء اليمن،تحقيق عبدالله الحبشي،صنعاء بلا،ص ص 94- 95 ، 110-111.

(76) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص 118 .

إلى تعز وأعمالها ومن ثم إلى صنعاء وكان ذلك عام 933 هـ، ويقول عنه بافقيه أنه لم يعهد مثله منذ مائة سنة(77).

وقد وصفه شرف الدين في مخطوطه روح الروح بالقول :

(وفي أول شعبان من السنة المذكورة [933 هـ] وقع الطاعون الذي جرَع أكثر الأمة المنون ، وعم الحاضر والباد وأفنى أكثر البلاد ، وشهر حمامه وحسامه، وبسط في الجو غمامه وأمطر صوب الحتوف وأفنى جملة الألوف ، وعطل في المدينة الدور ، وأخلى القصور)(78)

ومن الكوارث الطبيعية الأخرى التي ألحقت بمدينة إبّ خاصة واليمن عامة الموت والدمار المجاعة والقحط بسبب عدم نزول الأمطار في اليمن في بعض السنين . وقد أشار المؤرخون اليمنيون إليها. ولا شك أن منطقة إبّ هي الأكثر تأثراً من المناطق الأخرى لان حياتها تتوقف على الأمطار . ففي سنة 983 هـ ضعفت الأمطار في الصيف وفي الربيع وأصاب اليمن عموماً قحط كبير وأعقبه وباءً، لم يحدد المؤرخون نوعه أنتشر في اليمن وتسبب في وفاة كثير من الناس بما فيهم أفراد من عائلة شرف الدين الزيدية(79).

وبعد مرور حوالي مائة سنة أي عام 1088 هـ / 1678 م . عادت المجاعة فعمت اليمن الأسفل، بحيث إن قرى عديدة قد هجرها سكانها. ومن مظاهر هذا الجوع في مدينة إبّ ، أن الناس كانوا يموتون في بيوتهم . ويذكر شاهد عيان في مدينة إبّ أنه دخل بيتاً من بيوتها فوجد فيه سبعة موتى ثم دخل بيتاً آخر فوجد فيه رجلاً في أخر

---

(77) محمد بن عمر الطيب بافقيه ، تأريخ الشحر وأخبار القرن العاشر ، تحقيق عبد الله محمد الحبشي ، صنعاء 1999 م ، ص 183 .

(78) عيسى بن لطف الله شرف الدين ، روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح، تحقيق إبراهيم بن أحمد المقحفي ، صنعاء 2003 م، ص 77 .

(79) المصدر السابق ، ص 196 .

رمق و إمرأة ميتة يرضعها طفلها. فحمل الطفل إلى راعي غنم ليرضعه من أغنامه ، ثم غادر مدينة إبّ هارباً منها . وكان جمال الإسلام علي ابن المتوكل على الله قد توجه إلى إبّ وعندما شاهد مآسيها لم يتمكن من المكوث فيها فعاد إلى ذمار فورا (80) .

إن أحداث القحط والغلاء كثيرة في تأريخ اليمن بسبب إعتماده على الأمطار ، حيث لا توجد أنهار تجري باستمرار في أرضه .

وقد ارتبطت مع القحط والجوع والغلاء أحداث عنف واعتداء بين القبائل أحيانا. ففي سنة 1238 هـ / 1823 م وقع قحط في اليمن وكان له تأثيره على مناطق إبّ وما حولها ، ولذلك جاء ذكره في مخطوط حوليات يمانية الذي عاصره وشهده مؤلف المخطوط حيث قال :

((ودخلت سنة 1238 هـ وفيها وقع القحط والغلاء في المشارق ، وأجدب القبائل بكيل واشتد بهم الحال وجارهم النكال من الملك المتعال ، فعزموا إلى سوق العنان ، وجمعوا شورهم [رأيهم] أنهم يخرجون إلى المهدي أن يسلم لهم كفايتهم سنة وإلا رحلوا من اليمن لما عرفوه بالخير والخصب ، وقد تألفوا به من السنة الماضية ، ويستوطنوه ويرفقوا بالرعايا ، فخرجوا خرجة رجل واحد صغارهم وكبارهم ، ونساؤهم متشكلات بأشكال الرجال ، وحطوا على أبواب صنعاء ونهبوا وقتلوا ، فلما علم الإمام خبث نياتهم وطلبوا من الغلبات التي لا يسعها المعقول ، وما هم فيها وإنما يريدون اليمن ، فتصاغى [أعرض] عنهم ، وكتب إلى جميع الجهات بالاحتراس منهم فعزموا اليمن ، بقصود ما بعد صنعاء ، وباب اليمن وذمار وإب

---

(80) عبد الله علي الوزير ، تاريخ اليمن خلال اقرن الحادي عشر الهجري . السابع عشر الميلادي ، 1045 – 1090 هـ / 1635 – 1680 م ، المسمى تأريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى ، تحقيق محمد عبد الرحيم حازم ، صنعاء ، 1985 م ، ص 351 .

وتعز ، وذلك بغيتهم يجعلوها وطناً فلما وصلوا سمارة ، وكل واحد طرح عربونه في محل وتقسموه جميعاً ، كأنه خلفه لهم أبوهم ميراثاً ، ولما قد ضاق الخناق بالرعية في اليمن من العمال قد جاروا عليهم ، مثلما المشايخ الآن ، (وكود الرعوي)* [يتحمل فوق طاقته] يدفع حتى كأنه لم يمسك شيء ، والجيد والبطل من أكل لقمة فأذعنوا لبكيل وملكوه من ذلك التأريخ سنة 1238 هـ إلى سنة 1256 هـ ملكوه غصباً وقهراً ، واستوطنوه وتزوجوا منه ، ونسوا المشرق ، حتى أخرجهم الفقيه سعيد(□□) . . في سنة ست وخمسين وثنتين وألف))(بر□)

وفي عام 1323 هـ / 1905 م، قل نزول الأمطار في اليمن وهلكت الدواب وعانى الناس من الجوع في الوقت الذي استعرت فيه الحروب بين الإمام يحيى والأتراك العثمانيين(تر□)

---

* لفظة أو مصطلح (كود الرعوي الواحد) تشبه لفظة بالكاد أو تصريف لها ، وتعني عند أهل إب خاصة واليمن عامة الإمكانات والطاقات المحدودة لأي عمل وندرة الفرص المتاحة التي يتطلبها إنجاح المهمة أو مواجهة الصعوبات فيقال : كَوْدِحْنَا وصلنا ، كَوْدِحْنَا نجحنا ، كودنا دفعنا حقنا فقط، كودنا أصرف لنفسي فقط ، أي يا الله أمشي حالي أو أحل مشكلتي الخاصة. وكما يقال كود السَّوسَبَة تسقي أو تغطي عِرّقه أي أسفلها وجذرها وهو مثل يستخدم للتدليل على عدم القدرة على مساعدة الغير والاكتفاء بمساعدة الذات. (الهامش للدكتور عبدالله الفلاحي).

(81) الفقيه سعيد ، متصوف أعلن رفضه أعتداء بعض القبائل على البعض الأخر في منطقة إب وما حولها ، وقضى على هذه الحالة إلى أن أعدمه الهادي في مدينة إب وسيأتي ذكره في الفصل الثاني من الكتاب .

(82) المؤلف مجهول ، حوليات يمانية في سنة 1224 هـ إلى سنة 1316 هـ ، أو اليمن في القرن التاسع عشر الميلادي ، حققه واستخرجه من مسودة المصنف /عبد الله محمد الحبشي ، صنعاء 1991م ص ص44 –45 .

(83) عبد الله بن عبد الكريم الجرافي اليمني، المقتطف في تأريخ اليمن، بيروت ، 1987 م،ص ص 291.290 .

وأخيراً لا بد من أن نشير إلى أنّ الآفات الزراعية أدت إلى حدوث قحط وشحة في المنتجات الزراعية في منطقة إبّ ، وكان سببها أيضاً قلة الأمطار وشدة العطش ، فقد كتب الحوالي الأكوع أنه في عام 1332 هـ / 1915 م وفي شهر سبتمبر -أيلول فوجئ المزارعون أن ثمرة الذرة والتي هي المصدر الأساسي لقوت الناس في منطقة إبّ حسب قوله، قد أصيبت بآفة (العسال) ,هو مرض يصيب الذرة بجميع أنواعها عندما تقل الأمطار ويصاب الزرع بالعطش ، حيث تظهر حشرة تشبه القملة تقوم بامتصاص ثمرة الذرة وقصبها إلى أن تقتلها. ويقول : الأكوع الحوالي : أن هذه الآفة الزراعية قد جاء ذكرها لدى المؤرخ البريهي الإبي في تأريخه وهو من أعيان القرن التاسع الهجري ، كما ظهرت مرة أخرى في خمسينات القرن الرابع عشر الهجري . وكان لها أثرها في غلاء الأسعار وتسببت في مجاعة الفقراء من الناس([illegible])[84].

(84) الأكوع الحوالي ، عالم وأمير ، ص ص 242 - 243

الفصل الثاني

إبّ في تأريخ اليمن الإسلامي والحديث

أولاً : إبّ في تأريخ اليمن الإسلامي : -

1 - دور قبائل إبّ في الفتوحات العربية الإسلامية

لم تتوافر لنا مصادر أو مراجع تؤشر أسماء القبائل التي انطلقت من مدينة إبّ أو منطقتها للمشاركة في الفتوحات العربية الإسلامية بعد إسلامها.. ولكن المصادر والمراجع التاريخية تذكر بشكل واضح أن مناطق (بعدان وريمان والشعر وحبيش وذي السفال) هي أول المناطق اليمنية التي أسلمت. وكان سكانها أول القبائل اليمنية التي وصلت المدينة المنورة للمشاركة في فتوح الشام ومصر والعراق، بعد أن أسلم ملكها الحميري، كبير أقيال قبائل حمير، (سميفع بن يعفر ذو الكلاع).

ولكي تكون الصورة واضحة لا بد أولاً من أن نحدد منطقة حكم ذي الكلاع الحميري إذ يبدو أن (مخلاف ذي الكلاع) قد ضم إليه أو أصبح تحت سيطرته في هذه المرحلة مخاليف أُخَرَ مثل مخلاف جعفر ومخلاف السحول ومخلاف بعدان. فالهمداني في صفة جزيرة العرب، وعند حديثه عن جبال السراة وأوديتها في اليمن يقول إن بعدان وريمان والشعر وميتماً والتعكر من بلد الكلاع[1] ويضيف في موضع آخر:((من بلد الكلاع نخلان والثجة والسحول والملحة وظبا وقلامة ومذيخرة وريمة وقرعد وحرقة وموضان والحنن والربادي وتعكر والزواحي))ويعلق الاكوع في الهامش قائلاً ((والكلاع بالفتح كان يطلق في القديم على العدين وبلاد ذي السفال وبلد حبيش وبلاد إبّ))[2]

---

(1) الهمداني، الصفة، 141

(2) المصدر السابق، ص118.

وقد مدح الأعشى هذه المنطقة فانشد قائلاً: -

ببعـــدان أو ريمـــان أو رأس (ســـليةٍ)

شـــفاء لمـــن يشـــكو السَّـــمائم بـــارد

بـدأ حكـم هـذه المنطقـة سُـمَيْفَع أَشْـوَع ذو الكـلاع الـذي تـولى رئاسـة الدولـة الحميرية في عصرها الثالث بعد نهاية ذي نواس عام 525م ليصبح ملك حمير بعد أن اجتمعت تحت قيادته قبيلة الكلاع وبقية قبائل حمير من غير الكلاع، وامتد حكمه إلى عام 533م.[تر]

وفي عهد سميفع بن يعفر ذي الكلاع الملقب بذي الكلاع الاصغر، ظهرت الدعوة الإسلامية، وكان سُميفع قيلاً[ير] بمخلاف الكلاع وقائداً لكتائب وفرسان حمير في الحروب منذ عهد سيف بن ذي يزن ومقره قصر (ومُصْنِعَة) وحاظة في عزلة شُبع بناحية حبيش. وقد أسلم سميفع بن يعفر ذو الكلاع عندما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله البجلي إليه وإلى الحارث بن عبد كلال ذي رعين وملوك حمير يدعوهم إلى الإسلام[سم]

مكث سميفع ذو الكلاع ملكاً قيلاً على مخاليف الكلاع وهي مناطق إبّ وحبيش والعدين وذي السفال، وفي إطار ولاية معاذ بن جبل الذي عينه النبي العربي الكريم محمد صلى الله علية وسلم عاملاً على اليمن عام (9هـ). وعندما أدعى الأسود عبهلة العنسي النبوّة في صنعاء وسيطر عليها، كتب النبي محمد صلى الله عليه وسلم كتإبّاً إلى ذي الكلاع يطلب منه التعاون للقضاء على الأسود العنسي، لأن ذا الكلاع كان رئيساً في قومه مطاعاً متبوعاً. وأرسل النبي صلى الله علية وسلم الكتإبّ مع جرير

---

(3) الهمداني, الإكليل، جـ2، ص ص265 – 266؛ محمد حسين الفرح، الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير، صنعاء 2004، المجلد الثاني، ص1063. وسأرمز له (الفرح، الجديد)

(4) القيل هو موقع قيادي متقدم في تاريخ اليمن

(5) الفرح، الجديد، المجلد الثاني، ص ص1168 ، 1205.

بن عبد الله البجلي. ولم يكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلا لذي الكلاع وذي ظلم دون سائر أقيال حمير، لأن ذا الكلاع كان القائد الحربي العام لقبائل حمير جميعها، وكان ذو ظلم نائب ذي الكلاع ومساعده في قيادة حمير. كما بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى عمير ذي مران وسعيد ذي زود لانهما قائدا قبائل همدان (حاشد وبكيل) في الحروب. كما بعث صلوات الله عليه إلى معاذ بن جبل لأنه أمير جميع عمال اليمن. فانطلقوا جميعاً بقواتهم إلى صنعاء، وتمكنوا من القضاء على الأسود العنسي وأصحابّه. واستقر والي اليمن معاذ بن جبل في صنعاء. وسار جرير يحمل خبر الانتصار ومعه ذو الكلاع وذو عمرو إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وصل إليهم وهم في الطريق، فعاد ذو الكلاع وذو عمر وحمّلا جريراً السلام إلى خليفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق رضي الله عنه.(شم)

وعندما بعث الخليفة أبّو بكر الصديق رضي الله عنه انس بن مالك الأنصاري إلى اليمن يستنفر أهلها لفتح الشام وتحريرها من الروم أواخر سنة 12هـ، كان أول المواكب التي استجابّت وانطلقت من اليمن هو موكب ذي الكلاع وكان أول من وصل إلى المدينة المنورة بقواته هو سميفع بن يعفر ذو الكلاع.

يقول عبد الله الواقدي أنه عندما رجع انس بن مالك من اليمن إلى إبّي بكر رضي الله عنه قال له:

((يا خليفة رسول الله، والله ما قرأتُ كتابّك
على أحدإلا وبادر إلى طاعة الله ورسوله،
وأجابّ دعوتك، وقدأقبلتُ إليك مبشراً بقدوم
إبّطال اليمن وشجعانها وقد تجهزوا في العُدد
والزرد والنضيد وساروا إليك بالذراري
والأموال، وكأنك بهم قد أشرفوا عليك،

(6) المصدر السابق، ص ص1205 – 1207؛ محمد حسين الفرح، اليمن في تاريخ إبن خلدون، صنعاء 2001، ص ص 235 – 236. وسأرمز له (الفرح، ابن خلدون)

فتأهب إلى لقائهم. فسر إبّو بكر بقوله سروراً عظيماً وأقام يومه ذلك، حتى إذا كان من الغد لاحت غبرة القوم لأهل المدينة فأقبلوا إلى إبّي بكر فأخبروه، فركب مع أهل المدينة وأظهروا زينتهم ونشروا الأعلام الإسلامية، فما كان إلا القليل حتى أشرفت الكتائب والمواكب يتلو بعضها بعضاً، فكان أول قبيلة وصلت من اليمن قبيلة حمير وهم بالدروع والبيض [الخوذات] والسيوف وإمامهم ذو الكلاع الحميري رضي الله عنه، فلما قرب من أبّي بكر الصديق رضي الله عنه أشار بالسلام وأنشد:

أتتك حميرُ بالاهلين والولد
أهل السوإبّق والعالون بالرتب
أسدٌ غطارفة، شوس عمالقة
يُردوا الكماة غداة الحرب بالقُصب
الحرب عادتنا، والضربُ همتنا
وذو الكلاع دعا في الأهل والنسب
دمشق لي دون كل الناس أجمعهم
وسالبيها سأهويهم إلى العطب

فتبسم أبّو بكر الصديق من قوله)) (7)

(7) الفرح، الجديد، المجلد الثاني، ص ص 1207 – 1208؛ الفرح، ابن خلدون، ص ص274 - 275

وقال الطبري في تاريخ الأمم والملوك ((قدم على أبّي بكر الصديق أوائل مستنفري اليمن وفيهم ذو الكلاع الحميري))[8]

وقال المسعودي في مروج الذهب:

((قدم إلى أبّي بكر ملوك اليمن، وعليهم الحُلل، والحُبر ،وبرود الوشيّ المثقل بالذهب، والتيجان، فلما شاهدواما على أبّي بكر وأصحابّه من اللباس... ذهبوا مذهبه ونزعوا ما كان عليهم وكان ممن قدم على أبّي بكر من ملوك اليمن ذو الكلاع، ومعه ألف عبد دون من كان من عشيرته،وعليه التاج وما وصفنا من البرود والحُلل، فلما شاهد ما عليه أبّو بكر تزيا بزيه ففزعت عشيرته لذلك و كلموه – فقال لهم ذو الكلاع: أفأردتُم أن أكون ملكاً جباراً في الجاهلية والإسلام؟لا ها الله، لا تكون طاعة الرب إلا بالتواضع والزهد في الدنيا))[9]

وكان مع ذي الكلاع كوكبة من أقيال حمير الملوك وأبّناء الاقيال الملوك، منهم عفير بن زُرعة بن سيف بن ذي يزن، وإبّرهه بن الصباح الحميري وكريب بن إبّرهة بن الصباح، وحسان بن كريب بن مشرح بن عبد كلال بن ذي رُعين، وحوشب ذو ظليم، وغيرهم.

---

(8) الفرح، الجديد، م2، ص1208، نقلاً عن الطبري، تاريخ الرسل والملوك الجزء الثاني، ص85.

(9) المصدر السابق، ص1209، نقلاً عن المسعودي في مروج الذهب جـ2، ص305

أصبح ذو الكلاع من قادة موقعة اجنادين في فتوح الشام التي وقعت سنة 13هـ، فقد كان خالد بن الوليد في قلب الجيش ومعه عمرو بن العاص وعبد الله بن عمر وقيس بن مكشوح ألمرادي، وذو الكلاع الحميري ورافع بن عميرة الطائي[10]

وفي موقعة اليرموك تم تقسيم الجيش العربي الإسلامي إلى 36 كردوساً*، كل كردوس يضم الف مقاتل، مقسمة إلى ميمنة وقلب وميسرة، وأصبح ذو الكلاع قائداً لأحد كراديس الميمنة. وكان معه أيضاً قادة يمنيون لكراديس في الميمنة كل واحد على كردوس وهم: شرحبيل بن حسنه الكندي، والسّمْط بن الأسود الكندي، ومعاوية بن حُديج السكوني، وجُندب بن عمرو بن حُممة وعمرو.[11]

وفي هذه المعركة جرح ذو الكلاع عندما برز لمقاتل (علج قائد من علوج الروم).[12] لكن ذلك لم يمنع ذا الكلاع من مواصلة القتال في المعارك القادمة. ففي حصار الجيش العربي الإسلامي للروم في مدينة دمشق، قام ذو الكلاع وفرسان حمير بدور بالغ الأهمية، فقد جاء في الطبري أن أبا عبيده بعث ذا الكلاع وقواته إلى موقع بين دمشق وحمص، حيث تصدى لقوات الروم التي أرسلها هرقل لنجدة قواته في دمشق المحاصرة. وجاء في تاريخ إبّن خلدون أنه لما هزم ذو الكلاع قوات النجدة التي أرسلها هرقل ملك الروم وأيقن الروم وأهل دمشق أن المد لا يصل إليهم فشلوا ووهنوا واستسلموا بعد أن صمدوا لحصار دام ستة أشهر. وكان من بين القادة الذين دخلوا دمشق مع أبّي عبيدة، ذو الكلاع الحميري. وذلك في سنة 14هـ.[13]

---

(10) المصدر السابق، ص1210.

* الكردوس لفظة تركية تعني وحدة فرقة عسكرية أو كتيبة أو لواء أو فيلق بالمسمى الحديث ، وهي لفظة مستخدمة في الجيش العراقي ، وربما بالشام أيضاً. (الهامس للدكتور/ عبدالله الفلاحي).

(11) المصدر السابق، ص1210؛ الفرح، ابن خلدون، ص ص277 – 279.

(12) الفرح، الجديد، ص1211 نقلا عن فتوح الشام للواقدي

(13) المصدر السابق، ص ص 1211 – 1212؛ الفرح، ابن خلدون، ص ص 282 – 283

ثم كان ذو الكلاع من قادة النصر على الروم في موقعة فحل سنة 15هـ التي قادت إلى فتح حمص. قال البلاذري وكان يقود المسلمين عند دخول حمص السمط بن الأسود الكندي وذو الكلاع الحميري وكتائب حمير وقبائل من كندةوالسكون، وقد استقر كثير منهم في حمص. واختط ذو الكلاع داراً له في حمص، وشهد مع أبّي عبيدة فتح قلعة الرستن إلى حماة وحلب سنة 16هـ.(14) وفي أواخر سنة 19هـ شهد ذو الكلاع الحميري وعديد من أقيال حمير وكتائبها فتح مصر مع عمرو بن العاص. واستقرت في مصر عشائر من الكلاع. وتذكر المصادر أن الخليفة الفاروق عمر بن الخطابّ رضي الله عنه كتب سنة 21هـ إلى عمر بن العاص يأمره بفتح أهناس والبهنسا وصعيد مصر، وكان ذو الكلاع الحميري من بين الذي عقد لهم إبّن العاص لواء القيادة، فشارك في فتح مرج دهشور والبهنسا، وكانت حرب البهنسا من أشد الحروب، حيث أنشد فيها ذو الكلاع قائلاً:

إنـي لِـن حِمـير العـالين في النسـب

أهـل الثنـاء وأهـل الجـود والحسـب

الحـرب عادتنـا والطعـن همتنـا

وذو الكـلاع أنـا، عـال علـى الرتـب

تبَّـت يـد الـروم مـا يـدرون أنَّ لنـا

صـوارماً تـترك الأعـداء كالقصـب

وقد تتوجت الحرب بفتح البهنسا، وكان ذو الكلاع ثالث من دخل مدينة البهنسا. وبفتحها استتب الأمر في إقليم البهنسا وصعيد مصر.. وسار ذو الكلاع وقواته بعد ذلك إلى الفسطاط ثم اتجهوا مع عمر بن العاص إلى مدينة إلى مدينة مريوط في طريقهم إلى الإسكندرية، ولكنهم عندما وصلوا مريوط، مرض ذو الكلاع الحميري مرضاً

---

(14) الفرح، الجديد، ص ص1212 - 1213

شديداً وتوفي فيها سنة 23هـ[15] فكانت نهاية آخر الملوك الحميريين في بلاد الكلاع باليمن.

2 - إبّ في عهد الدويلات اليمنية

تأثر مخلاف جعفر الذي كانت مدينة إبّ بمثابّة عاصمة له بالمتغيرات والصراعات التي ظهرت بقيام الدويلات اليمنية منذ القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد فخضعت هذه المنطقة لمن كان أقوى من هذه الدويلات ،ويظهر هذا واضحا منذ البداية عندما أرسل الخليفة العباسي المأمون إلى اليمن محمد بن عبد الله بن زياد بن أبّيه للقضاء على الاضطرابّات والتمرد ضد الخلافة فيها، وقد تمكن من إخضاع مخلاف جعفر ومخلاف الجند في بلاد إبّ [16] وسيطر على معظم مناطق اليمن الجنوبية والشمالية .ونتيجة لسيطرة الأتراك على الخلافة العباسية منذ عهد المعتصم (218 – 227 هـ) واضطرابّ الأوضاع بعد مقتل الخليفة العباسي المتوكل عام 247 هـ وموت الخليفة العباسي المنتصر مسموما ، وخلع الخليفة العباسي المستعين (248 - 252 هـ) قام آل زياد بالانفصال عن العباسيين وأصبحت التبعية لهم اسمية في اليمن متمثلة في الدعاء للخليفة العباسي على المنابّر بينما توارث السلطة في اليمن أبّناء زياد من بعده فأطلق عليهم اسم دولة بني زياد[17] .

لم يدم استقرار دولة بني زياد المحسوبين إسميا على العباسيين طويلا بعد أن أصبحت اليمن مركزا للدعوة الإسماعيلية عام 268 هـ إضافة إلى نشاط الدعوة

---

(15) الفرح، الجديد، ص ص1213 –1215.

(16)وجيه الدين الحبيشي الوصابي ، تاريخ وصاب ، الاعتبار في التواريخ والآثار، تحقيق عبد الله محمد الحُبشي – صنعاء – 1979 ، ص 22 ؛ الخزرجي،العسجد،ورقة97؛ الحداد،التاريخ العام،ج2،ص98؛ عصام الفقي،المصدر السابق،ص2.

(17) تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني، بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق عبد الله محمد الحُبشي صنعاء، 1988، ص 41 ؛ عصام الفقي – المصدر السابق ص ص 22-23.

الزيدية ، فصار الصراع على اشده في اليمن بين هذه القوى وانعكس على الجانب السياسي والوحدة اليمنية .

وكانت إمارة آل يعفر (الحواليين) (256 – 392 هـ / 870 -1002 م) هي واحدة من القوى السياسية التي تمكنت من الاستيلاء على مخلاف جعفر وإخراج آل زياد منه في زمن أميرهم قحطان بن عبد الله بن إبّراهيم بن محمد بن يعفر الحوالي الذي جاء إلى الحكم عام 352 هـ(□□) . وقد دخل قحطان مدينة إبّ عاصمة المخلاف في مستهل عام 380 هـ وأقام فيها ثم انطلق من مدينة إبّ إلى بقية أنحاء مخلاف جعفر وقضى على مناوئيه فيه وسيطر عليه وأنإبّ عنه فيه آل الكرندي الذين كانوا في الأصل نوإبّا لآل زياد في مخلاف جعفر ومخلاف الجند(□□) .وآل الكرندي هم من قبائل حمير لح بر وصار المخلافان جعفر والجند حداً فاصلاً بين الدويلتين الزيادية واليعفرية ومسرحاً للخلاف والحرب بينهما(□ بر) .

وعندما قامت الدولة الصليحية (439 - 535 هـ) استولى مؤسسها أبّو الحسن علي بن محمد الصليحي على مخلاف جعفر ومخلاف الجند ومخلاف المعافر عام 450هـ وولى أخاه عبد الله بن محمد الصليحي على مخلاف جعفر الذي اتخذ من حصن التعكر مقراً له . وانتهى بذلك حكم آل الكرندي في مخاليف جعفر والجند والمعافر.(بر بر) بقي مخلاف جعفر تحت سيطرة الصليحيين إلى أواخر عهد الملكة السيدة أروى الصليحية (484 – 532 هـ)عندما ظهرت دويلة آل زريع (460 – 569 هـ /

---

(18) الحداد – التاريخ العام – ج/2 ص 107 .

(19) اليماني ، بهجة الزمن ص 59 ؛ يحي ، التاريخ العام ، ج/2 ،ص 116 .

(20) اليماني ، بهجة الزمن،ص 41 ؛ محمد عبده محمد السروري ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة ، صنعاء 2004 ، ص ص 23 – 24 .

(21) الحداد ، التاريخ العام ، ج/2، ص 116 .

(22) حسين بن فضل الله الهمداني ، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، دمشق بلا تاريخ، ص 88 ؛ الحداد ، التاريخ العام ج/2 ، ص 224 ؛ يحي الحداد، تاريخ اليمن السياسي ، بيروت ،1986 ص ص 214- 227 . (وسأرمز له : الحداد،اليمن السياسي)

1069 -1161م) الذين كانوا في الأصل نوابا عن الصليحيين في أواخر عهد الملكة سيدة بنت أحمد (أروى)* وأصبح لهم نفوذ في مخلاف جعفر والجند. وبعد وفاة الملكة أروى عام 532 هـ عجز الأمير منصور بن المفضل بن أبّي البركات عن الاستمرار في القيام بإدارة شؤون المناطق التي ولته عليها الملكة سيدة بنت أحمد الصليحي (أروى) بسبب تقدمه في السن ، فتنازل للداعي الزريعي محمد بن سبأ عن 28 ثمانية وعشرين حصناً ومدينة مقابل مائة ألف دينار، وكانت مدينةإبّ من بين هذه المدن وكذلك حصنها حصن حب التي بيعت لآل زريع(تربر). فدخل محمد بن سبأ آل زريع مدينة إبّ واستقر فيها ثم انتقل إلى مدينة جبلة وتزوج الأميرة أروى بنت علي بن عبد الله الصليحي بعد أن طلقها منصور بن المفضل أبّو البركات(يربر) .

وفي عام 549 هـ توفي محمد بن سبأ آل زريع وخلفه ولده عمران، وخلال مدة حكم هذا الأخير ثار علي بن مهدي الرعيني على غرمائه آل نجاح وأقام دويلة آل مهدي على أنقاض دويلة آل نجاح. وقد استمر حكم آل مهدي للمدة (554 -569 هـ / 1160 - 1175 م) ولم يكتف آل مهدي بما حصلوا عليه بل امتدت مطامحهم إلى الدويلة الزريعية المجاورة لهم فتوجه عبد النبي بن علي بن مهدي إلى اليمن الأسفل واستولى على تعز وجبل صبر وغيرها من المناطق الأخرى وعاد إلى عاصمته زبيد. وفي

---

* هناك خلاف في اسم هذه الملكة الصليحية التي حكمت اليمن بعد موت زوجها ونقلها عاصمة ملكها إلى مدينة جبلة، فتسمى أحياناً بأروى ، ولكن هذا الاسم لم يكن معروفاً لدى اليمنيين ، ولذا رجح الكثير من المؤرخين اسم سيدة بنت أحمد أو السيدة بنت أحمد ، وهذا الاسم متداول كثيراً في اليمن عامة وإبّ بصفة أخص وأكثر حتى اليوم . وللإط لاع على تفاصيل الخلاف حول الاسم انظر كتاب إيمان ناجي سعيد المقطري الموسوم (الملكة سيدة بنت أحمد 440-532هـ) ، صنعاء ، 2004 ، ص ص 101-104.

(23) الهمداني ، الصليحيون، ص ص 240- 241 ؛ الحداد ، التاريخ العام ج/2، ص ص 300-301 ؛ الفقي ، المصدر السابق، ص 163 .

(24) الحداد ، التاريخ العام، ج/ 2 ،ص 301 .

السنة التالية (562هـ / 1167 م توجه إلى مخلاف جعفر فاستولى على مدينة (إبّ) وحصن حب وغيرها ممن كان تحت سلطة آل زريع وحاكمهم عمران(سمبر) .

لم يسكت عمران الزريعي على غزو عبد النبي آل مهدي لأراضيه فاستنجد بعدة قبائل وأقام تحالفاً معهم وهم السلطان علي بن حاتم الهمداني حاكم صنعاء وشيوخ قبائل الجنب ، عبد الله بن يحي ألجنبي وزيد بن عمرو ألجنبي .وفي سنة 568هـ / 1172 م خرج السلطان علي بن حاتم بقواته من صنعاء ووصل إلى ذمار وأقام فيها ثلاثة أيام ثم تقدم وتوقف شمال مدينة إبّ في منطقة السحول وعسكر فيها إلى أن وصل إليه مشايخ جنب وجموعهم المقاتلة. وبعد أن تجمعت القوات المتحالفة بما فيها قوات عمران الزريعي، تحركت في 17 شهر صفر في السنة نفسها إلى عقبة إبّ وتمركزت القوات المتحالفة فيها (شمبر).

أما عن عبد النبي آل مهدي فقد اتخذ من مدينة إبّ مقراً لقيادته إلا انه لم يجعلها ميدانا للمعركة بل قسم قواته إلى ثلاث مجاميع خارج مدينة إبّ: المجموعة الأولى عسكرت في جبلة والمجموعة الثانية في أكمة الخيالي بين مدينتي إبّ وجبلة والمجموعة الثالثة تمركزت بالقرب من جبل المسواد المطل على الطريق العام الذي يربط مدينتي إبّ وتعز ويقع هذا الجبل في الجنوب الغربي من مدينة إبّ(لهبر) .

كان عبد النبي وقواته في موقف الدفاع أمام الهجوم الذي شنته قوات التحالف القبلي على مجموعة أكمة الخيالي فدحرتها ،وعندما اتجهت القوات المنتصرة إلى مدينة جبلة لمقاتلة المجموعة الأولى من قوات عبد النبي آل مهدي وجدتها

---

(25) الخزرجي ، العسجد ، الورقة 144 ؛ الحداد ، التاريخ العام، ج/2، ص ص 304 – 306 ؛ ألسروري، المصدر السابق ص 252 ؛ ألفقي ، المصدر السابق، ص 172 .

(26) الخزرجي،العسجد، الورقة 139 ؛ الحداد ، التاريخ العام، ج2 ،ص ص 306– 307 ؛ السروري ، المصدر السابق، ص ص 252 – 253.

(27) الخزرجي ، العسجد، الورقة 139 ؛ السروري ؛ المصدر السابق، ص 253 .

خالية لأن المجموعة المعسكرة فيها هربت ليلاً عندما سمعت بهزيمة أصحابّهم في أكمة الخيالي فاستولت قوات التحالف القبلي على جبلة(□ بر).

ترك عبد النبي آل مهدي مدينة إبّ وانسحب إلى مدينة تعز اثر هزيمة مجموعة أكمة الخيالي تحت حماية المجموعتين الأخيرتين في جبلة والْمِسْوَاد ،فتقدمت القوات المتحالفة ودخلت تعز التي تركها عبد النبي منسحباً إلى عاصمته زبيد وبذلك ثم طرد آل مهدي من مدينة إبّ خاصة ومخلافي جعفر والجند عامة(□ بر) .

لم يهنأ الزريعيون بانتصارهم على آل مهدي فقد جاءهم غزو الأيوبيين لليمن من مصر عام 569 هـ ليقضي على دويلتهم بيد توران شاه الأيوبي الشقيق الأكبر لصلاح الدين الأيوبي حاكم مصر، الذي أرسله للقضاء على الدويلات المتنازعة في اليمن بعد شكوى أهل اليمن إلى الخليفة العباسي في بغداد(لح تر) .

كانت اليمن قبيل دخول الأيوبيين إليها مقسمة بين آل زريع وبني حاتم وبني مهدي بينما ركنت القوى الزيدية إلى الهدوء بعد وفاة الإمام الزيدي احمد بن سلمان سنة 566هـ / 1170م لعدم قيام إمام من بعده (□ تر) ولذلك يعد دخول الأيوبيين إلى اليمن مرحلة جديدة في التوحيد السياسي .

لقد حكم الأيوبيون اليمن للمدة (569 - 628 هـ/1161 - 1231 م) بعد أن قضوا على الدويلات الصغيرة ووحّدوا اليمن وخطبوا للخليفة العباسي في المنابر. أما

---

(28) الخزرجى ، العسجد، الورقة 139 ؛ السروري ؛المصدر السابق ، ص 254 ؛ الحداد ؛ التاريخ العام، ص 307.

(29) الخزرجى ، العسجد، الورقة 140؛السروري، المصدر السابق ،ص 254 ؛ الحداد ، التاريخ العام، ج/2، ص 307 .

(30) الحداد، التاريخ العام، ج/2، ص 307، ج/3 ص 13.

(31) محمد عبد العال احمد ، الأيوبيون في اليمن ، الإسكندرية 1980 ، ص ص 51- 52 .و سأرمز له (عبد العال ، الأيوبيون)

مخلاف جعفر ومدينة إبّ فقد دخلهما توران شاه الأيوبي عام 569 هـ / 1174م وهو في طريقه إلى صنعاء بعد احتلاله عدن وإسقاط دويلة آل زريع ومن قبلهم آل مهدي . وتشير المصادر إلى انه توقف في ذي جبلة وبايعه أهلها واستقر بها عدة أيام وتسلم حصن التعكر سلماً وكذلك بقية المدن والمناطق بما فيها مدينة إبّ . وجعل مظفر الدين قايماز نائباً عنه على مخلاف جعفر(بر تر).

إن من ابرز الإحداث التي شهدتها مدينة إبّ إعدام الاتابك بدر الدين غازي بن جبريل، وكان غازي قد تولى السلطة بعد موت الاتابك سنقر عام 609 هـ / 1212م حيث عينه الناصر أيوب بن طغتكين الأيوبي (أستاذ داره وصاحب بابه واتأبكه)، لذلك كان غازي صاحب الأمر والنهي في أمور كثيرة خصوصاً بعد أن تمت تصفية كثير من القادة الأيوبيين ومنهم مستشار الناصر وردسان(تر تر). واصبح لغازي نفوذ على السلطان الناصر الأيوبي فأقنعه بمهاجمة اليمن الأعلى لقتال الإمام الزيدي عبد الله بن حمزة ،وخرج الناصر من صنعاء بقواته وبصحبة الاتإبّك غازي لمحاربة الإمام وفي طريقه عسكر في الجراف لمدة ستة أيام، وتجمع المصادر أن الناصر سُقِي سماً مرض على أثره ونقل إلى صنعاء وتوفي فيها يوم الجمعة 10 محرم سنة 611 هـ / مايو 1215 م ،واتهم الاتابك غازياً بقتل الناصر بالسم، ومع ذلك اختاره أكابر الأمراء الأيوبيون أميرا عليهم . فخرج إلى تعز(بر تر) وعندما وصل منطقة السحول المحاذية من الشمال لمدينة إبّ هاجمته قبائل المنطقة فنهبت منه مما كان يحمله معه على الدوإبّ، إلا انه نجا ودخل مدينة إبّ(سم تر) .وقد وصف بن محمد بن علي في مخطوطه (غاية الأماني في أخبار القطر اليماني) هذه الحادثة بتفاصيل لم يذكرها غيره فقال : -

---

(32) عبد العال ، الأيوبيون، ص 103 ؛ السروري، المصدر السابق، ص ص 268 – 269 ؛ الخزرجى، العسجد، الورقة 156 .

(33) السروري، المصدر السابق، ص ص 342– 344؛ الحداد، التاريخ العام، ج/ 3، ص 45.

(34) ابن الديبع ، قرة العيون، ص ص 289– 290 .

(35) الخزرجى ، العسجد، الورقة 179 ؛ الحداد ، التاريخ العام، ج/3، ص 45 .

" ولما وصل (غازي) دروان قتل جماعة من أهله، ولبث أياما في الشعر ثم سار إلى نقيل قيظان فاجتمع عليه قبائل تلك الجهة فانتهبوا أمواله ولم يبق معه إلا الخيل والحريم. ولما وصل السحول لقاه أهلها فقتل منهم ثلاثة انفار فثبتوا له في أعلى الوادي وانتهبوا ما بقي من الخيل والسلاح .وهتكوا الحريم وقطعوا آذانهن واخذوا ما فيهن من الحلي. ولقد قيل أن إحدى نساء وردسان - يقال لها الحاجية – ذهب عليها في ذلك اليوم ما قيمته أربعون ألف دينار ذهبا"(شهـ تر).

كانت أم السلطان الناصر تقيم في حصن حب بجبل بعدان المطل على مدينة إبّ من جهة الشرق ،فصعد إليها مماليك الناصر الذين جاءوا مع الأمير غازي إلى إبّ وابلغوها بخبر وفاة ولدها ووصول الأمير غازي إلى إبّ فشتمتهم ووبختهم لأنهم لم يقتلوا غازياً لأنه قتل ولدها وأمرتهم بالنزول إلى مدينة إبّ بسرعة وقتله، فذهب المماليك إليه وقتلوه واجتزوا رأسه وأوصلوه إلى أم الناصر. وقد دفن غازي جثة بلا رأس في مدينة إبّ(لهـ تر) .ويشير الاكوع الحوالي إلى انه دفن خارج مدينة إبّ ببضع دقائق في الجنوب الغربي منها قرب حول ولي التي أصبحت اليوم بنايات، وكان أهل إبّ يطلقون على قبره اسم طغتكين خطأً(□ تر).

لم نجد في المصادر التي اطلعنا عليها ما يشير إلى أحداث مهمة أو معارك في مدينةإبّ خلال العهد الأيوبي الذي استمر حوالي سبعة وخمسين عاما وربما يعود ذلك إلى أن عدم التقاطع المذهبي مع الأيوبيين في اليمن الاسفل له أثره في ذلك إلا انه من

---

(36) يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة 1968، ص 399 .

(37) الخزرجى ، العسجد، الورقة 179 ؛ الحداد ، التاريخ العام ،ج/3، ص 45 ؛ ابن الديبع ، قرة العيون، ص 290.

(38) ابن الديبع ؛ قرة العيون، ص 290 ، هامش رقم (4) .

الملاحظ أن مدينة إبّ كانت تتخذها القيادات العسكرية إثناء المعارك مقرا لها وليس ميدانا للمعركة وهو ما فعله عبد النبي إل مهدي ومثله فعل الاتإبّك سنقر خلال صراع الأيوبيين مع الأمامية الزيدية.

فبعد مقتل المعز إسماعيل بن طغتكين الأيوبي عام 598هـ / 1202م اضطربت أوضاع الأيوبيين في اليمن وظهر انشقاق بينهم فأراد الإمام عبد الله بن حمزة استغلال هذا الانشقاق لضمهم إليه لكن الاتإبّك سنقر (وقد أصبح بعد مقتل المعز أعلى قائد للأيوبيين في اليمن) لم يستجب لدعوة الإمام واتخذ من مدينة إبّ مقراً له يراقب التحركات من خلال حصن حب وقد تمكن فعلاً من كشف حركة رسل الإمام إلى الأمير نجاح الأيوبي الذي أعلن تمرده في حصن الدملوة على الأيوبيين ،فبالرغم من أن رسل الإمام كانوا يتحاشون الاقترإبّ من مراكز الأيوبيين ومراصدهم عندما اقتربوا من حصن حب في بعدان اكتشف الاتابك أمرهم وحاول منعهم من الوصول إلى الدملوة لكنهم أسرعوا في المسير في طريق غير معتادة السير فيها وعلى الرغم من وصولهم لم يتمكنوا من ضم الأيوبيين إلى الإمام(39) .

أن اتخاذ مدينة إبّ مقراً للقيادات العسكرية يدلل على أهميتها الستراتيجية في موقعها الجغرافي الذي يعززه وجود حصن حب في أعلاها بجبل بعدان، ولذلك يمكن عدّ مدينة إبّ مركزاً أساسيا مهماً لمنطقة مخلاف جعفر ولهذا عدّها بعض المؤرخين اليمنيين عاصمة المخلاف على الرغم من أن مدينة جبلة قد أصبحت أيام الصليحيين عاصمة لهم، ولا شك أن وجود حصن التعكر في أعلى جبل التعكر الذي تقع في قاعدته مدينة جبلة وكذلك وجود حصن حب في أعلى مدينة إبّ في جبل بعدان شكلت بمجموعها موقعاً ستراتيجيا وعسكرياً مهماً في منطقة مخلاف جعفر خاصة واليمن الأسفل عامة .

---

(39) السروري، المصدر السابق، ص ص 320-324.

إن اتخاذ مدينة إبّ مقراً للقيادات العسكرية خلال المعارك لا يعني أن مدينة إبّ لم تشهد قتالاً في زمن الدويلات اليمنية المستقلة ففي عهد الرسوليين الذين أعقبوا الأيوبيين شهدت إبّ معارك خصوصاً في زمن حكم الأفضل وولده الاشرف الثاني إسماعيل بن الأفضل عباس الذي بويع له بعد وفاة والده سنة 778هـ / 1376م.

ولكي تكون الصورة واضحة ومتكاملة نذكر أن تكوين دولة الرسوليين قد تداخل مع أواخر العهد الأيوبي حين حكم اليمن أيوب المسعود الأيوبي (612 - 626هـ/ 1215 - 1229م) الذي كان يعتمد على أبّناء رسول ليقوموا مقامه وينوبوا عنه كلما سافر إلى مصر. وفي آخر سفرة له توفي في مكة وهو في طريقه إلى مصر فاستمر عمر بن رسول نائباً عن الأيوبيين في اليمن إلى أن ثبت أقدامه وأعلن استقلاله عن الأيوبيين بعد سنتين (عام 628هـ /1231م) لينهي عهد الأيوبيين في اليمن وليبدأ حكم بني رسول للمدة(628 – 858 هـ /1231 - 1461م)[لج يز].

لقد ورث السلطان الاشرف الثاني إسماعيل بن الأفضل الرسولي عن والده الأفضل أوضاعا مضطربة بسبب تمرد عدد من القبائل وهجمات الأمامية الزيدية وتغذيتهم للتمرد في مناطق الرسوليين فاضطر الاشرف الثاني إلى خوض عديد من المعارك للقضاء على هذه الأوضاع غير المستقرة[□ يز] وخصوصاً مع الإمام الزيدي الناصر صلاح الدين ومنها خروجه إلى ذي جبلة عام 791هـ / 132 لمطاردة الإمام وقواته ولولا وصول مدد إليه في الوقت المناسب لمني بهزيمة نكراء بسبب موالاة بعض القبائل التي اعتمد عليها من أهل المنطقة للإمام وقد اضطر الإمام الى الانسحابّ إلى ذمار لإعادة تنظيم قواته[بر يز] .

---

(40) علي بن الحسن الخزرجى ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، صححه محمد بن علي الاكوع الحوالي، مصر 1983 ، ج/1 ، ص ص 52-53 ؛ السروري، المصدر السابق ، ص 357 ؛ الحداد ، التاريخ العام، ج/3، ص 78 .

(41) عبد العال ، بنو رسول وبنو طاهر، ص ص 217- 226 .

(42) المصدر السابق، ص 222.

وفي عام 793هـ / 1391 م زحف الإمام بقواته إلى منطقة جبل بعدان ولكن قبائل المنطقة استدرجته إلى كمين وتمكنت من التغلب عليه وقتل كثير من اتباعه فانسحب بفلوله إلى ذمار[تر ير] .

أما مدينة إبّ وحصتها من هذه الاضطرابات والمعارك فيرد ذكرها في مدة حكم السلطان الأفضل وولده السلطان الاشرف الثاني في ضوء المصادر التي اطلعنا عليها عندما ظهرت شخصية الشيخ أبّي بكر بن معوضة السِّيري صاحب بعدان والذي وصفه إبّن الديبع في مخطوطه قرة العيون بأنه كان احد رجال الدهر[ير ير] حيث سيطر على جبل بعدان وحصن حب وحصن عزان المطل على مدينة إبّ من الجنوب الشرقي ومدينة إبّ نفسها وأعلن استقلاله عن الرسوليين، وكان مقره في جبل بعدان ثم في قرية حَقْلَة من عزلة المقاطن جنوب غرب مدينة إبّ. وقام ببناء مدرسة الجلالية السفلى في مدينة إبّ وكذلك بنى مدرسة في قرية حقلة بعزلة المقاطن من مخلاف بعدان أي ناحية بعدان حالياً[سم ير] .ويذكر الاكوع في كتابّه المدارس الإسلامية في اليمن أن جمال الدين بن محمد السِّيري هو الذي بناها وأقام حولها مساكن للطلإبّ وما تزال بقاياها قائمة[شم ير].

إن عصيان السِّيري على الرسوليين كان جزءاً من حالة عامة عاشها الرسوليون أيام السلطان الأفضل عباس بن المجاهد الذي واجه عند تسلمه الحكم مقاومة اخوته الثلاثة الذين سبق وان خرجوا عن طاعة والدهم وواجه أيضا الأمامية الزيدية وعصيان كثير من القبائل فعمل على القضاء عليهم[لم ير].

---

(43) عبد العال ، بنو رسول وبنو طاهر، ص 223 .

(44) إبّن الديبع ، قرة العيون ،ص 374 .

(45) المصدر السابق، هامش رقم (5) في الصفحة 373.

(46) الاكوع ، المدارس الإسلامية، ص 235 .

(47) عبد العال،بنو رسول وبنو طاهر،ص ص 208-209.

ويشير الخزرجى مؤلف العقود اللؤلؤية المتوفى سنة 812هـ/1409م في مدينة زبيد والمعاصر لهذه المدة أن جبل بعدان كان عاصيا على الرسوليين منذ أيام السلطان المجاهد والد السلطان الأفضل، ففي سنة 747 هـ طلع السلطان ألرسولي المجاهد إلى حصن التعكر ووجه باحتلال جبل بعدان وصرف أموالا جيدة للقبائل، فتقدمت ثلاث قوات أحداها بقيادة القاضي جمال الدين محمد بن مؤمن اتجهت إلى جبلة وتمركز فيها، كما تمركزت قوات أخرى بقيادة ابّن الشوع في مدينة إبّ بينما حطت قوات بقيادة الزعيم في ظبا . ويضيف الخزرجى :

" وطلعت مشايخ مذحج جبل بعدان وفتحت الحرب فلم يتم لهم فيه ما يريدون ولم يتمكنوا ولا السلطان من فتح الجبل فنزل القاضي جمال الدين من جبلة وابّن الشوع من إبّ والزعيم من ظبأ "(48) .

إن هذه الاستقلال عن الرسوليين قد استمر مع خلفاء المجاهد وهما السلطان الأفضل وولده السلطان شرف الدين، وقد تمكن السلطان الأفضل ألرسولي من القضاء على أبي بكر بن معوضة السِّيري صاحب بعدان غيلة في فراشه عام 775 هـ / 1373م بعد أن عجز الرسوليون عن التغلب عليه عسكرياً، فقد اجتز رأسه وحمل إلى السلطان الأفضل مما دفع ولده محمد بن أبّي بكر الكتإبّة إلى الإمام صلاح الدين بن محمد بن علي بن محمد الهدوي يستنجده ويطلب منه العون على السلطان الأفضل الرسولي فقام الإمام صلاح الدين بتجهيز جيش قاده بنفسه والتقى بمحمد بن أبّي بكر وقواته وتقدما في وقت واحد لمهاجمة مدينة تعز فوصلا إلى الجند وأقاما ثلاثة أيام، إلا أن السلطان الأفضل الرسولي استعد لهما وعبأ القبائل التي تقع على طريق قوات الإمام ومحمد لمهاجمتهما مما اضطر الإمام صلاح الدين إلى الانسحإبّ من طريق آخر إلى أن

---

(48) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، ج/2، ص ص 45 – 46 .

خرج من ارض الرسوليين. أما محمد بن السِّيري فقد عاد إلى منطقته في بعدان وبقي مسيطرا عليها(□ ير).

إن استقلال السِّيري ببعدان ومدينة إبّ قد استمر إلى عهد السلطان الاشرف الثاني أبن الأفضل الذي هاجم مدينة إبّ واحتلها عام 781هـ / 1379 م ويقول الخزرجى : " وفي العشرة الأواخر من ربيع الأخر تقدم الركإبّ العالي [السلطان] إلى تعز المحروسة فأقام فيها أياما ثم تقدم عسكره المنصور نحو المخلاف فاخذ مدينة إبّ قهرا بالسيف ثم رجع إلى تعز "(لجسم) .

إن عصيان السِّيري على الرسوليين قد انتهى ظاهريا عام 791هـ عندما تقدم السلطان الاشرف الثاني إلى جبلة، فقدم إليه احمد بن أبّي بكر السِّيري مبعوثا من أخيه محمد يطلب الصلح والأمان فقبل السلطان ذلك وتقدم إلى مدينة إبّ حيث نزل إليه محمد السِّيري من بعدان وأعلن ولاءه واستعداده لتسليم ما تحت يده من الحصون، فطلب إليه السلطان أن يعود إلى وضعه وان يبقي ما تحت يده من المناطق ما دام قد أعلن ولاءه للرسوليين. ولكي يثبت السِّيري هذا الولاء فقد قاتل أهل بعدان بقيادته قوات الإمام الزيدي في حصن نعم في المحطة بأمر من السلطان(□سم).

وقد استمر إثبات هذا الولاء حتى عام 798 هـ عند قدم ابن محمد السِّيري إلى السلطان (فكساه السلطان وانعم عليه وصرف له حصاناً اخضر وبغلة وانصرف راجعاً إلى أبيه)(برسم) . ولكن في هذه السنة نفسها طلب السلطان من ابن السِّيري قواتاً فامتنع ابن السِّيري عن تقديم العون فقرر السلطان التحرك من مدينة جبلة التي كان قد وصل إليها في يوم الجمعة الثالث عشر من محرم من السنة نفسها 798هـ وتوجه إلى مدينة إبّ حيث هيأ إبّن السِّيري نفسه للقتال والدفاع عن المدينة بقوات تعدادها " ألفا

---

(49) ابن الديبع ، قرة العيون، ص ص 373- 374 .

(50) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية، ج/2، ص 144 ؛ ابن الديبع ،قرة العيون، ص 377 .

(51) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج/2، ص ص 175- 176 .

(52) المصدر السابق، ج/2 ص، 299.

راجل " فلما اقترب الاشرف الثاني من مدينة إبّ اغلق المدافعون أبوابها وتحدوا قوات الاشرف الثاني فانسحب السلطان الاشرف إلى مدينة جبلة التي أطلقوا عليها اسم (دار السلام) ومكث فيها أياما ثم توجه مرة أخرى إلى مدينة إبّ في يوم السبت المصادف الحادي والعشرين من محرم لقتالهم فأغلقوا أبواب المدينة واستعدوا لقتال السلطان وقواته. ويصف الخزرجى معركة إبّ هذه فيقول : -

" فأغلقوا الإبّوإبّ وقاتلوا ساعة من نهار قتالاً شديداً فانهزم العسكر السلطاني هزيمة شديدة وثبت السلطان وولده احمد الناصر ثباتا حسناً " وأعادا تجميع قواتهم وتمكنوا من دخول مدينة إبّ بالقوة " واخربها العسكر خرابا كليا ونهبوا ما وجدوا فيها وقتلوا من أهلها جماعة ورجع السلطان إلى دار السلام ظافراً منصوراً"(53) .

ولم يكتف السلطان بذلك بل أرسل قوات أخرى بقيادة الطواشي جميل إلى ناحية بعدان فقاتلوا أهلها قتالا شديدا ودمروا خمس قرى ونهبوا كثيرا من أموال أهلها وعادوا إلى السلطان في مدينة جبلة(54) ويبدو أن هذه المعركة الشرسة لم تنهِ سلطة ابن السِّيري لأنها كانت بشكل غزوة للتدمير والنهب والسلب دون التمسك بالبقاء في المنطقة لصعوبتها ووعورة أراضيها،ولذلك بقيت بعدان عصية على الرسوليين، ودليلنا هو أن السلطان الناصر احمد الذي خلف والده الاشرف الثاني ألرسولي عام 782هـ قد خاض هو أيضاً معارك ضد السِّيري ولكن في مناطق أخرى غير مدينة إبّ(55) .

---

(53) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية، ج / 2، ص 230 ؛ ابن الديبع ؛ قرة العيون، ص 383 .

(54) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ،ج/2، ص ص 230- 231 .

(55) ابن الديبع ، قرة العيون، ص 387 .

لقد استمرت سلطة عائلة السِّيري على بعدان وحصن حب إلى ما بعد سقوط الرسوليين الذين حل محلهم الطاهريون .وفي عام 869هـ تصالح الملكان الطاهريان المجاهد شمس الدين علي بن طاهر وأخوه الظافر صلاح الدين عامر بن طاهر بن معوضة مع صاحب بعدان الشيخ محمد بن احمد الليث السِّيري ،لكن المجاهد حاصر حصن حب واستولى عليه بعد أن نفدت مؤن أهل الحصن فسلمه محمد بن احمد بن الليث السِّيري(شمسه) .ويبدو أن آخر عهد لعائلة السِّيري بالسيطرة على بعدان وحصن حب وإبّ كان في زمن الملك المجاهد الطاهري حيث لا توجد إشارة إليهم بعد ذلك .

إن وصول الطاهريين إلى السلطة يشبه وصول الرسوليين إليها، فهم امتداد لهم لأنهم كانوا نوابا للرسوليين فانتهزوا حالة الضعف والانقسام التي مر بها الرسوليون في منتصف القرن التاسع الهجري – الخامس عشر الميلادي ونجحوا في تأسيس دولتهم سنة 858هـ / 1461 م(لهسه) عندما استولى الملك المجاهد وأخوه الظافر على عدن وانطلقوا منها إلى زبيد لينهوا حكم الملك المسعود آخر ملوك الرسوليين(□سه) وليبدأ حكم الطاهريين الذي استمر حتى عام 923هـ /1517م.

اهتم الطاهريون شأنهم شأن الرسوليين ببناء المدارس وكانت مدينة إبّ واحدة من المدن التي اهتموا بتشييد المدارس والمساجد فيها وهو ما سنتناوله في فصل قادم،وكان أبرز اهتمام بمدينة إبّ هو في زمن السلطان الطاهري عامر بن عبد الوهاب الملقب بالملك الظافر والذي استلم الملك من والده الملك المنصور عند وفاته عام 24هـ وفي هذه السنة عمل الظافر على إخضاع اليمن لسلطته ،وعندما وصل رداع للسيطرة على تلك الجهة جاءه القاضي عبد العليم بن قرينع مبعوثا من أهل بعدان يطلب منه حفظ الأمن والاستقرار في منطقتهم فتوجه إلى مدينة إبّ ودخلها في الحادي عشر من رمضان بعد أن قضى على الاضطرابّات القبلية قبل دخوله إليها وغادرها في التاسع عشر من

---

(56) المصدر السابق، ص ص 414 – 415.

(57) عبد العال ، بنو رسول وبنو طاهر، ص 245 .

(58) المصدر السابق، ص ص240– 243.

الشهر نفسه إلى صهبان[□سم] واستمر الظافر في قتاله حتى تمكن من السيطرة على معظم انحاءاليمن بمافيهامقرالامامة صعدة، والتي انتزع منها العاصمة صنعاء سنة 910هـ.

لقد تم في عهد السلطان عامر بن عبد الوهاب تعبيد شوارع مدينة إبّ بالحجر وبنيت ساقية الماء وشيد مسجد المشنة في سفح ريمان بالقرب من عين الخطابي التي تزود الساقية بالماء [6] كما قام السلطان عامر بن عبد الوهاب بزيارة تفقدية إلى مدينة إبّ في شهر شعبان من عام 920هـ /1514 م وأقام فيها أياما للعناية بها.

لم ينعم السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري بملكه وسيطرته على اليمن فقد جاءه غزو المماليك الذين كانوا يحكمون مصر وبلاد الشام بهدف مقاومة البرتغاليين الذين سيطروا على سواحل اليمن وهم في طريقهم إلى الهند، وعندما طلب المماليك الذين يطلق عليهم اليمنيون (الشراكسة) العون من السلطان عامر رفض الاستجابة لطلبهم، فاتخذ المماليك من هذا الرفض سبباً لغزو اليمن واحتلاله والقضاء على حكم بني طاهر بالتعاون مع بعض القبائل اليمنية[لحشم] .

تمكن المماليك من احتلال تهامة وبعد معارك مع الطاهريين احتلوا مدينة زبيد جمادي الأول عام 922هـ/ يونيو 1516م ونهبوها، وفي صفر من عام 923هـ/ مارس 1517 م دخلت قوات المماليك مدينة تعز دون قتال بعد أن انسحب منها عامر بن عبد الوهاب اثر تفرق قواته القبلية التي خشيت من قتال المماليك الذين كانوا يمتلكون أسلحة حديثة مكنتهم من دحر قوات الطاهريين في معارك سابقة[□شم].

---

(59) ابن الديبع ، قرة العيون ، ص 432 :ابن الديبع الشيباني الزبيري ، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ، تحقيق د . يوسف شلحد،بيروت،1983،ص175

(60) عبد العال، بنو رسول وبنو طاهر، ص ص 521- 531 .

(61) عبد العال ، بنو رسول وبنو طاهر، ص ص 533- 538 .

توجه عامر بن عبد الوهاب إلى مدينة إبّ بعد انسحابه من تعز وعندما علم بتقدم المماليك إلى عاصمته المقرانة سبقهم إليها واخرج منها أمواله ونساءه قبل وصولهم، فاحتلها المماليك بعد انسحابه منها[برشم] . ويقول عيسى بن المطهر شرف الدين المتوفى سنة 1048هـ الذي عاصر هذه المرحلة في مخطوطه روح الروح: -

" سنة 923هـ فيها السلطان عامر وصل تعز الجمعة 9 صفر فلما ترآى الجمعان ولى السلطان من غير قتال ولا نزال منهزما إلى جهة إبّ ودخل العسكري المصري تعز ونهبها ووقف السلطان عامر في مدينة إبّ أياما ثم إن الأمير بورسباي [المملوكي] استناب بتعز الأمير اقباي وقلب أمورها وتوجه بمن معه من الجند إلى جهة المقرانة فخرج السلطان عامر من إبّ مبادرا إليها وسبقه فدخل قبله فأخذ نساءه وما خف حمله من ذخاير وأمواله وتوجه إلى جهة الخلفة وأقام بها ونهب العسكر المصري المقرانة "[ترشم]

ويؤكد ابن الديبع صاحب مخطوط قرة العيون المعاصر لهذه المرحلة أيضا والمتوفى سنة 933 هـ هذه الأحداث ويضيف : -

أن الأمير برسباي قصد بعد ذلك بلاد إل عمار الذين وفدوا إليه وبايعوه وطلبوا منه الذهاب معهم إلى بلادهم وعند وصوله قتلوه مع من جاء معه من أصحابه، فاختار جنده الذين بقوا في المقرانة شخصاً من بينهم وصفه ابن الديبع بالشجاع والظلوم ليكون قائداً لهم واسمه اسكندر بن محمد. ثم توجه المماليك وحاصروا صنعاء فلحق بهم عامر بن عبد الوهاب بعد أن سمع بمقتل برسباي لكنه قتل هو وأخوه عبد

---

(62) المصدر السابق، ص ص 538- 539؛ الحداد، التاريخ العام، ج/4، ص 15.

(63) عيسى بن لطف الله بن المطهر شرف الدين ، روح الروح فيما جرى بعد المائة والتاسعة من الفتن والفتوح ، مخطوطة مصورة في دمشق عام 1981 ، الورقتان 26-27 . تم تحقيق المخطوط من قبل إبّراهيم بن احمد المقحفي ونشر عام 2003 في صنعاء .

الملك في المعركة التي خاضاها مع المماليك حول صنعاء فكان مقتله نهاية حقيقة للدولة الطاهرية في ربيع الآخر من سنة 923هـ / مايو 1517م.[يرشم]

تزامنت مع نهاية الطاهريين نهاية دولة المماليك في مصر والشام بعد أن انتصر السلطان العثماني سليم الأول على المماليك في معركة مرج دابق عام 922هـ /1516م واحتل مصر عام 923هـ /1517م. وعندما وصلت الأخبار إلى اسكندر وقادة المماليك أعلنوا ولاءهم للعثمانيين وجعلوا الخطبة في صنعاء باسم السلطان العثماني سليم الأول[سمشم] ثم قرر اسكندر الانتقال إلى زبيد لمتابعة الأحداث ولكن خبر سقوط دولة المماليك أثار استخفاف القبائل اليمنية باسكندر وقواته فهاجمته قبائل بلاد إبّ وهو في طريقه إلى زبيد حيث فوجئ المماليك بقبائل حبيش ومخلاف الشوافي وغيرهم من أهل منطقة بلاد إبّ تهاجمهم وتقتل عددا كبيرا منهم[شمشم] ويصف ابن الديبع معركة بلاد إبّ هذه التي نجا منها اسكندر بصعوبة فيقول إنها كانت : -

" وقعة عظيمة نصر فيها حبيش عليهم فقتلوا الإبّطال ونهبوا الأموال واستنقذوا الشيخ عامر بن عبد الملك بن عبد الوهاب منهم [كان أسيرا لديهم] واخذوا عليهم جميع ما أخذوه من المقرانة وصنعاء وكانت وقر (حمل) ثمانية آلاف جمل من الذخائر والجواهر والنقود والنفائس والأموال والذهب الأحمر والفضة والقماش والسلاح والعدد وغير ذلك "[لهشم].

أما المؤرخ عيسى بن لطف الله بن شرف الدين فقد وصف معركة بلاد إبّ على النحو الأتي : -

" إن الغارات كانت تنادي بالثارات فقتل من الشراكسة أمة ونهب ما قد جمعوه من الجواهر والعين والذهب واللجين وصار

---

(64) ابن الديبع ، قرة العيون ، ص 469 ؛ عبد العال ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ص 543-544.
(65) عبد العال ، بنو رسول وبنو طاهر، ص ص 543- 544 ؛ شرف الدين روح الروح ص 52 .
(66) المصدر السابق، ص 544.
(67) ابن الديبع ، قرة العيون،ص 470 .

أثـرا بعـد عـين واسـتكفلوا الخيـل والبغـال والجمـال والأحمـال وكانـت حملـة مسـتكثرة وذخـائر مـوقرة وفي جملـة مـا اسـتنقذوه من الشراكسة من الأسرى عامر بـن عبـد الملـك بـن عبـد الوهـاب "(68).

إن إشارة المؤرخ شرف الدين إلى ان الغارات كانت تنادي بألثار وأنقذت عامر بن عبـد الملـك بـن عبـد الوهـاب، أي أن عـامر بـن عبـد الوهـاب هـو عمـه، تجعلنـا نميـل إلى الاعتقـاد بـان هجـوم قبائـل بـلاد إبّ لم يكـن لمجـرد الحصـول علـى الغنـائم وانمـا كـان انتقاما وثأرا لمقتل عامر بن عبد الوهاب وشقيقه عبد الملك وأسر ولديهما .

من جانب آخـر كـان سـقوط دولـة المماليـك في مصر والشام وانحسـار نفـوذهم في الـيمن وانشـغال الامامية الزيديـة في حـروب شمـال الـيمن بعـد أن ظهـروا قـوة بقيـادة الإمـام يحـي شـرف الـدين قـد دفـع بقايـا الطـاهريين إلى محاولـة إعـادة حكمهـم ومـنهم الأمـير عـامر بـن داود آل طـاهر الـذي كـان متحصنـا في بـلاد ردا منـذ سـقوط دولتيهمـا فامتد نفوذه إلى بلاد إبّ وبلاد تعز، إلا انـه لم يـدم طـويلاً بعـد أن تفـرغ لـه الإمـام الزيـدي يحي شرف الدين حيث تمكنـت قواتـه بقيـادة ابّنـه المطهـر مـن بسـط نفـوذها علـى بـلاد إبّ وعموم مخلاف جعفر وحصونه بما فيها مدينة إبّ"(69)

ثانيا : إبّ في تاريخ اليمن الحديث

1- الاحتلال العثماني لليمن : -

(68) المطهر، روح الروح، الورقة رقم 30.

(69) عبد العال ، بنو رسول وبنو طاهر، ص 545 ؛ الحداد ، التاريخ العام، ج/4، ص ص 16، 32-33 .

عاشت مدينة إبّ والمناطق المحيطة بها في العهد العثماني أحداثا ارتبطت بالتطورات والصراعات التي عاشتها اليمن بسبب ذلك الاحتلال، ولكي تكون الأحداث البارزة التي اخترنا البحث فيها عن مدينة إبّ وما حولها واضحة المعالم في ضوء المصادر التي توافرت لنا لا بد في البداية من إعطاء موجز عام سريع عن الاحتلال العثماني لليمن ومعاصريه من الأئمة الزيدية ومن ثم دولة الأئمة القاسميين .

انقسم الاحتلال العثماني لليمن إلى عهدين تخللهما قيام حكم الأئمة الزيدية القاسميين والذي استمر على الرغم من عودة العثمانيين لاحتلال اليمن في عهدهم الثاني.

لقد دخلت اليمن تحت السيطرة العثمانية مع سقوط حكم المماليك في مصر عام 923 هـ/ 1517 م حين أعلن المماليك في اليمن خضوعهم للسيادة العثمانية والخطبة باسم السلطان العثماني سليم الأول في جامع صنعاء الكبير(لح لها) إلا أن الاحتلال العثماني الفعلي لليمن قد بدأ مع الحملة البحرية الكبيرة التي أمر بها السلطان العثماني سليمان القانوني لمواجهة البرتغاليين في الهند والقضاء على سيطرتهم في المحيط الهندي. وقد أبحرت هذه الحملة عام 945هـ / 1538 م بقيادة والي مصر سليمان باشا الخادم الذي استولى على عدن بعد أن قتل آخر الطاهريين فيها عامر بن داود(□ لها) وعين محله عليها واليا تركيا ليبدأ الفتح العثماني الأول لليمن(بر لها). فشلت حملة سليمان الخادم إلى الهند ولم تحقق أهدافها فعاد إلى اليمن

---

(70) عبد العال ، بنو رسول وبنو طاهر، ص ص 543- 544 .

(71) انحصرت سلطة عامر بن داود في عدن بعد مقتل الظافر عامر بن عبد الوهاب وعندما وصل سليمان الخادم إليها خرج عامر بن داود لاستقباله ولما صعد عامر إلى سفينة سليمان الخادم أمر هذا الأخير بقتله باعتباره متعاونا مع البرتغاليين لأن الطاهريين رفضوا قتالهم منذ البداية فانتهت بقتله آخر سلطة للطاهريين في اليمن .

(72) حسين عبد الله العمري ، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر من المتوكل إسماعيل إلى المتوكل يحي حميد الدين ، دمشق 2001م، ص ص 14-16 ؛ الحداد ، التاريخ العام، ج/4، ص ص 39- 40.

واحتل الشحر وحضرموت وزبيد وتهامة، وفي السنوات التي تلت ذلك تقدم العثمانيون داخل اليمن لكنهم لم يتمكنوا من احتلال صنعاء إلا في زمن الوالي ازدمر باشا عام 956هـ/ 1547م أما عن الأمامية الزيدية في الشمال فقد اضطروا إلى توقيع الصلح مع العثمانيين في زمن المطهر شرف الدين لكنه عاد فأنتفض عندما ضعفت سلطة العثمانيين بسبب الصراعات بين الولاة العثمانيين (محمود باشا ورضوان باشا ومرادباشا) مما أدى إلى انهيار السلطة العثمانية ودخول الإمام الزيدي المطهر صنعاء في صفر من عام 975هـ/إبّ أغسطس 1567م ،كما اكتسحت قواته فلول الجيش العثماني في الناطق الجنوبية حتى وصلت إلى عدن فانحصرت السلطة العثمانية في مدينة زبيد وما حولها من المنطقة التهامية(73).

إن انهيار السلطة العثمانية في اليمن قد دفع العثمانيين إلى إعداد حملة كبيرة بقيادة سنان باشا الذي استطاع خلال سنتين (976 -978هـ /1569 - 1571م) من استرداد كثير من المناطق التي كان الإمام المطهر قد استولى عليها. وبوفاة المطهر في رجب 980هـ/ نوفمبر 1572م انتهت إمامة آل شرف الدين ولم يستطيعوا النهوض من جديد على الرغم من محاولاتهم اليائسة(74)ولذلك عاشت السيطرة العثمانية في اليمن خلال حكم الوالي حسن باشا الوزير لمدة ربع قرن (92 - 1013هـ / 1580 -1604م) استقرارا نسبيا وبسطا للسلطة المركزية للوالي العثماني ،ولكن الفساد الإداري والظلم والوحشية التركية قد فجرت بعد ذلك ثورة بقيادة الإمام الزيدي القاسم بن محمد الذي أسس حكم أسرة القاسميين التي توارثت الحكم في اليمن إلى قيام ثورة 26 أيلول 1962م(75) .

لقد تمكن القاسميون من فرض انفسهم على العثمانيين الذين اعترفوا بسلطتهم في المناطق الشمالية لصنعاء بعد فشل العثمانيين في تحقيق أي نصر خلال

---

(73) العمري ، المصدر السابق، ص ص 17- 19 .

(74) العمري ،تاريخ اليمن، ص ص 19-21 .

(75) المصدر السابق، ص ص 22-23.

ثلاث سنوات من الحروب معهم . وقد أدى ضعف العثمانيين إلى دخول القاسميين مدينة صنعاء بعد معارك معهم في أول رجب من عام 1038هـ / 23 شباط – فبراير 1629م، وبعد ثلاثة اشهر سقطت تعز بأيديهم مما فتح الأبواب أمام القاسميين للسيطرة على بقية المناطق الجنوبية بعد عام واحد من حصار تعز ودخولها ثم اعلنت عدن الطاعة فكانت بداية نهاية الأتراك وحصارهم في زبيد الذي كان طويلا وقاسيا عليهم فانهارت القوات العثمانية وتركوا اليمن إلى مصر في شهر جمادي الآخرة من عام 1054هـ / أكتوبر تشرين الأول 1636م لينتهي بذلك العهد العثماني الأول في اليمن(شم له) وحل محله حكم أسرة الإمام القاسم بن محمد لأكثر من قرنين من الزمن عاد بعدها العثمانيون مرة ثانية ليحتلوا اليمن عام 122هـ / 1872م وحتى نهاية الدولة العثمانية عام 1339هـ / 1918م، وهو العهد العثماني الثاني في اليمن الذي أصبح ولاية عثمانية مع استمرار حكم الزيديين القاسميين الذين دخلوا في صراع معه إلى سقوط الدولة العثمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى عام 1918م(له له).

2- إبّ في العهد العثماني الأول

لم تكن مدينة إبّ ذات أهمية سياسية خلال مدة الحكم العثماني لأنها ليست مركزا إداريا للوالي أو للإمام بقدر ما كانت مدينة علم و محطة تجارية في الظروف الاعتيادية ومقرا وهدفا عسكريا في الحروب التي تقع في منطقتها، ففي المدة منذ إعلان المماليك ولاءهم للعثمانيين وحتى الفتح العثماني الأول بقيادة سليمان باشا (923هـ/1517م – 945هـ / 1538م) شهدت اليمن تدهورا في أوضاعها وانتشرت الفوضى والاضطرابات واقتال الأمامية الزيدية بقيادة الإمام شرف الدين المطهر وأخيه مع المماليك الشركس وكذلك بقايا الطاهريين والقبائل اليمنية(□ له)ناهيك عن التنافس وعدم الوئام بين قادة المماليك في زبيد والأمراء والقادة الأتراك المرسلين من

---

(76) المصدر السابق، ص ص 24-27.

(77) العمري، تاريخ اليمن، ص ص 193- 195 .

(78) عبد العال ، بنو رسول وبنو طاهر، ص 546 .

مركز العثمانيين في جدة(79)، ومنها الصراع الذي وقع عام 932هـ / 1526 م بين الأمير سلمان القادم من جدة وحليفه الأمير خير الدين وبين الوالي مصطفى بك على السلطة في اليمن ،فوقعت بينهما معارك في اليمن الأسفل أدت بالنتيجة إلى تغلب الأمير سلمان على مصطفى بك فدخل بعسكره مدينة زبيد وفرض على الناس الأموال ثم احتل تعزاً ونهبها وبعد ذلك توجه بقواته التركية، التي كان قسم منها مع مصطفى بك ثم انظمت إليه بعد اندحار مصطفى،فوصل مدينة إبّ ودخلها ونهبها وكذلك فعل بمدينة جبلة ويذكر قطب الدين النهزو الي في كتابه (البرق اليماني) أن الأمير سلمان وعسكره نهبوا من إبّ وجبلة " أموالا عظيمة "(80). ولم يقدم لنا النهزوالي تفاصيل عن عملية نهب مدينة إبّ كما إن عيسى شرف الدين لم يشر في مخطوطه (روح الروح) إلى هذا الأمر، وربما لأنهما لم يسكنا منطقة إبّ فالأول كان في مكة المكرمة والثاني في صنعاء، إلا أن شرف الدين يفيدنا بشيء آخر فيذكر انه في سنة 941هـ/ 1537م طارد الإمام المطهر بقايا الطاهريين الذين كانوا بقيادة عامر بن داود وأخرجهم من مناطقهم وهرب عامر إلى التعكر واستولى المطهر على المخادر ،وهي بلدة شمال مدينة إبّ بمسافة 20كيلو متر يفصل بينهما قاع السحول، ثم استولى بعد ذلك على الشوافي وحبيش وكلاهما من توابّع مدينة إبّ(81). واستمر في تقدمه نحو التعكر فهرب عامر بن داود الطاهري إلى عدن واستولى المطهر على التعكر وحصنه(82) ثم توجه بعد ذلك إلى ريمان وهو السفح الذي تقع عنده مدينة إبّ فاستولى عليه وعلى سائر حصون المخلاف(83) .ولم يقع بين المطهر والمماليك الشراكسة قتال إلا بعد أن تقدم في العام نفسه نحو عاصمة المماليك مدينة زبيد .

---

(79) العمري ، تاريخ اليمن، ص 14 .

(80) قطب الدين محمد بن احمد النهزوالي الملكي ، البرق اليماني في الفتح العثماني ، بيروت 1986، ص 50 .

(81) شرف الدين ، روح الروح، ص ص 101 – 102 .

(82) شرف الدين، روح الروح،ص 102 .

(83) المصدر السابق ، ص 104.

أما الحقبة المحصورة بين بدء الاحتلال العثماني الأول وحملة سنان باشا (945هـ/ 1538م – 976هـ/1569م) فقد شهدت في بدايتها انحسارا وضعفا للأمامية الزيدية بقيادة المطهر مع تصاعد قوة الولاة العثمانيين وهيمنتهم خصوصا في عهد الوالي محمود باشا الذي تولى ولاية اليمن عام 968هـ /1562م، لكن الصراع بين الولاة العثمانيين اضعف السلطة العثمانية لتنتهي بهيمنة الإمام المطهر وانحسار السلطة العثمانية في حدود مدينة زبيد. وقد نال مدينة إبّ وما حولها حصة من هاتين الظاهرتين وأبرزها حصار الوالي محمود باشا لحصن حب والذي سنتناوله في الفصل القادم ،إلا أن هذا الحصار كان له تأثيره على مدينة إبّ ومناطقها لأن علي بن محمود النظاري الذي كان يسيطر على حصن حب وبعدان ويطلق على مناطق حكمه (مملكة بعدان) قد كان يسيطر أيضا على مدينة إبّ وجبلة، وقد أراد الوالي العثماني محمود باشا القضاء على سلطة النظاري(يرﷺ) فحاصر حصن حب ثمانية اشهر(سمﷺ) وخلالها سيطر على مدينة إبّ وقام بإعدام صهر النظاري في مدينة إبّ وكان هذا الصهر الذي يلقب بالخواجا علي الريامي ذا مال وفير وثروة كبيرة وله عدة سفن تجارية في البحار والتجارة مع الهند وكانت سمعته جيدة فأخذه الوالي محمود باشا من مدينة إبّ وصادر امواله ثم قام بإعدامه هو وولده(شمﷺ) مما اثأر سخط أهالي المدينة .وعندما اضطر النظاري إلى النزول من الحصن بعد أن طال عليه الحصار آثر وعد من الوالي محمود باشا بالأمان قام الوالي محمود باشا بإعدامه غدرا هو وولده عبد الرحمن ووزيره ومن معهم ،وكان ذلك في 24 رجب سنة 969هـ/1563م(لهﷺ)، فكان لهذه

---

(84) كان علي النظاري أميرا على حصن حب وقد توارث الإمارة عن أبيه وعن جده الذي كان قد استولى على حصن حب عندما ضعف عامر بن عبد الوهاب ولم يسمح له باللجوء إليه وطرد منه الأمير حسين الكردي.

(85) النهزوالي، البرق اليماني، ص 131 .

(86) النهزوالي، البرق اليماني، ص ص 130- 131 .

(87)المصدر السابق ، ص 131 ؛ شرف الدين ،روح الروح، ص ص ب وج بعد الصفحة 157 .

الحادثة أثرها على أهالي المنطقة في زرع الكراهية في قلوبهم ضد الأتراك العثمانيين ناهيك عن تصرفات الأتراك المؤذية ضد السكان .

وبعد أن قتل محمود باشا علياً النظاري وسيطر على حصن حب كتب إلى السلطان العثماني مدعيا أن النظاري كان عاصيا على السلطنة ولا يدفع الضرائب وانه استولى على مملكة بعدان ومدينتي إبّ وجبلة منفردا بالسلطة ولذلك تم إعدامه، وأرسل الوالي محمود رأس النظاري ورأسي ولده ووزيره ومن كان معهم إلى اسطنبول بعد أن سلخها وملأها تبنا(□□).

انتفاضات إبّ وما حولها (974هـ/1567م) .

كان لحادثة الغدر بالنظاري أثرها الكبير في نفوس أهالي منطقة إبّ ولذلك قاتلوا الأتراك العثمانيين مع أول فرصة سنحت لهم، وجاءت تلك الفرصة عندما ضعفت سلطة الأتراك العثمانيين بسبب الصراع بين الولاة بعد أن تم تقسيم اليمن إلى ولايتين من اجل التحكم بها، فأصبح الوالي رضوان على منطقة الجبال وهي صعدة وصنعاء وإبّ وجبلة وعدن، بينما أصبح الوالي مراد باشا على منطقة تهامة وزبيد. وكان ذلك بعد مغادرة الوالي محمود باشا اليمن عام 972هـ/1565م وحل محله الوالي رضوان باشا الذي دخل بعد التقسيم في صراع مع نظيره الوالي مراد باشا مما شجع الإمام الزيدي المطهر النهوض من جديد وإثارة وتوسيع الفتنة بين رضوان باشا ومراد باشا(□□) . إن هذا الصراع والتنافس قد اظهر السلطة العثمانية ضعيفة مما شجع القبائل اليمنية على التمرد بتحريض من الإمام المطهر، فأعلن أهل إبّ وجبلة انتفاضتهم على الأتراك العثمانيين حالما وجدوا سببا وان كان تافها، ذلك أن القاضي احمد بن محمد بن أبّي بكر اليافعي نائب الشريعة بالشوافي الأعلى كان يذكر لهم دائما انه إذا وقع كسوف (النيرين) معا في شهر رمضان انقرضت الدولة العثمانية وقد وقع هذا الكسوف فعلا في رمضان من سنة 974هـ/ 1567 م ،فبدأ القاضي بالاتصال

---

(88) النهزوالي، البرق اليماني، ص 134 .

(89) النهزوالي، المصدر السابق ، ص ص 165-170 ، العمري – تاريخ اليمن ص 19 .

بعدة قبائل و جهات وأوفد عبيد الشوافي إلى المطهر في شوال متعهدا بالسيطرة على المنطقة كلها فأصبحت إبّ وجبلة خارج سلطة الوالي إلى أن اضطر لعقد الصلح مع المطهر وعادت خطبة الجمعة في إبّ وجبلة تدعو إلى السلطان العثماني بدلا من المطهر(لج□).

إن هذا الصلح بين المطهر والوالي رضوان باشا لم يدم طويلا ،ففي السنة نفسها وبسبب التنافس بين الواليين رضوان باشا ومراد باشا وشكاواهما على بعضهما إلى السلطان العثماني قد أدت بالنتيجة إلى عزل رضوان باشا وكان لانسحابّه من اليمن مع قواته أثره في إضعاف القوة العثمانية، ولم يبق في صنعاء سوى قوة قليلة ضعيفة مما شجع المطهر على حصار صنعاء،(□□) فتقدم الوالي مراد باشا بقواته من تعز باتجاه صنعاء لإنقاذها لكنه وعند وصوله إلى ذمار انتفضت ضده المناطق الجنوبية المحصورة بين تعز وذمار ومنها منطقة إبّ(بر□) وتحريض من الإمام المطهر الذي أرسل الرسائل والمبعوثين إلى هذه المناطق، فكان أول من استجاب إلى دعوة الإمام المطهر احمد العتلة من بعدان وكذلك القاضي احمد اليافعي من الشوافي الذي سبق وان حرض على العصيان في إبّ ضد العثمانيين .وفي ذي الحجة من العام نفسه 974هـ / 1567م اجتمع ممثلون عن أهل بعدان ومدينة إبّ والشَّعر وصُهبان والعرنين للتخطيط والهجوم على الحاميات التركية ومثلهم فعل أهل الشوافي وحبيش وبعض أهل التعكر، وقرروا البدء بعملياتهم العسكرية بالهجوم على الحامية التركية الموجودة في مدينة إبّ لأن أهلها كانوا مستعدين لقتال الأتراك العثمانيين بعكس أهل مدينة جبلة الذين لم

---

(90) النهزوالي، البرق اليماني، ص ص 171- 172 ؛ شرف الدين ، روح الروح، ص 160 .

(91) النهزوالي، البرق اليماني، ص ص 173- 175 .

(92) سيد مصطفى سالم ، الفتح العثماني الأول لليمن 1538-1635 م ، القاهرة 1999، ص ص 241- 242 ؛ النهزوالي، البرق اليماني ، ص ص 175- 176 ؛ شرف الدين؛ روح الروح، ص ص 162- 163 .

يتفقوا معهم إلا لاحقاً(ترجمة). ويصف النهزوالي معارك مدينة إبّ ومنطقتها واندحار الأتراك العثمانيين بالقول : -

" اجتمعوا يوم الثلاثاء وأوقدوا النيران ،واخرجوا العسكر منها [أي من مدينة إبّ] فخرج العسكر إلى جبلة، ونهب من نهب ،وكان وصول العسكر المنهزم إلى جبلة صبح الثلاثاء ،فلما كان يوم الأربعاء اجتمعوا مع أهل إبّ وبعدان، والشوافيين وحبيش، وأهل الشعر، وصهبان والعرنين، نحو عشرة آلاف، بل خمسة عشر ألف محارب، وقصدوا جبلة وأهل جبلة خامروا معهم، لما رأوا غلبتهم فدخلوها بالقهر والغلبة ،بعد الظهر من يوم الأربعاء بعد أن حارب العسكر الموجود بها، وانهزموا لقلتهم ."(يرجمة) .

ويضيف النهزوالي أن العسكر من الأتراك العثمانيين التجأوا إلى دار فحوصروا وقطع عنهم الماء ولما يئسوا أعطاهم المهاجمون الأمان لكنهم لما خرجوا وعددهم 272 رجلا قتلوهم عن بكرة إبّيهم قائلين " هي مواثيق محمودية فغدر بهم كما غدروا بالنظاري"(سمجمة). مما يؤكد أن حادثة قتل النظاري من لدن محمود باشا قد بقيت في العقول والنفوس تثير الانتقام من الأتراك العثمانيين .

إن حالة العصيان والتمرد التي عاشتها منطقة إبّ قد شجعت القبائل المختلفة على العصيان فاضطربت الأحوال وانقطعت الطرق وتعرضت قوات مراد باشا إلى الهجمات والانكسارات فاضطر إلى العودة إلى تعز ليبدأ تقهقر العثمانيين خصوصا بعد مقتل مراد باشا نفسه(شمجمة) فكانت البداية لانهيار بقية نفوذ العثمانيين في اليمن

---

(93) النهزوالي، البرق اليماني، ص 177 ؛ سالم ، المصدر السابق ، ص 242 .

(94) النهزوالي ، البرق اليماني، ص 177 .

(95) النهزوالي، البرق اليماني، ص 179 ؛ سالم ، المصدر السابق ، ص 242 .

(96) شرف الدين ، روح الروح، ص 163 .

لينحصر في مدينة زبيد، بينما أصبحت صنعاء تحت سيطرة المطهر[96] الذي منح أخاه علياً إمام حصن حب، فتقدم علي إلى الحصن وحاصره واستولى على مدينةإبّ وجبلة وبعدان ثم تسلم الحصن بعد أن طلب أهله الأمان والاستسلام[97].

معركة إبّ في حملة سنان باشا (977هـ/1570م).

أعادت الدولة العثمانية سيطرتها على اليمن من خلال حملة الوزير سنان باشا وكانت مدينة إبّ وما حولها هدفا عسكريا مهما لسنان باشا من اجل السيطرة على المناطق الجبلية في اليمن الأسفل بعد أن سيطر على تعز وعدن. وكانت خطوة سنان باشا الأولى هي الاستيلاء على مدينة جبلة وحصن التعكر في 26 ذي الحجة من عام 976هـ/ 1569م[98] . ثم استولى بعد ذلك على جبل حبيش وحصن خُدُدْ في معركة قادها بالنيابة عنه عبد الله الداعي ضد لطف الله ابن الإمام المطهر الذي كان متحصنا في حصن خدد فانتصر عليه في الثالث من شهر محرم الحرام عام 977هـ / 1570م[99] . وبالسيطرة على حصن التعكر ومدينة جبلة اصبح الطريق مفتوحا إلى مدينة إبّ، إلا أن الاستيلاء عليها لم يكن سهلا بسبب وجود القوات الزيدية في المنطقة فدارت معركة فاصلة بين الطرفين قادها سنان باشا بنفسه ضد قوات الأمامية الزيدية بقيادة لطف الله بن الإمام المطهر ،والذي كان قد اندحر في معركة حصن خدد بجبل حبيش، وانتصر الوزير سنان باشا ليدخل مدينة إبّ في العاشر من محرم الحرام عام 977هـ / 1570م.

لم تكن معركة إبّ معركة عادية أو مجرد مواجهة عسكرية بين طرفين متقاتلين بل سبقها خطط عسكرية من الطرفين المتنازعين، فقد تمركزت قوات سنان باشا بعد تقدمها من جبلة والتعكر في واد يفصل بين مدينة إبّ وجبل بعدان أطلق عليه

---

(97) المصدر السابق ، ص ص 164- 165.

(98) النهزوالي، البرق اليماني، ص ص 193- 194 .

(99) النهزوالي، البرق اليماني، ص ص 266- 267 ؛ سالم ، المصدر السابق ص 272 .

(100) النهزوالي، البرق اليماني، ص ص 269- 271 .

المؤرخ سنان باشا النهزوالي اسم وادي (الشبكة) عند وصفه لأرض المعركة حيث قال: -

" لما قضى حضرة الوزير ارباً من حصن(خُدُدْ)، وانهزم العدو وسكن وبرد ،عاد إلى أخذ إبّ، وهي بلدة ذات بيوت عوالٍ تطاول في ارتفاع بنائها السمر العوالي، وهي واقعة في ذيل جبل (بعدان) جبل ذروته السماك والنسران، لا يعلوه إلا النيران ،ولا يسمو قلته إلا القمران ،وفي سفحه واد فسيح، ذو هواء صحيح، وعَرْف يعرف منه الرند والشيح، يدخل إليه من مضيق كأنه عنق إبّريق، محفوف بزهر الشقيق، مفروش بفرش العقيق، يحوي جنة عالية، قطوفها دانية، يسمى ذلك الوادي (الشبكة) لأنها كالشبكة، أشجارها مشتبكة وإزهارها محتبكة، وأنهارها مرتبكة .فضرب الوزير مخيمه بذلك الوادي وملأ بعسكره المنصور ذلك النادي. "(□ لج□) .

أما الأمامية الزيدية فقد وضعوا خطة عسكرية لمحاصرة قوات الوزير سنان باشا في الوادي الذي تمركز فيه وذلك بالسيطرة على مدخل الوادي الضيق وإغلاقه ثم مهاجمة قوات سنان باشا من مدينة إبّ ومن أعلى جبل بعدان ومنعها من التراجع والقضاء عليها، وقد نظم الزيدية قواتهم بقيادة لطف الله بن الإمام المطهر ومعه ابّن عمه محمد بن شمس الدين وعلي بن شويع وأمدهم المطهر بقوات إضافية، فأصبح عدد جنودهم اكثر من عشرين ألفا.(بر لج□) من جانب آخر قام الزيديون بالاتصال بقبائل منطقة إبّ وبعدان طالبين منهم عدم التدخل في القتال : -

---

(101) النهزوالي، البرق اليماني، ص 272 .

(102) المصدر السابق ، ص ص 272- 273.

" فقالوا لهم : نحن لا نطلب منكم أن تقاتلوا معنا، ولا تكشفوا وجهكم بمخالفة الاروام [الأتراك العثمانيين] إقامة وضعنا، بل إذا رأيتمونا غالبين، وصار الاروام منهزمين ،إبّرزوا المكتوم، واقتلوا المهزوم، واكشفوا المغطا، ولاتبقوا منهم رهطا، وان انهزمنا فانتم على أمانكم باقون، ومعهم -كما كنتم -ملاقون "(تريخ□) .

ثم دخل الأمامية مدينة إبّ ليلاً وأخلوها من سكانها ووضعوا فيها ألف جندي مقاتل من حملة البنادق، أما بقية جنودهم فقد صعدوا إلى جبل بعدان بعد أن أغلقوا طريق مضيق الوادي بجنود من الفرسان.

ويصف النهزوالي هذا التحرك لقوات الامامية فيقول : -

" ثم عطفوا بالليل على (إبّ) وأخلوها من الرعية، ووضعوا فيها ألف رام بالبندقية، وصعد باقيهم جبل (بعدان) وسد بعضهم طريق المضيق بفرسان حافلة من العربان ،وشرعوا في إيقاد النيران، والرمي بالمقالع والصوان."(يريخ□) .

وعندما فتح الامامية الزيدية على القوات التركية العثمانية النار ردوا عليهم بالمدفعية الثقيلة وبادروا بالهجوم على مدينة إبّ، واستمرت المعركة منذ الصباح وفي الليل وحتى اليوم التالي حين تمكنت قوات سنان باشا من دخول مدينة إبّ في العاشر من محرم الحرام عام 977هـ/1570وقد عدّها النهزوالي(فتحا مباركا) حين قدم وصفا دقيقا لمعركة إبّ بأسلوب ممتع فقال : -

" واستمر القتال من أول النهار إلى آخره، وكلّ جفن السيف من مفارقة بواتره ،وحجز الليل بين الفريقين، وستر الظلام سواء

---

(103) المصدر السابق ، ص 273.

(104) النهزوالي، البرق اليماني، ص 273 .

كل واحد من الرفيقين، وكل منهما على حذر شديد، وفزع يشيب منه الوليد، ودخان البارود قد طبق الجو ظلاما والبس الليل الحالك جلبابا يزداد به إظلاما، لا ينيره غير خفق البرق من فتايل البنادق، فيضيء به الأفق كما يضيء بلمع البارق ،ويحذرون من الموت فيجعلون أصابعهم في آذان من الصواعق، ويتبع ذلك الصوت رعد هائل، وترتعد منه الأركان والمحاجر، وتذوب له القلوب والحناجر، حتى صمت بها الآذان، وصمت لها صوت داعي الآذان ،إلى أن تقنع الليل رداء الصباح،وابتسم الدجى عن ثغر الاقاح، ونادي منادي الصفاح : حي على الرماح، فكان حي الفلاح ، واستمرت نار الحرب تشب وتضطرم، وفوارس الهيجاء تضطرب وتصطدم، ومتون الصفاح تصافح الأعناق وتلتطم، ومازالت بينهم حملات وركضات وضربات ونفضات."(سم لح□) .

ثم يشير النهزوالي إلى قتلى المعركة من الجانبين(شم لح□)ويضيف : -

"إلى أن قُتل منهم [أي من الامامية] نقيب كبير، كان يذكر بإقدام كثير، يقال له (ابو النصر) أصيب بسوط القهر، وانكب على اليدين والنحر، وصار إلى السعير، وبئس المصير ،فهرب لذلك الزيديون ، وانحازوا إلى جبل (بعدان) وأخلو بلدة (إبّ) فدخلها عسكر السلطان ، وحازوا ذلك المكان فكان فتحا يعقبه الفتوحات ... وكان الفتح المبارك في يوم عاشوراء عاشر محرم الحرام سنة سبع وسبعين وتسعمائة "(لم لح□)

---

(105) النهزوالي، البرق اليماني، ص 273- 274 .

(106) المصدر السابق ، ص 274.

(107) المصدر السابق ، ص 274.

لم يقدم لنا النهزوالي وصفا لخطة سنان باشا على الرغم من أنه كان يؤرخ للأتراك العثمانيين وينحاز إليهم ،إلا انه يبدو أن خطة سنان باشا كانت عدم القتال على جبهتين في آن واحد، ولذلك هاجم في البداية القوات التركية المتمركزة حول مدينة إبّ وفي داخلها ،وبعد أن سحقها توجه لقتال القوات الزيدية المتمركزة في جبل بعدان والتي كانت تمتلك المقالع والبنادق والموقع المسيطر على مدينة إبّ وما حولها، ومع ذلك تمكنت قوات سنان باشا من صعود جبل بعدان واقتحامه وخاضوا معركة بالسلاح الأبيض مع قوات الامامية الزيدية انتهت بانتصار قوات سنان باشا(□ لح□) ليبدأ بعدها حصار حصن حب الذي كان يسيطر عليه علي بن شرف الدين اخو المطهر(□ لح□) والذي سنتناوله في الفصل القادم .

كانت خطة سنان باشا بعد معركة إبّ وبعدان أن يحاصر حصن حب ويتركه محاصرا ليتجه إلى ذمار وصنعاء، وعندما سمع الإمام المطهر بتقدم قوات سنان باشا إلى صنعاء غادرها ملتجئاً إلى جبل ثلا وتحصن فيه، في حين دخل الوزير سنان باشا صنعاء في الحادي عشر من صفر عام 977هـ/1570م(لح□□)فكانت معركة إبّ وبعدان فاتحة الطريق الى صنعاء .

تداعيات معركة إبّ :

وقعت معركة إبّ بثلاث مراحل: الأولى هي معركة مدينة إبّ نفسها والثانية معركة جبل بعدان والثالثة هي حصار حصن حب على أمل أن الحصار الطويل للحصن سيؤدي إلى استسلامه دون قتال. كما أن الانتظار لحين احتلال الحصن أو

---

(108) النهزوالي، البرق اليماني، ص ص275-276 .

(109) المصدر السابق ، ص ص 280-281.

(110) المصدر السابق ، ص ص 284-286؛ سالم ، المصدر السابق ص 272.

خوض معركة من اجله سيؤخر كثيرا من تحقيق الهدف النهائي لحملة الوزير سنان باشا في الوصول إلى صنعاء واحتلالها .

ومن الملاحظ أن أهل إبّ والقبائل الموجودة في المنطقة لم يشاركوا في معركة إبّ وبعدان ،فقد أجلت قوات الامامية الزيدية أهل المدينة كما طلبوا من قبائل المنطقة بأكملها أن يلتزموا جانب الحياد وعدم الدخول في المعركة،(□□□) ويعود السبب الأساسي في هذا إلى عدم ثقة الامام المطهر بإخلاص هذه القبائل وولائها له ولذلك كان يوصي قادته بعدم الاعتماد عليهم وعدم الثقة بهم(بر□□) مع أن قبائل المنطقة بما فيهم أهل مدينة إبّ كانوا على استعداد لقتال الأتراك العثمانيين بل والوقوف إلى جانب الامامية ضدهم بالرغم من انهم كانوا من الشافعية. والسبب يعود إلى كون الأتراك العثمانيين محتلين أجانب ولأن سلوكهم السيئ والعدواني مع الناس كان ينفرهم منهم ويثير البغضاء والعداء لهم، ناهيك عن سمعة الأتراك العثمانيين بالغدر منذ حادثة النظاري .

لقد ترك الوزير سنان باشا قوة كافية مجهزة بالمدافع والذخيرة تحاصر حصن حب وتوجه إلى ذمار في طريقه إلى صنعاء وتلك معركة أخرى خاصة بحصن حب سنتناولها في الفصل القادم خصوصاً وأنها قلبت الموازين رأساً على عقب وحولت انتصارات الوزير سنان باشا في إبّ وبعدان إلى هزيمة ساحقة إبّيدت فيها قواته التي تركها تحاصر حصن حب عن آخرها .

3 - إبّ في عهد الدولة القاسمية

مثلت وفاة المطهر عام 980هـ /1572م النهاية الحقيقة لعائلة شرف الدين الزيدية ،فاستقرت الأمور في اليمن تحت حكم العثمانيين لمدة ربع قرن من الزمن إلى أن قامت الدولة القاسمية اثر تدهور الحكم العثماني وإجبار القاسميين إياه على الجلاء

---

(111) النهزوالي، البرق اليماني، ص 273 .

(112) المصدر السابق ، ص ص 401-402.

عن اليمن عام 1054هـ/1636م.(تر□□)ولا توجد لدينا مؤشرات أو دلائل على وقوع أحداث مهمة في مدينة إبّ وما حولها خلال هذه الحقبة ولكن الصراعات التي عاشتها اليمن خلال حكم الدولة القاسمية قد شملت مدينة إبّ ومنطقتها على الرغم من أنها لم تكن مقراً سياسيا للائمة القاسميين.

فاجعة مدينة إبّ في حرب يافع 1120هـ/1709م

كانت أولى تلك الأحداث عندما تفاقم الصراع الأسري بين القاسميين أنفسهم، فقد شهد عهد الامام المهدي الملقب بصاحب المواهب الذي تسلم الحكم بعد وفاة المؤيد الصغير عام 1097هـ/1680م تفاقم التمرد على سلطة القاسميين في اليمن الأسفل متهمين إياهم بالظلم والفساد منذ عهد الإمام المؤيد الصغير الذي لم يحاسب أحدا ولم يضع حداً للفساد الإداري والمالي والظلم الذي كانت تقوم به أسرته(ير□□)، لذلك اندلعت حركة التمرد على الحكم ألقاسمي منذ سنة 1093هـ/1684م وامتدت إلى ما بعد سنة 1145هـ/1736م. ففي منطقة يافع العليا والسفلى اجتمعت كلمة القبائل على تنصيب صالح بن احمد بن على هرهرة سلطانا عليهم وأناطوا به مهمة إنقاذهم من حكم الأئمة القاسميين ،فاتحدت تحت رايته قبائل يافع العليا ويافع السفلى وبنير العوالق العليا والسفلى وحالمين وآل الفضل، ووقعت المعارك بينهم وبين قوات القاسميين لسنين طوال في عهود حكام يافع وأولهم صالح بن احمد ثم ناصر بن صالح ثم عمر بن صالح ثم قحطان بن عمر والذين تلقبوا بالسلاطين(سم□□).

وفي زمن الإمام القاسمي المهدي صاحب المواهب عاشت مدينة إبّ ذلك الصراع بينه وبين سلطان يافع صالح بن احمد هرهرة ،وأصاب المدينة من النهب والسلب ما لم

---

(113) العمري ، تاريخ اليمن، ص ص 21- 27 .

(114) المصدر السابق ، ص ص 77-86 ؛ الاكوع الحوالي ، عالم وأمير، ص ص 46-47 .

(115) احمد فضل بن علي محسن العبدلي ، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، بيروت 1980، ص ص 108-109 ؛ الحداد ، التاريخ العام ،ج/4، ص 144 .

تشهده من قبل ،حين خطط اليافعيون لمعركة في منطقة إبّ وما يحيط بها من اجل أن يصرفوا قوات الإمام المهدي صاحب المواهب عن الدفاع عن بلاد حضرموت[شم□□]. وقد كتب زبارة الصنعاني في مخطوطه نبلاء اليمن في القرن الثاني عشر للهجرة عن هجوم اليافعيين على مدينة إبّ نقلا عن عامر بن عامر بن محمد عامر صاحب مخطوط (بغية المريد) والذي عاصر تلك الأحداث فذكر انه في يوم الاثنين الخامس من ربيع الأخر عام 1120هـ/1711م خرج السلطان عمر بن صالح بن احمد هرهرة من بلاده بقوات مقاتلة يبلغ عددها عشرين ألف مقاتل من أهالي يافع وبلاد الرصاص والحواشب ودثينة وأصحاب الهيثمي وآل حميقان وقبائل مراد وبيحان والمصعبين، وتقدموا نحو مدينة قعطبة ثم وصلوا إلى ميتم وجبل بعدان[له□□] .

ويضيف الصنعاني : -

" وفي نهار السبت عاشر الشهر قصدوا مدينة إبّ فحملوا عليها بسيوفهم وبنادقهم حملة رجل واحد. وكان العامل عليها وعلى مدينة جبلة السيد حسن بن محمد بن عبد الله المحرابي غير عامل [أي غير متهيئ] بما يجب من الحزم والثبات .فقام أهل المدينة بحفظ بابها وغفلوا عن سورها الضعيف.[□□□] فدخلت قبائل المشرق إلى المدينة من بعض السور والباب. وقتلوا من وجدوا فيها من كبير وصغير ورجل وامرأة بسيوفهم ولم يحترموا أحدا من المسلمين واليهود .فاستولوا على مقدار ثلثي المدينة قتلاً وإحراقا بالنار

---

(116) العبدلي ، هدية الزمن ، ص ص 111،124 ؛ الحداد ، التاريخ العام ،ج/4، ص ؛44، الجرافي اليمني ، المقتطف في تاريخ اليمن ص 245.

(117) محمد بن محمد بن يحي زبارة الصنعاني ، نبلاء اليمن في القرن الثاني عشر للهجرة . نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف إلى سنة 1375هـ، بيروت 1985، ص 350.

(118) قام أهل إبّ بتجديد السور وتقويته بعد حرب يافع وبرعاية الوزيران محسن بن علي الحبيشي الحريبي وأخاه صالح في السنة نفسها التي نهبت فيها مدينة إبّ ، أي عام 1120هـ/ 1711م .

وخرابا ونهبا. واخذ جميع ما في سوقها وخان البانيان والمساجد وقتلوا كل من وجدوه غير مستسلم.واستمرت الحرب فيما بينهم وبين من حمى داره بالبنادق. ومنها دار محمد بن الحسن ابّن الإمام. كان فيها جماعة من أصحاب الفقيه عبد الله الحبيشي أخي الوزير محسن بن علي بن عمر الحبيشي. ودار السادة آل عامر. وكنت وبحمد الله الحافظ لها وبيت شمسان.والسادة أهل غربان والفقهاء بيت الجبري أهل خولان .وبيت احمد بن علي المتوكل . وأما سائر المدينة فاستولى عليها قبائل المشرق. واستمرت الحرب بالمدينة يوم السبت وليلة الأحد ويومه حتى ظن الظان أنها قد قامت القيامة. "(□□□).

ويشير الحداد أن حرب يافع هذه قد سبقها حصار لمدينة إبّ من اليافعيين(لح بر□).

وعندما وصلت أخبار استباحة مدينة إبّ إلى الإمام المهدي صاحب المواهب، أرسل قوات عسكرية مجهزة بالخيل والرجال والسلاح إلى منطقة إبّ بقيادة يحي بن علي بن المتوكل والناصر بن الحسين بن الحسن بن القاسم، فلما علم بذلك عمر صالح هرهرة انسحب راجعا إلى يافع وحمل معه ما أخذوه من مدينة إبّ .ويصف عامر بن محمد عامر عملية الانسحاب فيقول

" وحمل ما أخذوه من إبّ فوق ألف جمل غير ما أخذوه فوق الحمير وعلى ظهورهم واحرقوا ما لم يقتدروا على حمله من فراش وأمتعة وحبوب لا تنحصر واحرقوا الكتب وبصائر الأموال وغيرها"*(□ بر□).

---

(119) الصنعاني ، نبلاء اليمن ، المجلد الثالث، ص 350 .

(120) الحداد ، التاريخ العام، ج/4، ص ص 109،124،111.

* يقصد ببصائر الأموال الوثائق الشرعية للملكيات الخاصة والعامة وتسمى وثائق الإرث بالفروز ، ووثائق الشراء والبيع بالبصائر ، وهي التسمية المستخدمة حتى اليوم في اليمن ، والتي تعني بها

وفي طريق الانسحاب التقت قوات يافع بقوات صاحب المواهب وتمكنت من دحرها والتغلب عليها وقتل قيادتها، واستولت على سلاحها وخيلها، وعادت إلى يافع منتصرة على قوات الإمام.

وقد وصف المولى اسحق بن يوسف بن المتوكل هذه المعركة التي وقعت خارج مدينة إبّ بالقول: -

" إن الغارة التي أرسلها المهدي [صاحب المواهب] انتهت إلى مسيل بجنب جبل يسرخ حول العذارب من جهات إبّ .وفيها أشجار ممتدة وأحجار لا مجال لقتال الخيل والرجل فيها، فالتقوا هنالك بقبائل يافع دون اختيار فحمل أهل يافع وقبائل المشرق على الجند الامامي حملة صادقة فأوقعوا بهم وتفننوا في تعذيبهم والتمثيل بهم، واجتزوا رأس يحي بن علي بن المتوكل والسيد الناصر بن الحسين وعلقوهما بشجرة هنالك . ثم عرفت جثة الأمير يحي بن علي ببهق كان فيه وحملت مع الرأس إلى العذارب ودفنت هنالك . "(بر بر□).

وقد كتب شاعر يافع البكري قصيدة بهذه المناسبة جاء فيها : -

تعز خذناها وخذنا قعطبة وإبّ والراحة ونجد والجاح

ويوم خذناها وخذنا ما بها وانتم بها وأمسى السمر فيها متاح(تر بر□

)

وثائق وأصول الملكيات المسجلة في المحاكم الشرعية والسجلات العقارية. (الهامش للدكتور عبدالله الفلاحي).

(121) الصنعاني ، نبلاء اليمن ، المجلد الثالث، ص 351 .

(122) الصنعاني ، نبلاء اليمن ، المجلد الثالث، ص 351 .

(123) الحداد ، التاريخ العام ج/4، ص 144 .

لقد ذكر عامر بن محمد عامر في بغية المريد ونقل عنه زيارة ألصنعاني، إن سبب استباحة عمر صالح احمد هرهرة لمدينة إبّ هي (الضغائن) التي كانت قائمة بينه وبين الوزير الفقيه محسن بن علي الحبيشي الإبّي، ولكنه يشير إلى أن قبائل المشرق لم تتمكن من نهب داره بمدينة إبّ بسبب تصدي الحماية فيها للمهاجمين ومنعهم من نهبها، والتي كانت فيها معظم ذخائر الحبيشي حسب قوله[ير بر□]. إلا انه لا يمكن تفسير أسباب حادثة مروعة مثل هذه بسبب واحد فقط، بل كان الهدف الأساسي هو إثارة المتاعب وإضعاف جبهة القتال في بلاد حضرموت، والتي كان يخوضها الإمام صاحب المواهب ضد المتمردين على سلطته،وذلك بفتح جبهة له في منطقة إبّ وما حولها، خصوصا وأن محسن الحبيشي كان وزيرا لدى الإمام صاحب المواهب ولم يكن يسكن في داره بمدينة إبّ بل كان في ذمار بحكم وظيفته. وفي كل الأحوال فقد قام الوزير محسن الحبيشي الإبّي وأخوه صالح بترميم سور إبّ وتقويته وإعادة صيانته بعد فاجعة حرب يافع .

لقد عانت مدينة إبّ من حروب وصراعات سياسية لم تكن لها مصلحة فيها، فكان سكانها ضحية لصراعات ليس لهم فيها شأن، ومن الصراعات السياسية التي عاشتها إبّ ما وقع بعد وفاة الإمام المتوكل عام 1149هـ/1740م، حين تنافس ولداه على السلطة فاصبح المنصور يحكم صنعاء ومناطقها بينما استقل أخوه احمد بتعز ومخاليفها وأعلن نفسه إماما عليها متحديا أخاه المنصور إلى أن تم تسوية الخلاف بينهما ببقاء تعز ومخاليفها تحت نفوذ احمد وسيطرته على أن يعلن ولاءه لأخيه[سم بر□] .وخلال ذلك الصراع قام عبد الله بن طالب بن المهدي بالسيطرة على مدينتي إبّ وجبلة باسم السلطان احمد الذي أعلن استقلاله في تعز، وقام عبد الله بن طالب بإلقاء القبض على عامل الإمام المنصور فيها إبّراهيم بن محمد المهدي المواهبي، وأصبحت مدينة إبّ ومدينة جبلة الوحيدة في المنطقة التي لا تدين للإمام المنصور في

---

(124) الصنعاني ، نبلاء اليمن ، المجلد الثالث، ص 351 .

(125) الاكوع الحوالي ، عالم وأمير، ص ص 48-49 ؛ العمري ، المصدر السابق ، ص 120 .

صنعاء، والذي أرسل الرسل إلى اليمن الأسفل يدعو الناس إلى مبايعته، فبايعه أهل المنطقة إلا عبد الله بن طالب. وعندما أرسل المنصور إليه رسولين هما عبد القادر النزيلي والمولى احمد بن عبد الرحمن الشامي، قام عبد الله بن طالب بإلقاء القبض على النزيلي، بينما عاد المولى الشامي إلى صنعاء(شم بر□). ويبدو أن هذه المشكلة لم يتم حلها إلا بعد فض النزاع بين الأخوين الإمامين المنصور واحمد ولدي المتوكل قاسم بن حسين بن احمد بن الحسن بن القاسم.

إبّ خلال غزو محمد علي باشا لليمن

كان الإمام المهدي بن عبد الله (1231هـ - 1251هـ/1816 -1835م) آخر الحكام القاسميين الأقوياء، فقد دخلت اليمن من بعده في صراعات وفوضى داخلية ،كما تكالبت عليها الدول الأجنبية ومنها بريطانيا والدولة العثمانية(ﻫ بر□).

قام الإمام المهدي بجولة في (اليمن الأسفل)* عام 1237هـ/1821م وزار ذي السفال وخصص أموالا لبلاد العدين وكانت إبّ واحدة من المدن التي زارها وأقام فيها أياما في طريقه إلى المخادر(□ بر□) فكانت مدة حكمه تتميز بالاستقرار وولاء القبائل له لكن الأمور اختلفت من بعده فلم يستمر حكم ولده علي الذي تلقب بالمنصور سوى عام وثلاثة اشهر ثم اغتصب منه الحكم ابن عمه عبد الله بن حسن الذي تلقب بالناصر وذلك عام 1254هـ/ 1838 م(□ بر□).

---

(126) الصنعاني ، نبلاء اليمن ،المجلد الثالث، ص 13 .

(127) العمري ، تاريخ اليمن، ص 131 .

* استخدم المؤرخون كلمة اليمن الأسفل للدلالة على ما بعد صنعاء وباب اليمن. كما تعارف عليه اليمنيون بمقابل اليمن الأعلى أو الشام من شمال صنعاء إلى صعدة بما في ذلك الشوق وكانت كذلك تسمى بالمشوق ودلالاتها جغرافية صرفة وليس الدلالة المذهبية والمناطقية أو العشائرية كما فهمت في بعض الأحيان. (الهامش للدكتور عبدالله الفلاحي).

(128) الحداد ، التاريخ العام ،ج/4، ص ص 128-129.

(129) العمري ، تاريخ اليمن ، 127-130 .

واجه الإمام الناصر عصيانا واضطرابات في اليمن الأسفل إلى جانب غزو قوات محمد علي باشا المصرية لليمن بقيادة أخيه إبّراهيم باشا، فقرر الناصر القضاء على بعض القبائل المتمردة قبل الاصطدام بقوات محمد علي باشا فتقدم إلى ذمار ويريم وقمع المتمردين على سلطته.(لح تر□) وبعث من هناك رسائل إلى القبائل المتحكمة باليمن الأسفل يطلب منهم القدوم إليه، فلم يستجب إلا القليل، مما اضطره للتوجه إلى منطقة إبّ وتمكن من إخضاع قبائلها لسلطته بالقوة حينا وبالهبات والأموال حينا آخر، ومنها قبائل بكيل التي كانت قد اتخذت مراكز وحصونا لمقاومة قوات الناصر الذي دحرها.(□ تر□)

استقر الناصر في مدينة إبّ بضعة اسابّيع قام خلالها بإعداد قواته النظامية والقبلية وتجهيزها من اجل التوجه الى تعز لقتال قوات محمد علي باشا. وحينما وجه قواته للقتال احتفظ ببعض جنده وقادتهم معه لأنه لم يكن مطمئنا لولاء أهل إبّ ومنطقتها له .(بر تر□)

خاضت قوات الناصر معركتين خارج مدينة تعز الأولى دارت في مكان اسمه (القصيبة) وقد انهزمت قوات محمد علي باشا وتراجعت إلى مدينة تعز، ولكي يظهر الناصر باسه وقوته ويرهب في الوقت نفسه اهالي إبّ وما حولها فقد أرسل رؤوس قتلى قوات محمد علي إلى مدينة إبّ وعلقت على بابها " وقد عجب الناس من كثرتهم وشناعة خلقها لعدم معرفتهم من قبل بمثل تلك الرؤوس التركية أو الارناؤطية „(تر تر□) .

---

(130) حسين عبد الله العمري ، مائة عام من تاريخ اليمن الحديث 1748-1848م / 1161-1264هـ ، دمشق 1984، ص ص 250-259. وسأرمز له (العمري ، مائة عام)

(131) العمري ، مائة عام، ص ص 263-264 .

(132) محمد بن إسماعيل الكبسي الصنعاني ، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية ، القاهرة بلا تاريخ، ص 304-305 ؛ العمري ، مائة عام، ص 264 .

(133) العمري ، مائة عام، ص 265 .

وعندما دارت المعركة الثانية هاجمت قوات محمد علي باشا عسكر الناصر وهزموهم فتراجعوا إلى إبّ، بينما تقدمت القوات المنتصرة إلى العدين القريبة من مدينة إبّ. وبناء على روايات لمعاصرين مؤرخين استدعى الشيخ سعيد بن احمد علي سعد قوات محمد علي باشا إلى العدين، واتهموه بخيانة الأمانة لأنه كان عامل الإمام الناصر على العدين، وقد فتحت لهم المدينة فدخلها حوالي ألفين من قوات محمد علي باشا فاظهروا (القوة والزينة واستولوا على البلاد)[134] .

قرر الناصر الانتقال إلى جبلة، ومن هناك أرسل نحو خمسمائة مقاتل من قواته الرماة مع بعض قوات القبائل لإخراج قوات محمد علي باشا من مدينة العدين فجرت مناوشات بين الطرفين ،و على الرغم من مقتل عدد من جنود قوات محمد علي باشا، كانت النتيجة لصالحهم فتراجعت قوات الناصر عن مدينة العدين .

- حصار الناصر في مدينة إبّ 1254هـ/1838م

تراجع الناصر إلى مدينة إبّ مرتبكا مخذولا في أواخر جمادي الأولى من عام 1254هـ/ أغسطس إبّ 1838 م بعد فشله في معركتي تعز وبعدان ،وفوجئ بالقبائل التي جاءت تقاتل معه في تعز وعادت منهزمة، قد حاصرته هي وقبائل أخرى في مدينة إبّ. ويعود سبب هذا الحصار وانقلاب قبائل المنطقة على الناصر إلى سخطها من الهزيمة وضعف الناصر وزوال هيبته وقوته أمامهم ،فقد كان عدد ممن قتل أقرباء لهم في معركة تعز الثانية ساخطين ناقمين على الناصر ،كما استعادت بعض قبائل ذي محمد مواقعها في الحصون القريبة من مدينة إبّ وطردت حامية الناصر وقتلت عددا

---

(134) المصدر السابق ، ص 266.

من رجاله، وانظمت إلى الحصار قبائل أخرى كان الناصر قد اخذ منهم رهائن وحبسهم بعد أن كانوا قد خضعوا له فجاءوا مطالبين بالإفراج عن أصحابهم وذويهم(سمه تر□) .

بات الناصر في محنة حقيقية وهو محاصر مع قواته داخل مدينة إبّ، فلم يعد معه قوة كافية لقتال القبائل وفك الحصار واصبح أمل خروجه من مدينة إبّ المحاصرة ضعيفا، لكنه تمكن من خلال قبوله شروط القبائل المحاصرة له، فأطلق سراح المعتقلين منهم وأعاد نفوذ زعمائهم على المنطقةمقابل تركه يعود بجنوده إلى صنعاء سالما(شمه تر□).

ويصف المعاصرون خروجه من مدينة إبّ المحاصرة بالقول : -

" وعندما قرر الهروب ناكصا إلى صنعاء كان يوم خروجه يوما عبوسا فكل فرد من أصحابه أيقن بالهلاك بسبب انقطاع جميع المسالك، وما وصل الإمام إلى المخادر إلا بشق الأنفس وكثرة الأثقال بقيت في إبّ ... ورجع بخفي حنين ونعق بينه وبين اليمن الأسفل غراب البين، ولم يزل الخوف والفساد وراءه حتى وصل صنعاء "(ته تر□) .

إبّ وثورة الفقيه سعيد بن صالح (1256هـ/1840م)

اضطر محمد علي باشا إلى سحب قواته من اليمن بعد أن انذره الأوروبيون ،فقد كان البريطانيون يخشون من استيلائه على ميناء عدن الذي كانت فيه محطة لتزويد بواخرهم بالفحم منذ عام 1829م. كما أن صنعاء لم تعد هدفا عصيا أمام

---

(135)العمري ، المصدر السابق ، ص ص 266-267 ؛ صادق محمد الصفواني ، الأوضاع السياسية الداخلية لليمن في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ، صنعاء 2004، ص 226 ؛ الحداد ، التاريخ العام، ج/4، ص 185 .

(136) الصنعاني ، اللطائف السنية، ص 305 ؛ الصفواني ، المصدر السابق ، ص 226 ؛ العمري ، مائة عام، ص 276.

(137) العمري ، مائة عام، ص 267 .

قوات محمد علي باشا بعد هزيمة الناصر وعودته إليها[138]. فكان لا بد من إيقافه عند حده، فاحتل ميناء عدن قبل البريطانيون في 25 شوال 1254هـ/16 يناير 1839م وانسحب محمد علي باشا من اليمن في 1256هـ/9مايو1840م بعد أن سلم تهامة إلى الشريف حسين بن حيدر[139] .

أن انسحاب قوات محمد علي باشا من تعز ثم من اليمن وهروب الناصر من مدينة إبّ وعودته إلى صنعاء، قد ترك فراغا امنيا في اليمن الأسفل بغياب أي سلطة للدولة فيه، فأصبح نهبا للقبائل المتسلطة وبعض شيوخها من المتنفذين، وعانى الفلاحون وغيرهم الأمرين من الظلم والاستغلال وانتهاك الحرمات، وخيم الخوف وتفاقمت حوادث السلب والنهب وقطع الطرقات. وسط هذه الظروف العصيبة نمت حركة صوفية في منطقة مدينة إبّ وما حولها بقيادة الفقيه سعيد بن صالح بن ياسين العنسي الهتار المذحجي الذي بدأ من قرية الدنوة الواقعة بين حبيش ونعمان غربي مدينة إبّ. وقد استمر الفقيه صالح منكبا في صوفيته لمدة أربعين عاما استعان به الضعفاء والمطرودون من أراضيهم بسبب تلك الفوضى.وبمرور الوقت تحول من قائد ديني إلى قائد دنيوي وأعلن نفسه (إمام الشرع المطهر المهدي)ويقال إنه أضاف إلى كنيته لقب (المهدي المنتظر). وكان أهم ما في دعوته الثورة ضد ظلم القبائل المسيطرة على مصائر الناس، فتمكن في وقت قصير من تقوية سلطته والحد من سطوة تلك القبائل ،وتجاوز ذلك إلى ضرب النقود الفضية باسمه، وأقام الولاة وعين القضاة وخطب باسمه على المنابر ،وامتد سلطانه من زبيد غربا إلى يافع شرقا، وشمل منطقتي إبّ وتعز واقترب شمالا إلى يريم (لج ير□).

---

(138) العمري ، مائة عام، ص ص 269-270؛ عبد الحميد البطريق ،مائة عام من تاريخ اليمن الحديث ، القاهرة 1969، ص ص 85-86 .

(139) العمري ، مائة عام، ص ص 272-273 ؛ العمري ، تاريخ اليمن، ص 131 .

(140)العمري ، مائة عام، ص ص 291-293 ؛ الحداد ، التاريخ العام، ص ص 186-187 .

في هذه المدة كان الإمام الهادي(□ ير□) قد تسلم الإمامة في صنعاء (1840/ يناير 1843 م) بعد اغتيال الناصر فاتبع في البداية سياسة المصالحة ومساعيهما التي لم تنفع مع الفقيه سعيد ،فجرد حملة بقيادته واصطدم مع قوات الفقيه سعيد في يريم وانتصر عليه على الرغم من حصار الفقيه سعيد للإمام الهادي وقواته داخل المدينة، ثم اعد الفقيه سعيد قوات جديدة وخاض معركة ثانية مع قوات الهادي في سمارة يوم 18 شوال 1256هـ/ ديسمبر 1840 م اندحر فيها الفقيه سعيد في حصن الدنوة ثم أسره واقتيد إلى مدينة إبّ التي وصلها الإمام الهادي قبله فأمر بإعدامه.(بر ير□) وتقول بعض المصادر أن الإمام الهادي قد جمع العلماء في إبّ وحكموا بإعدامه .واعدم بضرب عنقه في مدينة إبّ(تر ير□) . ويتأ سف الاكوع الحوالي على إعدام الفقيه سعيد فيقول (وكان قتله ظلما على الباب الكبير في مدينة إبّ عن ثمانين سنة وقيل اكثر من ذلك) (ير ير□).

أمضى الإمام الهادي بعد القضاء على الفقيه سعيد حوالي شهر في مدينة إبّ قام خلاله بتعيين العمال والقضاة في مختلف مناطق إبّ وتعز، ولكي يطمئن بشكل اكثر فقد جرد حملة لحصار حصن في باب ميتم كان يسيطر عليه بعض ذي محمد وتمكن من تدميره،(سمـ ير□) بينما يقول الحداد أن الهادي قد قضى في باب ميتم على ثورة مارش المحمدي، ثم عاد إلى صنعاء وخلف وراءه في إبّ وزيره القاضي يحي بن علي الارياني والأمير الحاج فتح محمد لتثبيت الأمن وملاحقة المختفين من قبائل ذي محمد(شمـ ير□).

---

(141) هو محمد بن المتوكل ، تم إخراجه من السجن ونصب إماما وتلقب بالمتوكل تيمنا بأبيه ثم غير لقبه إلى الهادي بعد ثلاثة اشهر ليغاير لقبه لقب الفقيه سعيد .

(142) العمري ، مائة عام، ص ص 296-298 ؛ الحداد ، التاريخ العام ،ج/4، ص ص 188- 190 .

(143) الحداد، التاريخ العام، ج/4، ص 195.

(144) الاكوع الحوالي ، عالم وامير، ص ص 92-100 .

(145) العمري ، مائة عام، ص 299 .

(146) الحداد التاريخ العام، ص 195 .

3-إبّ في العهد العثماني الثاني

كان لفتح قناة السويس عام 1222هـ/ 1869م اثره في احتلال العثمانيين لليمن من جديد والاستيلاء على صنعاء، لأن القناة قد سهلت ربط اليمن والحجاز وبقية الولايات بحرا وبرا باسطنبول. وفي يوم الخميس 17 صفر 1222هـ/ 25 ابريل نيسان 1872 م دخل الوالي العثماني احمد مختار باشا على راس القوات العثمانية التركية مدينة صنعاء ليكتمل الاحتلال العثماني الثاني لليمن (1222 -1336هـ/ 1872 -1918م) .وقد شهد اليمن الذي أصبح ولاية عثمانية استقرارا نسبيا لحين استلام الإمامة محمد بن يحي حميد الدين عام 1307هـ/ 1920م والذي تلقب بالمنصور، حيث بدأت مقاومة الوجود العثماني التركي في اليمن، فأسرع الباب العالي العثماني إلى إرسال قوات إضافية بقيادة المشير احمد فيضي (ربيع عام 1309هـ / أكتوبر تشرين الأول 1921 م) لقمع المقاومة التي ظهرت في شمال اليمن[ ].

حاول الإمام المنصور أن يفرض نفوذه في اليمن الأسفل في مناطق إبّ وجبلة وتعز، ولكن وطأة النفوذ العثماني التركي فيها وفي تهامة كانت شديدة وقوية لسهولة إيصال الإمدادات العسكرية من ميناء الحديدة والمخا، ولذلك فان المعارك التي قامت بين اليمنيين والأتراك في سحول إبّ وحول مدينة إبّ ومدينة جبلة وفي القاعدة وقعطبة وغيرها لم تات بنتيجة، ولم تسجل انتصارا حاسما لليمنيين.[ ]إلا أن حصار الائمة الزيدية بقيادة المنصور لمدينة صنعاء في أوائل عام 1309هـ/ 1922م قد شجع القبائل اليمنية على الانتفاض ضد الأتراك العثمانيين فحاصروا مراكز الأتراك في ذمار ويريم وإبّ وتعز، واجتاحت انتفاضة القبائل معظم أرجاء اليمن،[ ] فكان لا بد من استدعاء القوات الإضافية بقيادة احمد فيضي الذي تمكن من إخماد انتفاضة القبائل. وبقدر تعلق الأمر باليمن الأسفل وجّه احمد فيضي قوة عسكرية بقيادة إسماعيل باشا

---

(147) المصدر السابق ، ص ص 196-197.

(148) الحداد، التاريخ العام، ص ص 229-230.

(149) المصدر السابق ، ص ص 230-231.

استولت على ذمار ويريم ومنطقة إبّ دون مقاومة. ودخل مدينة إبّ ومدينة جبلة ومدينة تعز بلا قتال .(150) ويبدو أن القبائل لم تجد نفعا في مواجهة القوات العثمانية، ومنذ ذلك الوقت أصبحت مدينة إبّ تحت النفوذ العثماني التركي، ومما زاد في استقرار الأوضاع في مدينة إبّ وفي كل اليمن الأسفل هو صلح دعان بين القاسميين والعثمانيين عام 1329هـ/ 1911م(151).

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى عام 1332هـ/1914م ودخلت الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا ضد بريطانيا والتي كانت تحتل ميناء عدن، أرسلت السلطة العثمانية حملة عسكرية من صنعاء بقيادة علي سعيد باشا إلى اليمن الأسفل لقتال البريطانيين، وعندما وصل علي سعيد باشا مدينة إبّ استقبله أهلها استقبال الفاتحين، واستجابوا لطلبه بتأليف جيش من المجاهدين المتطوعين من أهالي قضاء إبّ لقتال (الكفرة النصارى المغتصبين لبلادهم ووطنهم)(152) ولم تقتصر هذه الاستجابة على قضاء إبّ وحده بل شملت قبائل المنطقة كلها بما فيها تعز ولحج ويقول الاكوع الحوالي : -

> " وفي ثاني وصول الباشا إلى إبّ اقيم له حفل رائع حضره أرباب الحكومة وجميع الأهالي ومشايخ القضاء وأعيانها والعلماء وأفلاذ أكبادها وألقيت الخطب الرنانة ترحيبا بالباشا وتحضيضا على الجهاد وأنشدت القصائد الحماسية المثيرة للعزائم المهيجة للنفوس والهمم والدعوة إلى فضيلة الاشتراك في الجهاد والكفاح ضد المستعمر البغيض "(153).

---

(150) الحداد، التاريخ العام، ص 234.

(151) العمري ، تاريخ اليمن، ص ص199-200.

(152) الاكوع الحوالي ، عالم وأمير، ص ص 236 - 238 .

(153) المصدر السابق ، ص 238.

أن ظاهرة الاستجابة للجهاد ضد البريطانيين بالتحالف مع الأتراك العثمانيين تمثل تحولا في موقف اليمنيين في اليمن الأسفل الذين عرفوا بكرههم للأتراك لقسوتهم وفسادهم، وكانوا على الرغم من شافعيتهم في المذهب يتحالفون مع الامامية الزيدية ضد الأتراك العثمانيين. أما ألان فقد اختلفت الحالة بسبب أن العدو المحتل غير مسلم ولذلك لا بد من الجهاد مع المسلمين الأتراك ضده، فتطوع عدد من شخصيات إبّ في جيش المجاهدين المتطوعين الذي يموله المتمكنون وشيوخ القبائل وليس على الحكومة إلا العتاد والذخيرة الحربية(154). وكان من بين الذين شاركوا من أهالي مدينة إبّ احمد بن محمد النود الإبّي الذي لعب دورا في تامين الاتصالات بين قيادة لحج وإبّ وتعز ،وكذلك الشيخ محمد بن إسماعيل باسلامة كان احد قادة جيش المجاهدين المتطوعين من أهالي قضاء إبّ(155) والذي أصبح قائمقام قضاء إبّ فيما بعد واشتهر بالشجاعة والبسالة والكرم واللياقة وحب الناس واحترامهم له(156) أما مفتي لواء إبّ عبد الرحمن بن علي بن ناجي الحداد الإبّي، فان له رصيد كبير في تجميع هذه الحملة وتنشيط الرؤساء والمشايخ إلى الجهاد، وكان خطيبا بليغا يثير الحماسة فبعث في نفوس المجاهدين المتطوعين الروح البطولية والتضحية والفداء(157).

وأخيرا لا بد من القول إن ما تناولناه في هذا الفصل وخصوصا المبحث المتعلق بمدينة إبّ أيام حكم الدولة العثمانية والقاسميين لليمن إنما يمثل مفتاحا لبحوث ودراسات يمكن أن تقدم معلومات جديدة مما لم تمكنّا المصادر التي تيسرت لنا من تناوله والبحث فيه .

---

(154) الاكوع الحوالي ، عالم وأمير، ص 243 .

(155) المصدر السابق ، ص ص 228- 229.

(156) المصدر السابق ، ص ص 224- 225.

(157) المصدر السابق ، ص 247 وهامش رقم (2) في الصفحتين 247 – 248.

الفصل الثالث

حصن حب وأهميته الإستراتيجية لمنطقة إبّ

تتميز جبال اليمن الشاهقة بحصونها المنيعة، وحصن حب الذي يقع في منطقة إبّ واحد من هذه الحصون التي ارتبطت بها أحداث مهمة عبر التاريخ. ولما كانت مدينة إبّ مركزا للمنطقة التي يقع فيها الحصن فقد ارتبطت به امنيا واستراتيجيا، فالذي يسيطر على حصن حب سواء ، أكان حاكما أم محتلا عسكريا، يسيطر بالنتيجة على مدينة إبّ وما حولها وحول الحصن ،إلا في حالات نادرة، وهي الحالات التي يطوق الحصن بها من المهاجمين .

الموقع والتسمية :

يقع حصن حب على صخرة جبلية واسعة وشاهقة وسط منخفضات فسيحة وفي منطقة جبلية، ولذلك فان الصاعد على سطح ريمان من مدينة إبّ يشاهد تلك الصخرة الصماء التي يقع عليها الحصن حالما يصل إلى أعلى ريمان وبعدان . وقد أشارت المصادر التاريخية والجغرافية إلى قدم حصن حب : فقد ذكر الجعدي في طبقات فقهاء اليمن أن حصن حب " أساسه منذ ثمانمائة سنة[1].

ولما كان الجعدي قد عاش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري وتوفي عام 586هـ/1190 م فان هذا يعني أن حصن حب قد أقيم في حوالي القرن الرابع الميلادي، أي قبل أكثر من خمسة عشر قرنا من ألان .

---

(1) عمر بن علي بن سمرة الجعدي ، طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق فؤاد سالم ، بيروت 1981، ص 159 .

جاء ذكر حصن حب في عدة مواقع عند الهمداني في صفة جزيرة العرب وأطلق عليه (جبل حب) وذكر انه يقع في مخلاف العود وذي رعين[2]، واعدّه من الجبال المشهورة في اليمن وقال : -

" تعكر وصيد وبعدان وريمان جبال السحول، جبل حب جبل العود بينه وبين جبل نعمان"[3] . وعندما جاء الهمداني على ذكر الحصون الشهيرة في اليمن قال مرة أخرى (جبل حب)[4] ويقصد به حصن حب .

وجاء في الموسوعة اليمنية أن حصن حب هو المعروف قديما بحصن القيل الكبير ذي رعين معقل عزه. وهو جبل عال أشم ثابت في بحبوحة جبل بعدان يسيطر على أجواء الجبل وإرجائه ،وهو من معاقله الفريدة[5] . أما الاكوع الحوالي الذي حقق مخطوط الهمداني صفة جزيرة العرب، فقد قال في هامشه عند ذكر حصن حب لدى الهمداني: -

" هو من امنع معاقل اليمن وأصعبها مرتقى وأبعدها صيتا وأنضرها منظرا واذكرها شهرة لكثرة ما يدور حوله
من أحداث التاريخ لخطورته وهو منتصب فردا في سرة جبل بعدان كأنه خطيب قوم التفت حوله القرى الزاهية التي لا حصر لها والهضاب النضرة المكسوة بالأشجار والثمار اليانعة بكبره وعظمته يملي عليها واقع الدهر. وهو مناوح لجبل التعكر من الشرق وكان مقر القيل الخطير يريم ذي

---

(2) الهمداني ، الصفة، ص 200-203 .
(3) المصدر السابق، ص 237 .
(4) المصدر السابق، ص 238.
(5) الموسوعة اليمنية، المجلد الثاني، صنعاء يناير 2003، ص 977.

رعين الذي عثر على قبره هنالك عام الرمادة من الهجرة."[شم]

كما وصف قطب الدين النهزوالي في كتابه البرق اليماني حصن حب فقال : -

" حصن حب الذي يضرب به المثل في الارتفاع والشهوق، يكاد يلامس ذروته نجوم الثريا والعيّوق، فكأنه هامة لها الغمامة عمامة، او أنملة إذا خضبها الأصيل كان الهلال لها قلامة " .وأورد بيتين من الشعر في وصفه أيضا فقال

مصغ إلى الجو أعلاه فان خفقت

زهر الكواكب خلناها تخاطبه

كأن أبراجه من كل ناحية

أبراجها وسماكيها مناكبه [لها]

ولا بد من الإشارة إلى أن سكان منطقة حصن حب يطلقون على الجبل الذي ينتصب عليه الحصن اسم (الصخرة) لأنها تبدو للناظر صخرة صماء مرتفعة شامخة في جبل بعدان وسط منخفض فسيح في عزلة (سِيّر). ويقول المقحفي في معجم البلدان : إن الجبل أو الصخرة يسيطر على مناطق كبيرة من بلاد وجبال بعدان والشَّعر ويبلغ ارتفاع الحصن عن سطح البحر حوالي 2200 م[□] ويقع على خط عرض 13.57 شمالا وخط طول 14.17 شرقا تقريبا .

لقد كتب عن حصن حب أيضا الشاعر المشهور نجم الدين عمارة بن علي اليمني في مخطوطه تاريخ اليمن ونقل عن شعراء تغنوا بحصن حب فقال في وصفه:

---

(6) الهمداني، الصفة، هامش رقم (7)من صفحة 200.

(7) النهزوالي، البرق اليماني، ص ص 129، 399 .

(8) إبراهيم احمد المقحفي ، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، صنعاء 2002، ص 401 .

" هو الحصن الأشم والمعقل الأعظم الذي يناطح السماء ويناغي النجوم والأبلق الفرد الذي احتفظ برمق من كبريائه وشموخه وشممه ولا يزال تستخدم مناعته في أغراضه السامية ويقع في سرة جبل بعدان ويبدو كأنه الدهر في صروفه وإحداثه "(□).

وقال فيه الشاعر جمال الدين العطاب الترخمي الحميري : -

سطع السنا قدلاح منه النـــور ... فأضاء ذاك مقاصر وقصـور
وتتابعت نعم الإله بسوحـــه ... فشرحن أفئدة به وصـــدور
في رأس مملكة على قمم العــلا ... للعد منه وللفلاح حبـــور
في رأس طود في السماء متعرض ... عالي المناكب جيده سحـور
مـا أن رنـى يومـا إليـه ناظـر ... إلا وعاد الطرف وهو حسـير
كل الحصون له تطأطئ هيبـة ... وتكاد كل الأرض منه تمـور
فكأنـه مثـل الأميـر وكلمـا ... في الأرض من حصن له مأمور
أكرم به من قلعـة مـا أن لهـا ... يوما بأكناف البلاد نظـير
من دون منظره البهيج وحسنه ... في الخـــافقين خورنـــق وسـدير(□□)

ونقل اليمني أبياتا من قصيدة أخرى عن حصن حب لم يذكر اسم شاعرها فقال: -

وما حبّ إلا مثل شيخ مزمـــل ... تزاحم أكناف السماء مناكبـه
ترى أصله فوق الشوامخ راسيـا ... تدلـت عليـه مـن عـلاه ذوائبه
وكم شمخ غربا وشرقا تصوبت ... وان أقحمـت حـازت ذراهـا ترائيه
تأبـط معراجـا إلـيه وجـذه ... سـوار عليـه عينـه وحواجبـه
بنته عظاريف بها أشـرق العـلا ... وكانـوا سماء زينتـها كواكبـه

---

(9) نجم الدين عمارة بن علي اليمني ، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء وملوك وأعيانها وأدبائها ، تحقيق محمد بن علي الاكوع الحوالي ، صنعاء ، 1985 ، هامش رقم (4) في صفحة 78 .

(10) اليمني، المصدر السابق ،78

هم حمير الغر الشماريخ من رسوا قواعد ملك ليس تحصى عجائبه[11]

أما عن تسمية الحصن فجاء في الموسوعة اليمنية أنه يقال له حصن حب لأهمية حب ومنعته وما جالت فيه من أحداث بين مقاوم وفاتح على مر الأزمان المتعاقبة[12] . إلا أن معظم المصادر تجمع على أن اسم حب (بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة المشدودة) هو على زنة حب الطعام[13] أي أن مخازنهالارضية (المدافن) كانت تملأ بالحبوب . ويقول المقحفي إن قسماً من المؤرخين يشيرون إلى ان سبب تسميته (حصن حب) لأنه كان المخزن الوحيد للحبوب في الأزمنة القديمة ،فهو حصن الحَّب وذلك لكثرة المخازن (المدافن) فيه[14] .

وصف الحصن

إن زيارة حصن حب موقعيا تمكن الباحث من تقديم وصف دقيق للحصن .وفي بحث التخرج للطالب عبد الفتاح محمد عبده العبيطري[15] نجد وصفا جيدا لحصن حب، ومع ذلك فقد زرنا الحصن بعد أن خصص لنا الأخ / رئيس جامعة إب الأستاذ الدكتور احمد محمد شجاع الدين سيارة وبصحبة مدير العلاقات في الجامعة الأخ / نبيل الورافي وذلك يوم الجمعة2004/12/24 م .

وعندما اقتربنا من الصخرة الصماء التي بني عليها الحصن وجدنا شرخا في وسطها وكأنه يفصلها إلى قطعتين أو قمتين يربط بينهما ممر، وهذا الشرخ أو البرزخ الضيق يطلق عليه السكان المحليون (ضربة علي) معتقدين ان الخليفة الرابع علي بن

---

(11) اليمني، تاريخ اليمن، ص 78.

(12) الموسوعة اليمنية، الجزء الثاني، ص 978.

(13) الهمداني، الصفة ، الهامش (7) في الصفحة 200.

(14) المقحفي ، المعجم، ص 401 .

(15) بحث تخرج لعام 2004/2003 من قسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة إب وتحت إشراف الدكتور محمد عويد الدليمي . وهو بحث ميداني واكاديمي قيم جدا .

أبي طالب كرم الله وجه قد شقها إلى نصفين بسيفه . والنصف الغربي من الصخرة تقع فيه بركة ماء تسمى بركة ألنظاري نسبة إلى علي ألنظاري الذي كان يحكم الحصن ويسيطر عليه وسترد قصته لاحقا، ويوجد في أعلاه دار سكن . أما النصف الثاني من الصخرة ففيه معظم منشآت الحصن وبوابته.

ولكي نصل من مدينة إبّ إلى الصخرة والحصن كان علينا أن نسلك طريقا مسفلتا (مبلطا) باتجاه جبل بعدان لنصعد على سفح ريمان البهيج الأخضر في فصل الصيف ويمر هذا الطريق بعدة مناطق ، ومنها (عزلة جُرانَة) وتضم عدة قرى رأيناها على يسارنا بعد مسير حوالي ساعة في السيارة ،ثم تركنا الطريق المسفلت إلى طريق فرعي ترابي صعد بنا (وقلبي يرتجف من خوف السقوط من الجبل) إلى الحصن حيث توجد في قاعدة الصخرة فسحة لوقوف السيارات واستدارتها، وفي الوقت نفسه يبدأ طريق الصعود إلى الحصن مشيا على الأقدام ومنه تبدأ (العقبة) أي الطريق ذو المدرجات أو المساطب وهي المدخل الوحيد إلى الحصن .

إن طريق العقبة إلى الحصن ملتوٍ، وعموما فانه يصعد إلى الحصن من جهة الشرق وان كانت التواءاته تشعرك وكأنك تأتي من جميع الاتجاهات . والعقبة تتكون من مدرجات أو مساطب يبلغ عددها ستمائة درجة، طول الواحدة منها حوالي أربعة أمتار وارتفاعها عشرون سنتمترا تقريبا ، وتتسع الدرجة الواحدة عند انحناءات الطريق والتواءاته، وقد لاحظنا وجود كهوف صغيرة منحوتة في الصخر على جوانب الطريق أو العقبة. ويبدو أنها مخصصة لأغراض الاستراحة والوقاية من الأمطار .

يحيط بالحصن سور ضخم بني على حافات الصخرة من جميع الجهات عدا جهة الشمال لأن الصخرة في هذه الجهة تنحدر عموديا وبشكل حاد إلى قاعدة الصخرة وبارتفاع يبلغ حوالي ستين مترا، فهي من هذه الجهة سور طبيعي يصعب الصعود منه إلى الحصن (انظر الصورفي الملاحق). ولما كانت الصخرة بيضاوية الشكل تقريبا فان سور الحصن جاء بيضاويا أيضا، وهو يبدو عاليا وواضحا من جهة الجنوب. وإذا ما نظرت إلى السور من هذه الجهة من بعيد فانه يظهر لك ملتويا كالأفعى وهو يشبه

التواءات سور الصين العظيم وسط الجبال والوديان مع الفرق الشاسع في الحجم والطول. هكذا بدا لي سور حصن حب من جهة الجنوب مقارنة بسور الصين العظيم الذي سبق وان زرته عام 1989م.

وتوجد في سور حصن حب نوبات أو أبراج فيها مزاغل (فتحات) للحراسة ولكي يستخدمها المدافع عن الحصن في التصدي للمهاجمين، ويبلغ ارتفاع السور ونوباته ثمانية أمتار .

وإذا ما عدنا إلى مدخل الحصن أو بوابته الوحيدة الموجودة في جهة السور الجنوبية فان طريق العقبة المؤدي إليها يحاذي السور في الأعلى ثم يلتوي باتجاه الجنوب ويعود فيلتوي باتجاه الشمال بشكل حذوة حصان ليصل إلى مدخل الحصن. بمعنى أن باب الحصن بني على طريقة الأبواب المزورة التي لا تواجهك مباشرة عند التوجه إلى السور. وهو بهذا شبيه بالطراز الهندسي العسكري لأبواب مدينة إبّ وكلها اقتبست، كما يبدو، من طراز مدينة بغداد المدورة التي كانت أبوابها مزورة فسميت بالزوراء (انظر الصور في ملاحق الكتاب) . إلا أن هذا لا يعني أن سور مدينة إبّ الحالي وسور الحصن هي أقدم الأسوار، فمدينة إب كان يبنى لها سور كلما توسعت وكان آخرها السور الحالي وآثار المدينة تدل على ذلك .

إن مدخل الحصن عبارة عن مبنى ذي واجهة وجوانب مستطيلة الشكل، يلتصق بالسور وهو مكون من طابقين ولذلك فهو أعلى من السور ويوجد في واجهة المدخل التي تواجه الجنوب الباب الخشبي للحصن الذي يشبه في تصميمه وشكله باب الراكزة في سور مدينة إبّ، فمدخل الباب الخشبي بني في أعلاه بشكل قوس من الأحجار المنحوتة تمتد جوانبه إلى الأسفل، وفي داخل هذا المدخل يوجد الباب الخشبي المكون من فردتين (درفتين) تفتحان إلى الداخل. ويستند الباب الخشبي على قاعدة (الدعسة) (العَتَبة)وهي عبارة عن حجرين مستطيلين كبيرين مثبتين في البناء وبه تنتهي المدرجات الحجرية(العقبة) التي يصعد عليها الداخل إلى الحصن (انظر صورة الباب في الملاحق) علما أن ارتفاع فتحة المدخل تبلغ حوالي ثلاثة أمتار وعرضها متر واحد .

ويعلو مدخل البوابة فوق القوس الحجري نافذة صغيرة مستطيلة الشكل قد أغلقت ببعض الأحجار.

إن الباب الخشبي يؤدي إلى دهليز مستطيل الشكل داخل المدخل الرئيسي وعندما تستدير إلى اليسار تواجه فتحة الخروج من الدهليز إلى داخل الحصن وهي معقودة بشكل قوس ويقع إلى جانبها من الخارج درج حجري يؤدي إلى غرفة للحراسة في اعلى المدخل. وحالما تطأ ارض الحصن تجدها غير مستوية بسبب تقادم الزمن كما أن سقف المدخل قد تهدم . (أنظر الصورة في الملاحق).

يوجد في الحصن حاليا القصر والجامع والحمامات البخارية وبرك الماء والمدافن. ويطلق على القصر اسم (دار القفلة) ويقع على مرتفع في جهة الحصن الشرقية ويتكون من ثلاثة طوابق تحتوي على غرفة نوم وحمامات ومجلس ومساكن للحرس وهو آيل للسقوط ، سقوفه لم يبق منها سوى جذوع خشبية، كما أن السلم الذي يؤدي إلى الأعلى ما زال قائما .ومن الملاحظ أن الأقواس الإسلامية تفصل بين الغرف الأرضية.

ويوجد قصر ثانٍ في الجهة الغربية من الحصن مكون من طابقين لكنّ ما قد تهدم منه أكثر مما تهدم من القصر المار ذكره ويسمى (دار الساق) وكان هذا القصر مخصصا لسكن أسرة الحاكم أو المتولي لشؤون الحصن بينما القصر الكبير (دار القفلة) مخصص للإعمال الإدارية والقيادة .

والى الغرب من قصر (دار القفلة) يقع الجامع أو المسجد وهو ذو قبة بيضاوية الشكل مدرجة القاعد (انظر الصورة في الملاحق) وبالقرب من المسجد توجد المطاهير (دورات المياه) وبركة الماء .وفي أسفل الجامع تقع الحمامات البخارية وعددها ثلاثة تبلغ مساحة الواحد منها ثلاثة أمتار مربعة وكان يتم تسخين الماء فيها بوساطة

أخشاب تحرق في أسفلها فتصل الحرارة إلى حوض الاغتسال في كل حمام عبر منفذ يأتي من الخارج، وتطلى هذه الأحواض والحمامات بالقضاض*.

أما عن (البرك) أو الأحواض المائية فيوجد في الحصن ثلاث برك كبيرة وبركتان صغيرتان. وتتوزع البرك الثلاث الكبيرة على مساحة الحصن واكبرها هي تلك التي تقع إلى يمينك حال دخولك الحصن وتسمى (الطويلة) وهي بالنسبة إلى دار القفلة تقع في الجنوب منه . وهذه البركة محفورة في باطن الصخرة التي يقع عليها الحصن وبعمق يصل إلى احد عشرا مترا ،ويبلغ طولها سبعين مترا وعرضها ثلاثة عشر مترا مطلية جدرانها بالقضاض لكنها مليئة حاليا بالطين والأحجار والحشائش، ومع ذلك فهي ما زالت تخزن مياه الإمطار . وتقع البركة الكبيرة الثانية خلف دار القفلة في الجهة الجنوبية الشرقية للحصن ويبلغ طولها أربعة عشر مترا وعرضها سبعة أمتار تقريبا، وهي أيضا مملوءة بالأحجار والطين والحشائش . أما البركة الكبيرة الثالثة فتقع في الطرف الغربي من الحصن أي في جزئه الثاني حيث توجد (دار الساق) وعلى بعد ستة وأربعين مترا من هذه الدار باتجاه الغرب، وقد حفرت في الصخر الصلد وبشكل دائري بقطر سبعة أمتار، ولذلك لم يتم طلاؤها بالقضاض إلا في أجزائها العليا.

---

* القضاض ماة تستخدم للترميم والتبليط للجدران أو لسطوح المباني ، ويشبه عملها عمل الاسمنت الذي يستخدم في البناء المسلح في العصر الحالي، والقضاض عبارة عن خليط من الرمل الناعم زائد الرمل المتوسط الخشونة والمسمى في اليمن (النيس – الكَرّي) يخلط مع الجير (النورة) (هيدروكسيد الصوديوم NOH) بنسب تكا تشبه خلطة الاسمنت مع الرمل حالياً ويكون لون البلط من هذا المركب أبيض يشبه البلط الإيطالي تظهر عليه حبات الرمل معطية زخرفة معينة (أسود في وسط البياض) ويتمير بالصلادة وبقدرته على مقاومة ظروف الطبيعة لمدة قد تصل إلى ما يزيد عن عشرة أضعاف مادة الاسمنت المستخدمة حالياً ، ولا يعكس الحرارة أو البرودة بالطريقة التي تعكسها مادة الاسمنت في الظروف الحارة أو الباردة ، ويحتاج إعداد هذه المادة إلى خبرة وطريقة معقدة إلى حد ما مقارنة بخلطة الاسمنت مع الرمل ، وهذا جانب من سر تميز هذه المادة وتفردها بهذه المواصفات. (الهامش للدكتور عبدالله الفلاحي).

وتسمى هذه البركة (بركة ألنظاري) نسبة إلى حاكم الحصن علي ألنظاري، كما يطلق عليها اسم (العسيلية).

إضافة إلى هذه البرك الثلاث الكبيرة توجد بركتان صغيرتان :الأولى تقع خلف (دار القفلة) من الجهة الشمالية وتسمى بركة جارة الدار وهي مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها خمسة أمتار، وتتميز بوجود مدرجات حجرية عددها ثمانية تتدرج إلى البركة . أما البركة الصغيرة الثانية فتقع غربي المسجد وهي اصغر البرك في الحصن حيث يبلغ طولها خمسة أمتار وعرضها مترين ،مكسوة بالقضاض وما زالت صالحة للاستعمال. ويوجد بجانب البركة حوض صغير مستطيل الشكل لأغراض الوضوء، والى شمال البركة توجد أربع دورات مياه ملتصقة بالسور حيث يتم تصريف المجاري إلى خارج السور .

يوجد في الحصن أيضا خمسة عشر مدفنا (مخزن تحت الأرض لأغرض خزن الحبوب والذخيرة والسلاح وغيرها) ثلاثة عشر مدفناً منها تقع في الجانب الغربي من دار القفلة وقريبة من السور . والمدافن هي كهوف نحتت داخل الصخور ولها مدخل من الجهة الشمالية وقد قسمت هذه المدافن من الداخل إلى غرف تفصل بينها عقود نصف دائرية وتوجد لها فتحات على سطح المدافن.

ويوجد مدفنان آخران في جهة الجنوب إلى الأسفل . وتقول الروايات إن كثرة المدافن في حصن حب كان بسبب استخدامها مخازن للحبوب تخزن فيها الحنطة والشعير والذرة والدخن، ويزود بها الناس أوقات القحط والمجاعة بشكل قروض يعيدها الناس إلى حاكم الحصن عندما يزول القحط ويكثر الزرع ،ولذلك سميّ حصن حب .

وأخيرا لا بد من الإشارة إلى وجود (إسطبل) أو حظيرة الجمال والدواب، وتقع إلى الشمال من دار القفلة وهي مهدمة حاليا .

تلك هي نبذة مختصرة عن تفاصيل منشآت وبنايات وسور حصن حب الذي اهتمت به مديرية الآثار اليمنية وقامت بإعمال الصيانة فيه مما أظهره بشكل لائق وجميل .

الأهمية الإستراتيجية للحصن

أن ظاهرة بناء الحصون في الجبال الشاهقة هي واحدة من إبداعات الفكر الإستراتيجي العسكري في تاريخ اليمن والذي تميز بها عن غيره . ومما يساعد على ذلك وجود الجبال المعقدة والمنيعة خصوصا في اليمن الأسفل، لذلك كانت منطقة إبّ هدفا ستراتيجيا لأي سلطة تريد فرض سيطرتها على اليمن الأسفل سواء في العصر الإسلامي أو العصر الحديث .

ونتيجة لذلك فقد شهدت هذه المنطقة أحداثا تاريخية مهمة ارتبطت بهذه الحصون ومنها حصن حب الذي يشكل موقعه في بلاد بعدان وإبّ أهمية خاصة لإشرافه على ما حوله بسبب ارتفاع جبل الصخرة التي شيد عليها الحصن وللحصانة التي وفرتها الطبيعة له مما يجعل من الصعوبة الوصول إليه في المعارك والحروب . وهذا يعني أن أول ميزة ستراتيجية لحصن حب هي انه حصن (منيع) لم يتمكن احد من اقتحامه بالقوة عبر التاريخ . ومن ميزاته الأخرى انه قاوم الحصارات التي فرضت عليه على الرغم من طول مدتها وذلك بسبب قابليته على استيعاب المؤن والحبوب لكثرة المدافن فيه ولأنه كان مخزنا للحبوب في المنطقة إضافة إلى إمكانية خزن كمية كبيرة من الذخيرة والسلاح والعتاد فيه. وهكذا تكاملت طبيعته الجغرافية وارتفاعاته الصخرية الحادة وسوره المنيع وسعة الحصن ومدافنه الكثيرة في جعله حصنا ستراتيجيا لا يمكن أن يستغني عن السيطرة عليه أي حاكم أو محتل أو متمرد على السلطة في المنطقة أو مستغل لزوال الدولة وانهيارها . وعلي سبيل المثال لا الحصر فان انهيار دويلة بني زياد عام 402هـ/ 1012 م قد أدى إلى استيلاء الحسين بن مسعود التبعي على حصن حب والذي كان واليا عليه وجعل منه قاعدة لكيان خاص به في منطقة بعدان وإبّ(شملا) إلى ان قام مؤسس الدولة الصليحية أبو الحسن علي بن محمد الصليحي بالاستيلاء على

---

(16) الخزرجى العسجد ، الورقة 105 ؛ الجرافي ، المقتطف ص 106 .

منطقة بعدان فخضع له حاكمها ابو عبد الله الحسين بن مسعود التبعي والذي كان مقره حصن حب بدون قتال عام 450هـ/1060م[17].

وبعد وفاة الملكة الصليحية سيدة بنت أحمد المعروفة بالملكة (أروى) بخمسة عشر عاما عجز المنصور بن المفضل بن أبي البركات عن الاستمرار في إدارة شؤون الحصون والمدن التي انفرد بنفوذه فيها بعد وفاة الملكة لكبر سنه ،وعددها 28 حصنا ومدينة ومنها حصن حب ومدينة إبّ، فتنازل عنها إلى الداعي محمد بن سبأ سلطان دويلة بني زريع في عدن مقابل مائة ألف دينار.[18] وكان لفرح محمد بن سبا بسيطرته على حصن حب بالذات أن وزع من الأموال عند صعوده إلى الحصن ما أحرج محاسبه المالي . ويروي الشاعر عمارة الذي اصطحبه معه محمد بن سبأ عند خروجه لاستلام حصن حب فيقول: -

" وطاش فرحاً [أي محمد بن سبا] بما صار إليه وبسط يده بالعطايا حتى إني اذكر يوماً وقد طلعت صحبته انا وأبو الحسن النبلي من ذي جبلة إلى حصن حب وكل من رفع إليه رقعة وقع عليها بما مثاله (العزة لله وحده) [ولعل هذه الجملة كانت توقيعه] فلما انتهينا إلى الحصن أحصينا الرقاع التي بأيدي الناس وكان خازن ماله الشيخان احمد بن موسى وريحان المحمدي فجاء مبلغ الرقاع خمسة ألاف دينار فاستكثرها احمد بن موسى وقال : فشاوره على ذلك وقال ريحان : أما إنا فما اكره الحياة والله لئن شاورته على ذلك لا سلمت منه فدفع المال في ذلك اليوم بأسره "[19] .

---

(17) الحداد ، التاريخ العام، ج/2، ص 224 ؛ ألفقي ، المصدر السابق ،ص 150 ؛الهمداني، الصليحيون ،ص 85.

(18) الخزرجى، العسجد ، الورقة 145 ؛ ألفقي ، المصدر السابق، ص 163 ؛ الهمداني ، الصليحون في اليمن، ص ص 240- 241 .

(19) الحداد، التاريخ العام، ج/2 ص ص، 302 – 303.

إن هذه القصة على بساطتها تدلل على أهمية حصن حب بالنسبة لأي حاكم لهذه المنطقة،أي منطقة إب وبعدان بشكل خاص ،لأن من يسيطر على الحصن يشعر بالأمان وبالقوة وبهيمنته على المنطقة دون الحاجة إلى قوات عسكرية فيها إلا في حالة الهجوم عليها من الأعداء، ولذلك كانت من المهمات الأولى لمؤسسي الدويلات اليمنية في العصر الإسلامي السيطرة على الحصون وفي مقدمتها حصن حب . ففي زمن الأيوبيين كان يتولى حصن حب أقرب الناس إليهم وهم بنو رسول الذين كانوا ينوبون عن السلطان الأيوبي عند غيابه، واستلموا السلطة في اليمن وأسسوا دويلتهم من بعدهم، فكان والد مؤسس دولة بني رسول (شمس الدين علي بن رسول) واليا لحصن حب في عهد السلطان (طغتكين) بن أيوب الأيوبي(□ بر) وعندما تأسست دويلة بني رسول على يد عمر بن علي بن رسول الملقب بالمنصور استمرت سيطرتهم على حصن حب إلى أن قتل هذا الأخير على يد مماليكه واضطربت الأمور بسبب تنافس أولاده على الحكم، لكن ولده الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول أعاد السيطرة على بلاد إب وبعدان واستولى على حصن حب وحصن خدد بدون قتال سنة 648هـ/ 1250 م(□ بر) ونظرا لأهمية حصن حب الستراتيجية فقد تغنى الشعراء بهذه الواقعة المهمة.

ومما انشده جمال الدين بن حمير واصفا سيطرة المظفر على حصن حب بالقول:

وسار إلى حب وحبٌّ يحبه وما حب يعصيه ولو شاء ما قدرْ
حصون أبيه هي بالشرع أرثه وبالسيف ليس السيف إلا لمن قهرْ(بر بر)

ويعلق الحداد على سيطرة المظفر يوسف الرسولي على حصن حب بالقول :

---

(20) الحداد، التاريخ العام ، ج/3، ص 78 .

(21) الخزرجى ، العسجد ، الورقة 215 ؛ عبد العال ، بنو رسول وطاهر ، ص 125 ؛ الحداد ، التاريخ العام، ج/3 ص، 100

(22) الخزرجى ، العسجد ، الورقة 216 .

" وبذلك يكون الملك المظفر قد مد نفوذه إلى أهم حصون المنطقة الوسطى من مخلاف جعفر في لواء إبّ " (تربر) . ويذكر المقحفي أن الملك المظفر ألرسولي انطلق من حصن حب في القرن السابع للهجري للسيطرة على المناطق الجبلية(يربر)

يضاف إلى هذا كله أن السلطان المظفر أعطى الأولوية للسيطرة على حصن حب بدلا من حصن التعكر الذي اجل السيطرة عليه بعد حوالي سنة من سيطرته على حصن حب، وذلك في الاول من شهر محرم من سنة 649هـ/ 1251م(سمبر)مما يؤكد الأهمية الستراتيجية والعسكرية لحصن حب قبل غيره من الحصون .

وإذا ما تناولنا الجانب الآخر من مميزات حصن حب الستراتيجية وهي (مناعته) إلى الدرجة التي لم يتمكن أي قائد عسكري من اقتحامه بالقوة، ولذلك كان الحصار الطويل الأمد هو الوسيلة الوحيدة للاستيلاء عليه واستسلام أهله فيما إذا شحت المؤن وأضعفهم الجوع. وسنتناول ابرز هذه الأحداث التي تظهر (مناعة) حصن حب أمام المهاجمين :

1 - **حصار الأيوبيين**

عندما غادر توران شاه الأيوبي اليمن بعد فتحه لها بتكليف من أخيه صلاح الدين الأيوبي حاكم مصر، وتأخر كذلك تعيين خلف له ،تمرد الولاة اليمنيون الذين عينهم وأعلن كل واحد منهم استقلاله ،فأرسل صلاح الدين أخاه الأخر طغتكين بن أيوب لوضع حد لهذا التمرد. ووصل إلى اليمن عام 579هـ/1183م وتمكن من إعادة نفوذ الدولة الأيوبية في اليمن. وفي اليمن الأسفل في مخلاف جعفر أعاد السيطرة على جميع المخلاف إلا حصن حب الذي كان واليا عليه زياد بن حاتم بن علي بن سبأ الزريعي.

---

(23) الحداد، التاريخ العام، ج/3 ص 100.

(24) المقحفي ، معجم البلدان ، ص 400 .

(25) الخزرجى ، العسجد ،الورقة 217 .

ونظرا لمناعة هذا الحصن وصعوبة السيطرة عليه بالقوة فقد قرر فرض الحصار على الحصن عام 581هـ / 1185م لإضعاف قوته وإسقاطه دون قتال[شم بر] .

لقد دام حصار طغتكين لحصن حب حوالي سنة حسبما يذكر الخزرجي[لم بر]، وخلاله استنجد والي الحصن المحاصر زياد بن حاتم الزريعي بالمشايخ والقادة اليمنيين فطلب العون من السلطان علي بن حاتم حاكم صنعاء والسلطان عبد الله بن يحي الجنبي صاحب ذمار وابن عمه عمران الجنبي من اجل إجبار طغتكين على إنهاء حصاره لحصن حب .وقد استجاب القادة الثلاثة لطلب علي بن حاتم الزريعي المحاصر في حصن حب ووضعوا خطة لا تؤدي بهم إلى قتال طغتكين وإنما بإرسالهم قوات لمحاصرة حصن (نعم) في بلاد الشَّعر لإجبار القوة المحاصرة لحصن حب على التفرق والانشغال بحصار حصن نعم مما يسهل على الوالي المحاصر في حصن حب التغلب على القوة الأيوبية المحاصرة له . إلا أن هذه الخطة لم تنجح لسببين : الأول هو تمكن طغتكين الأيوبي من تفريق المتحالفين ضده بالترغيب بالأموال والترهيب والتهديد بالقوة، كما ان التحالف لم يكن قويا فقد انقسمت قوات التحالف إلى قسمين الأول خرج من صنعاء إلى ذمار لمحاصرة حصن نعم في الشعر والثاني ذهب إلى السحول، ولكن ما كادت تصل قبيلة جنب قرب السحول حتى هاجمتهم بعض القبائل فانسحبوا.[□ بر] وقد قدم الخزرجي في العسجد وصفا لحركة القبائل المتحالفة وخلافاتها فقال:

" فاستنجد السلطان زياد بن حاتم بالسلطان
الوحيد علي بن حاتم وبالسلطان عبد الله بن يحي
الجنبي والشيخ عمران بن زيد بن عمروا لجنبي وسائر
الحجاز، فوجه السلطان علي بن حاتم أخاه بشر بن

---

(26) عبد العال ، الأيوبيون في اليمن ، ص ص 111-113 ؛ الحداد ، التاريخ العام ،ص ص 20-21 .

(27) الخزرجي ، العسجد ، الورقة 160 .

(28) الخزرجي ، العسجد ، الورقة 160 ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص 275 ؛ عبد العال ، الأيوبيون في اليمن ، ص ص 125- 126.

حاتم وولديه عمر والفضل ابني علي بن حاتم في عساكر جمة آخر ذي القعدة من سنة إحدى وثمانين وخمسمائة. فلما وصلوا ذمار خرج إليهم السلطان عبد الله بن يحي والشيخ عمران ابن زيد الجنبي ولحقهم السلطان الأسعد بن علي بن عبد الله بن مهدي الصليحي إلى الضمّية وتقدم بهمدان فحط بهم على حصن في جبل الشعر يقال له نعم قد كان أخذه سيف الإسلام ... وأمر قبائل مذحج عن يد إلى السحول فلما وصلت جنب قريبا من السحول أفسدها الشيخ علي بن محمد بن إبراهيم فلم يعلم بشر بن حاتم بذلك وقد اشرف على حصن نعم فأشار على همذان بالرحيل فارتحلوا عن نعم وصاروا إلى حقل يحصب فلقيهم الشيخ عمران بن زيد بن عمرو الجنبي واخبرهم بما كان من جنب من الخذلان له والفساد عليه فعادت القبائل من همدان وجنب إلى موضعها بعد نحو من عشرين يوما، فكان عرض السلطان بشر بن حاتم جمع العساكر إلى جهة واحدة فعاقه عن ذلك السلطان أسد بن علي ورغبه في اخذ حصن نعم على الفور وكان سبب ذلك الخذلان من الشيخ عبد الله يحي أحقاد متقدمة بينه وبين الشيخ عمران بن زيد "(□ بر)

---

(29) الخزرجى ، العسجد ، الورقتان 160- 161 .

ويوضح محمد عبد العال صاحب كتاب الأيوبيون في اليمن فيقول إن قبيلتي جنب ومذحج هما اللتان استجابتا لطلب علي بن حاتم الزريعي لكن الطغتكين تمكن من تفريق جموعهم بالتهديد وبالمال فعادت القبائل إلى بلاده[□ تر] .

وخلال الحصار الطويل لحصن حب جاء موسم الحج فقرر الطغتكين الأيوبي الذهاب إلى الحج وأناب عنه في حصار الحصن الأمير همام الدين أبا زيا وأمره بمواصلة الحصار للحصن يعاونه قائد آخر يدعى شمس الدين الخواص[□ تر]. وعندما عاد الطغتكين من الحج وجد الحال على ما هو عليه فشدد الحصار على الحصن، ويبدو أن المؤن والحبوب قد نفدت بعد سنة من الحصار فانهارت مقاومة زياد بن حاتم الزريعي وقومه واستسلموا بسبب الجوع والعطش بعد أن طلبوا منه الأمان، فأمنهم ولكن الطغتكين حالما صعد إلى الحصن في جمادي الآخرة من عام 582هـ/1186م أمر بقتل جميع من كان فيه، فلم ينج منهم إلا من استطاع الهروب أو تصنع الموت بين الجثث[بر تر].

إن تغلب الطغتكين وسيطرته على حصن حب يعود إلى انهيار المقاومة بسبب الجوع والعطش. ويذكر الشعبي في تاريخه أنه (لما نفد الماء والحب سلّموا له [أي للطغتكين] الحصن على يد واسطة فقتل منهم الملك خمسمائة وخمسين رجلاً حتى أنه جمد على يده أكبر من حبة الدباء دماً)[تر تر].

---

(30) عبد العال ، الأيوبيون في اليمن، ص 126 .

(31) تذكر بعض المصادر أن التحالف القبلي لنجدة زياد بن حاتم في حصن حب قد وقع خلال توجه الطغتكين إلى الحج ولكن تحرك الطغتكين للقضاء على التحالف القبلي يدلل على أن التحالف وحركة القبائل قد وقعت قبل ذهابه إلى الحج . انظر ألسروري المصدر السابق ص 288.

(32) الخزرجى ، العسجد ، الورقة1 16 ؛ ابن الديبع ، قرة العيون، ص ص 275-276 ؛ عبد العال ، الأيوبيون في اليمن، ص ص 126-127 ؛ الحداد ، التاريخ العام ،ج/3 ،ص 21 .

(33) هامش رقم (1) في صفحة 276 للأكوع الحوالي في كتاب ابن الديبع ، قرة العيون.

يقول المؤرخون اليمنيون إن المجزرة التي قام بها ألطغتكين في حصن حب قد كان لها صدىً واسع في جميع أنحاء اليمن (وتزلزل جميع اليمن لذلك) حسب تعبير الخزرجي وأبن الديبع[ير تر] . ولذلك قدم رؤساء القبائل الطاعة إلى الطغتكين خشية أن تتعرض بلادهم ورعاياهم لمثل ما تعرض له أهل حصن حب [سم تر.

2 -**حصار الطاهريين :**

جذبت مناعة حصن حب وحصانته عدداً من المتطلعين إلى القيادة أو التمرد على السلطة ومن هؤلاء الشيخ أبو بكر بن معوضة السيري الذي وصفه ابن الديبع بأنه كان احد رجالات الدهر[شم تر] حيث سيطر على حصن حب لأكثر من مائة وخمسين سنة تقريبا هو وأولاده من بعده ،وتمكن أيضا من السيطرة على جبل بعدان ومدينة إبّ. وقد بذل الرسوليون جهودا للقضاء عليه قتالا وسلما دون جدوى ،فهم عندما كانوا يعيدون السيطرة على مدينة إبّ وما حولها لم يتمكنوا من الوصول إلى حصن حب[لم تر] .وتشير المصادر إلى أن استقلال ألسَّيري عن الرسوليين كان منذ أيام السلطان المجاهد الرسولي الذي استلم السلطة عام 722هـ/ واستمر استقلال آل ألسَّيري في حصن حب أيام حكم ولده السلطان الأفضل وولده السلطان شرف الدين وحتى نهاية الدولة الرسولية[□ تر] .

وعندما استلم الطاهريون الحكم بعد الرسوليين عام 869هـ قرروا القضاء على آل ألسَّيري في حصن حب وذلك بفرض الحصار على الحصن لأنه لا يمكن اقتحامه بالقوة فقام السلطان المجاهد الطاهر بحصار حصن حب بإحكام وشدة لدرجة انه قطع

---

(34) الخزرجي ، العسجد ، الورقة 161 ؛ أبن الديبع ، قرة العيون ، ص 276.

(35) الخزرجي ، العسجد ، الورقة 161 ؛ أبن الديبع ، قرة العيون ، ص 276 ؛ عبد العال ، الأيوبيون في اليمن ، ص127.

(36) ابن الديبع ، قرة العيون، ص 374 .

(37) انظر الفصل الثاني من كتابنا هذا في موضوع إب في عهد الدويلات اليمنية .

(38) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ص ص 45-46.

عنهم المؤن والقوت حتى نفد ما لديهم في الحصن من الحبوب مما اضطر محمد احمد ألسَّيري إلى الاستسلام بعد أن اشرف أهل الحصن على الموت والهلاك، وكان ذلك في رجب 870هـ/ فبراير 1466م[□ تر] .

وقد ذكر ابن الديبع حصار الطاهريين لحصن حب في مخطوطه قرة العيون حيث قال: -

" وفي رجب من السنة المذكورة قبض المجاهد حصن حب المشهور بعد حصار طويل ومال جزيل ومقاساة شدايد وهو حصن ذي رعين وكان للقاضي محمد البريهي في فتح هذا الحصن سعي ومخاطرة وسبب تسليمهم الحصن أن حبهم نفد واشرفوا على الهلاك فسلموا الحصن ونزلوا وكان الذي سلمه محمد بن احمد بن الليث ألسيري "[□ ير].

3 -**حصار العثمانيين:**

شهد حصن حب خلال الاحتلال العثماني لليمن حصارين كان لهما صداهما في اليمن لأحداثهما التاريخية المهمة ولأن هذين الحصارين قد أكدا من جديد انه لا يمكن قهر حصن حب والاستيلاء عليه بالقوة. وكان الحصار الأول على حصن حب بقيادة الوالي العثماني محمود باشا عام 969هـ/ 1562م أما الحصار الثاني فكان بقيادة الوزير العثماني سنان باشا عام 977هـ/ 1570م ، وقد استخدموا المدافع والأسلحة التي لم يشهدها اليمنيون من قبل في معاركهم ،ومع ذلك بقي الحصن

---

(39) عبد العال ،بنو رسول وبنو طاهر ، ص 267.

(40) ابن الديبع ، قرة العيون ، ص 414.

صامدا على الرغم من استخدام المدافع. ولما كان كل من الحصارين ذا خصوصية بإحداثه فقد تناولنا كل واحد منهما في مبحث خاص به وعلى النحو الآتي : -

أ - حصار الوالي محمود باشا للنظاري :

كان محمد النظاري متوليا لحصن حب في عهد الطاهريين ،وعندما تدهورت أحوالهم في عهد السلطان عامر بن عبد الوهاب الذي حاول الالتجاء إلى ألحصن بعد هزيمته أمام الشراكسة المماليك منعه محمد ألنظاري من ذلك واستأثر بالحصن ومنه سيطر على جبل بعدان ومدينة إبّ، وقد أطلق على ممتلكاته اسم (مملكة بعدان) .وعندما دخل العثمانيون اليمن كان حفيده علي بن عبد الرحمن النظاري هو الذي يحكم المنطقة ومقره حصن حب ،وقد كوّن علاقة جيدة بالولاة العثمانيين وكان يرسل إليهم الهدايا والأموال .وعندما وصل محمود باشا إلى اليمن في شهر صفر من عام 968هـ/ 1562م استقر في تعز قريبا من مملكة بعدان. ويقول النهزوالي عن حاكم هذه المملكة الصغيرة : -

" وحاكمها يومئذ الفقيه المثيّل ، الأمير الجليل ، الكامل النبيل ، نور الدين علي بن عبد الرحمن بن محمد ألنظاري ،ورثها عن أبيه وورثها أبوه عن جده الأمير شمس الدين محمد ألنظاري، احد أمراء السلطان عامر بن عبد الوهاب ،كان تغلب عليها عند انكسار عامر من الأمير حسين الكردي ،وأراد عامر أن يلتجئ إليها ويتحصن فيها فسبقه إليها شمس الدين ألنظاري ومنع عامراً عنها، واستمرت في يده ويد أولاده إلى أن صارت للفقيه علي ألنظاري وكان يهادن البكلربكية [أي الولاة العثمانيين] ويداهنهم ويهاديهم ويهاودهم وكانوا ينتفعون به وينتفع بهم ،إلى أن استقر محمود باشا في تعز، فهاداه أكثر ممن مضى وقدم إليه ما ادخره من النفائس طالبا للود

والرضا، فأبى محمود باشا إلا نفورا، وكان أمر الله قدرا مقدورا (□ ير) .

قرر الوالي محمود باشا الاستيلاء على حصن حب بأي شكل من الإشكال، وعندما نصحه بعض القادة العسكريين بعدم الإقدام على ذلك لأن حصن حب منيع ولم يسبق أن تمكن احد من فتحه بالقوة، رفض رأيهم وأعدمهم ومنهم الأمير اسكندر احد أمراء السناجق العثمانيين. فقد قال الاسكندر للوالي محمود باشا حسب رواية النهزوالي: -

" إن النظاري لم يظهر منه عصيان
ولم يبد منه مخالفة ولا شنان، فالأولى
بقاؤه على ما كان، فان حصنه حصين
وبرجه ثابت مكين، لا يتصور أخذه
بالقتال ولم يعهد فتحه بالسيف فيما
تقدم إلى هذا الحال، فالأحسن إن يجعل
عليه مال كثير ويترك على حاله "(بر ير) .

لكن محمود باشا أمر بضرب عنق الأمير الاسكندر واستولى على أمواله وذخائره وعبيده وخدمه وأثاثه ،وفعل الشيء نفسه بأحد الأمراء واسمه ميرزابك (تر ير) .

سبق حصار حصن حب معركة بين قوات محمود باشا وقوات ألنظاري في جبل الشعر ،فاندحرت قوات ألنظاري وانسحبت إلى حصن حب،(ير ير) فقام ألنظاري بتحصين حصنه وأغلق الطرقات إليه وتهيأ للقتال فتقدمت قوات محمود باشا وحاصرت حصن

---

(41) النهروالي، البرق اليماني، ص 129 .
(42) النهروالي، البرق اليماني، ص 130 .
(43) المصدر السابق، ص 130.
(44) شرف الدين، روح الروح، المخطوط ج/2، الورقة، 2 وكذلك المطبوع صفحة ب.

حب واستخدمت المدافع ضده دون فائدة(سم ير). وقد وصف شرف الدين في مخطوطه روح الروح حالة الحصار والمحاصرين في الحصن فقال: -

" وأحاطت عساكر السلطنة بحصن حب من كل جانب وحاصروه حصارا منع الذاهب والآيب ورموه بالمدافع، وسال سائل بعذاب واقع، وقل على من في الحصن المأكول، وحل بهم الخطب المهول، وبلغت الدجاجة مائة درهم، ولازمهم الاحتياج وآلهم، وتعقب ذلك قلة الماء وشح السماء، مع كثرة من فيه من العوالم ،ومن آوى إليه فزعا من تلك الملاحم "(شم ير).

لقد استمر حصار محمود باشا لحصن حب ثمانية أشهر دون فائدة فاضطر إلى إتباع أسلوب التفاوض، فكلف الأمير محمد بن عبد الله بن جعفر اليامي وهو من الدعاة الإسماعيلين للتوسط بينه وبين ألنظاري، وكان هذا الأخير قد سئم طول الحصار ونفدت مؤنه وشح ماؤه فاستجاب للوساطة، وقبل أن يسلم الحصن لمحمود باشا مقابل أن يعطيه مكانا آخر يختاره بنفسه وأقسم محمود باشا على المصحف بان يفي بوعده بضمانة الأمير محمد عبد الله الاسماعيلي.(ﻫ ير) وفي يوم 24 رجب عام 969هـ/ 1563م نزل النظاري من حصن حب مع ولده عبد الرحمن وكاتبه الفقيه ادريس ومدير المالية ابن رصاص مع حوالي مائتين من جنوده، وعندما وصلوا إلى مجلس محمود باشا استقبلهم ثم أمر بإعدامهم. وبعد ذلك استباح الحصن وقتل من فيه (□ ير).

---

(45) النهزوالي، البرق اليماني، ص 130 .

(46) شرف الدين، روح الروح، المخطوط ج/2، الورقة 2، المطبوع الصفحة ب.

(47) النهزوالي، البرق اليماني، ص 131 ؛ شرف الدين ، روح الروح ، المخطوط ج/2، الورقة 3، المطبوع ، ص ص ب،ج .

(48) شرف الدين – روح الروح – المخطوط ، ج2 ، المطبوع ، ص ص ب ، ج .

لقد اتهم المؤرخون محمود باشا بان هدفه من القضاء على النظاري كان للاستيلاء والحصول على الأموال والنفائس الموجودة في الحصن لأن ألنظاري لم يكن عاصيا على السلطة العثمانية. ويبدو أن ذلك صحيحا فقد ذكر احد الموالين العثمانيين من جماعة محمود باشا أن حصون اليمن مليئة بمعدات الحرب والدفاع فقط عدا حصن حب ففيه أيضا ذهب وفضة.(□ ير) وقد جاء في مخطوط روح الروح في وصفه لاستيلاء محمود باشا على الحصن:

" وانتهبت السلطنة حصن حب وعصف فيه ريح الادبار وهب، وكان مملوءا من الأموال النفائس والخزائن الرئيسة ".

أما النهزوالي فقال : -

" فجزت رأس ألنظاري وجميع من معه من العسكر واستولى محمود باشا على جميع خزائنه وسلاحه وخيله وكان هيأ جماعة يدخلون الحصن بمجرد خروج ألنظاري، وان يضعوا السيف في كل من هو منهم ،ففعلوا ذلك وقتلوا منهم قتلة عظيمة "(□سم) .

ويضيف :

" وتأثل من خزائنه محمود باشا، وكانت أموالا كثيرة وجواهر نفيسة. واخبرني حسين بك دفتر دار اليمن إذ ذاك انه من جملة ما شاهد، (كرسيا من الذهب مكللا بالجواهر الثمينة)*، لا يوجد في خزائن الملوك، وعصا مرصعة بالجواهر من ذخائر عامر بن عبد الوهاب، ومن النقود القديمة المسكوكة من الذهب

---

(49) سالم ، المصدر السابق، ص 266 .

(50) النهزوالي، البرق اليماني، ص 132 .

* إذا صحت هذه الراوية فإن هذه المسكوكات والجوار والمصنوعات الذهبية هي من العهد الحميري ، وأن الحصن كان مخبأً للذخائر الحميرية.

والفضة حمولا، ومن كتب العلم والفقه على مذهب الشافعي، وعلم الحديث، والمصاحف الكبيرة المذهبة، شيئاً كثيراً "(51).

ومهما يكن من أمر فان محمود باشا لم يتمكن من الاستيلاء على حصن حب بالقوة على الرغم من امتلاكه سلاحا جديدا هو المدفعية التي أربكت اليمنيين في مقاومتهم للعثمانيين الأتراك، فكانت الحيلة والتفاوض وسيلته للاستيلاء عليه.

ب – حصار سنان باشا لعلي بن شرف الدين :

جاء في الفصل السابق أن معركة إبّ التي خاضها الوالي العثماني سنان باشا ضد الإمامية الزيدية عام 977هـ/ 1570م قد وقعت بثلاث مراحل الأولى معركة مدينة إبّ نفسها والثانية معركة جبل بعدان والثالثة حصار حصن حب ومعاركه ،وهذه الأخيرة لم نناقشها لأن مكانها هنا في هذا الفصل. فبعد معركتي مدينة إب وجبل بعدان وجد الوزير سنان باشا أن الاستيلاء على حصن حب مهمة صعبة قد تؤخره كثيرا عن تحقيق هدفه في التوجه إلى صنعاء واحتلالها، فقرر فرض الحصار على الحصن، فترك قوة كافية مجهزة بالمدافع والأسلحة والذخيرة تحاصر الحصن وتوجه إلى ذمار في طريقه إلى صنعاء .

كان حصن حب قد أصبح تحت سيطرة الإمام علي بن شرف الدين منذ عام 975هـ/ 1568م عندما انحسرت السلطة العثمانية عن اليمن وأصبحت تحت سيطرة الامامية الزيدية بقيادة المطهر بن شرف الدين الذي قام بتعيين أخيه علي بن شرف الدين حاكما على حصن حب.[برسم] ويضيف النهزوالي: -

" وكان عند علي بن شرف الدين في (حصن حب) نحو السبعمائة نفر من المحافظين، فأمر حضرة الوزير

---

(51) المصدر السابق، ص 132.

(52) سالم، المصدر السابق، ص 272.

الأميريـــن الكـــبيرين أن يأخـــذا نحـــو مـــائتي فـــارس ويحاصـروا(حصـن حـب) ويحفظـوا إبًـا وجبلـة وهـران وسـائر مملكـة بعـدان وهـي مملكـة واسـعة كـثيرة الخـير ،فايضة المير، وقد دخل غالب عربانها تحت الطاعة إلا أنهـم لم يعتمـد علـيهم بعـد ، فظـاهرهم الإطاعـة ، مـا دامـت القـوة للعسـاكر السـلطانية والاسـتطاعة ،وإلا رجعوا في ساعة "(53).

كان الأميران اللذان كلفهما الوزير سنان بإحكام الحصار على حصن حب عند غيابه هما محمود الكردي وكوجك احمد[54] يرسم فهيأ لهما مستلزمات إدامة الحصار وقام بدراسة محيط حصن حب، فوجد حصنين صغيرين بالقرب منه وهما قلعة (قند) وقلعة (المدَوَّرة) فأمر بهدمهما لكي لا يستفيد منهما اليمنيون في إثارة المتاعب لقواته التي بلغت ثلاثمائة جندي أحاطت بالحصن من كل جانب[55] سمسم.

لم يتمكن محمود الكردي من إحراز أي تقدم في حصاره للحصن فأرسل الوزير سنان باشا قائدا آخر ليكون آمرا للأميرين المكلفين بقيادة القوات المحاصرة للحصن وهو (خضر بك القابودان) الذي جلب حال استلامه القيادة مدافع كبيرة من التعكر وتعز وبدأ يرمي بها على الحصن، لكن هذه المدافع لم يكن لها أي تأثير بسبب ارتفاع الحصن ومناعته، ولذلك اكتفى خضر بك بالاستمرار بإدامة الحصار[56] شمسم .

وخلال انشغال الوزير سنان باشا بمعاركه بعد أن أصبح قريبا من صنعاء محاصرا (كوكبان)، قرر الإمام المطهر إرباك سنان باشا بإثارة القبائل ضده في منطقة

([53]) النهزوالي، البرق اليماني، ص 281 .

([54]) اختار سنان باشا محمود الكردي وكوجك احمد لما عرفا به من الجرأة والشجاعة والخبرة في القتال .

(55) النهزوالي، البرق اليماني، ص ص 280- 281 .

(56) المصدر السابق، ص 401.

إبّ وبعدان، فكتب إلى قبائل المنطقة يحرضهم على الانتفاض ضد القوات التركية العثمانية. وقد استجابت له القبائل من أهل إبّ وجبلة والشوافي وبعدان، فقاموا بمحاصرة القوات التي كانت تحاصر حصن حب وقطعوا عنها المؤن مستغلين استرخاء القوات التركية العثمانية الذين كانوا متفرقين في إبّ وجبلة يرتادون المقاهي وأماكن اللهو، فانفرد بهم الأهالي وقتلوهم ولم يبق سوى قوات قليلة حول الحصن[لهسم].

استغل علي بن شرف الدين المحاصر في حصن حب هذه الحالة وأرسل جواسيسه وبعض أعوانه وكان من بينهم (بالي أغا) الذي خدع خضر بك بإعلانه وبعض الزيدية ولاءهم له ، لكن(بالي أغا) جمع حوله تسعمائة مقاتل من القبائل وكتب إلى علي بن شرف الدين يخبره بعدد مقاتليه ويعلمه أن خضر بك لم يبق معه سوى مائة وخمسين مقاتلا، وطلب من علي بن شرف الدين ان ينزل من الحصن لقتال الأتراك العثمانيين المحيطين بالحصن اللذين تحاصرهم القبائل[□سم] .

ويضيف النهزوالي أن علي بن شرف الدين استجاب لهذا المقترح وأرسل إلى قبائل إب وجبلة وبعدان وبني حبيش وأهل الشوافي طالبا منهم أن يجتمعوا في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك على قتال القوات المحاصرة للحصن بقيادة خضر بك، وذلك بان يشددوا الطوق حوله وحول قواته في الوقت الذي سينزل هو من الحصن لقتال القوات المحاصرة له. فامتثلت القبائل لطلبه وتهيأت للقتال في اليوم المحدد[□سم].

وفي السابع والعشرين من شهر رمضان عام 977هـ/1570م أي بعد حوالي أكثر من سبعة أشهر على معركة مدينة إبّ، تجمع ثمانية آلاف مقاتل من قبائل المنطقة واحكموا الحصار على القوات التركية العثمانية، في الوقت الذي نزل إليهم من حصن حب المحاصر علي بن شرف الدين، فأصبحت القوات التركية العثمانية محصورة بين

---

(57) المصدر السابق، ص ص 385، 401 – 402.

(58) النهزوالي ، البرق اليماني ، ص ص 403– 404 .

(59) المصدر السابق، ص 404.

القوتين فأبيدت تماما، وقتل القادة الأتراك الثلاثة محمود الكردي وكوجك احمد وخضر بك، واستولى علي بن شرف الدين على المدافع الكبيرة الثلاث والذخيرة التي كانت مع الأتراك.(□شم) وهكذا عادت إبّ وبعدان وبقية المناطق المحيطة بها إلى سيطرة الامامية الزيدية، وانتهى حصار حصن حب وبقي علي بن شرف الدين متحصنا فيه مهيمنا على منطقة إبّ وجبلة وبعدان .

أدى اندحار قوات سنان باشا في معركة حصن حب إلى انتشار التمرد على السلطة التركية العثمانية في اليمن الأسفل، فكان لابد لسنان باشا وهو في صنعاء أن يجهز قوات جديدة للقضاء على التمرد والاستيلاء على حصن حب .وخلال هذه المدة طلب الإمام المطهر الصلح مع سنان باشا فاستجاب له ،مما سهل عليه إرسال قوات إضافية من الشمال إلى اليمن الأسفل لكي تنظم إلى النجدات التي جاءت من مصر بقيادة بهرام باشا والتي لم تكن بالقوة والعدد الذي يطمح إليه سنان باشا(□شم) .

كان الصلح مع المطهر لا يعني الصلح مع أخيه علي بن شرف الدين الرابض في حصن حب ومملكة بعدان، لأن سناناً باشا كان يعده إقليم بعدان أو مملكة بعدان، ومنها حصن حب ،خارجاً عن نطاق المنطقة الشمالية التي تخضع للمطهر، وعليه فان الصلح لا يشملها، واشترط على المطهر عند الصلح على أن لا يقدم أية مساعدة لأخيه في حصن حب في حالة الحرب معه. ووافق المطهر على هذا الشرط(برشم).

تمكنت قوات بهرام باشا من التغلب على المقاتلين المتمردين على العثمانيين في مناطق صهبان والارازق والشوافي وحبيش والتعكر وذي السفال وإبّ وبعدان وغيرهم من القبائل العربية في اليمن الأسفل(ترشم) ولكي يضمن بهرام باشا عدم تمردهم من جديد

---

(60) المصدر السابق، ص ص 404 – 405؛ سالم، المصدر السابق، ص 288.

(61) النهزوالي، البرق اليماني، ص ص 406 – 411 ، 427–431 ؛ سالم ، المصدر السابق، ص ص 296 – 297 .

(62) سالم، المصدر السابق، ص ص 297 – 298.

(63) سالم، المصدر السابق، ص 297.

أو مساندتهم لعلي شرف الدين في حصن حب فقد اخذ من كل قبيلة رهينة أرسلهم إلى صنعاء(يرشم) .

أما عن حصن حب فقد طوقته القوات التركية العثمانية بقيادة بهرام باشا بعد أن انهت تمرد القبائل الموجودة في منطقة حصن حب، وبذلك تم عزل الحصن تماما ومحاصرته.(سمشم) ومع ذلك لم تتمكن هذه القوات على الرغم من ضخامتها من اقتحام الحصن بالقوة. وقد علق مؤرخ هذه المرحلة النهزوالي على هذا الحصار الجديد مؤكدا صعوبة اقتحامه بالقوة فقال: -

" وقد تقدم وصف قلعة حب وصعوبة مسالكها وارتفاع وملامسة كواكب الجوزاء لمناكب بقاعها ويفاعها ،و قصور نحور النجوم عن أطواق أعلى قصورها و قلاعها، وما عهد أنها أخذت قسرا، ولا قهرها احد من الملوك قهرا ،وإنما أخذها محمود باشا وغيره بالغدر، والاحتيال والخديعة والمكر، ولكن إذا أراد الله امرأ هيأ أسبابه "(شمشم)

.

وخلال هذا الحصار تفجر مخزن البارود في حصن حب بتدبير من احد الأسرى فيه، وقد وصف النهزوالي الحالة بالقول : -

" فاشتعل النار، واخذ جانبا من القلعة، ورفعه إلى عنان السماء، وزلزل الجبل جميعه زلزلة هائلة ،وهدم

---

(64) النهزوالي، البرق اليماني، ص ص 436-437 .

(65) النهزوالي، البرق اليماني ،ص 437 ؛ سالم المصدر السابق، ص 298 .

(66) النهزوالي، البرق اليماني، ص 439 .

كثير من البنيان، وذهب البارود باجمعه، وانقصم
بذلك ظهر أهل الحصن، وعلموا أنهم مأخوذون "(لهشم) .

فرح سنان باشا بخبر اشتعال البارود في الحصن ونفاده وحث قادة القوات المحاصرة للحصن بان يحتاطوا وياخذوا الحذر وينتبهوا لكي لا يصل إلى الحصن أي ذخيرة جديدة من البارود، وكان حدسه صحيحا فقد أرسل المطهر سرا قوة بقيادة علي بن شويع وعلي بن الحسين تحمل البارود والمؤن والذخائر لتعويض النقص في حصن حب. وادعى المطهر أنها قوات خرجت عليه ولا تعمل لحسابه، وقد نجحت هذه القوة في إثارة المتاعب لبهرام باشا وقواته قرب حصن حب لبعض الوقت ،غير أن سناناً باشا جهز لها قوة خاصة هاجمتهم وأبعدتهم عن حصن حب وقضت عليهم دون أن يحققوا هدفهم في إيصال البارود والمؤن إلى علي بن شرف الدين المحاصر في حصن حب(□شم) .

لم يحقق نشاط سنان باشا العسكري أية نتيجة في حصاره لحصن حب، فقد بقي منيعا لا يمكن اقتحامه بالقوة وهو ما توقعه العارفون بتاريخ الحصن .ولذلك لجأ بهرام باشا إلى الحيلة والغدر من خلال دس السم في طعام علي بن شرف الدين وبواسطة شخص كان علي بن شرف يأتمنه على طعامه وشرابه، مقابل رشوة من المال والذهب. وقد نجح في قتل علي بن شرف الدين بان دس السم له في فاكهة السفرجل(□شم).

إن موضوع اغتيال علي بن شرف الدين وتفاصيله قد ورد في روايتين متناقضتين في الوصف الأولى راوية النهزوالي مؤرخ العثمانيين المنحاز تماما إليهم، والثانية راوية عيسى بن لطف الله شرف الدين صاحب روح الروح وهو محسوب على الامامية ،وان كان قد اتهم بميله إلى العثمانيين ولكنه برأ نفسه من ذلك وهو يبدو حياديا في كتابته قياسا بالنهزوالي.

---

(67) المصدر السابق، ص 439.

(68) النهزوالي ، البرق اليماني ، ص ص 440- 441 ؛ سالم ، المصدر السابق ، ص 298 .

(69) شرف الدين، روح الروح،ص ص 182 – 183 ؛ النهزوالي، البرق اليماني، ص ص 441 – 442 ؛ سالم، المصدر السابق ،ص 299 .

جاء في رواية النهزوالي أن خادمين لدى علي بن شرف الدين اسمهما نقير ووبير أبديا استعدادهما لقتل علي بن شرف الدين بدس السم له بالطعام بعد أن اتصل احدهما ببهرام باشا، ففرح هذا الأخير ووعد الخادم وصاحبه بمكافأة ذهبية كبيرة ويضيف النهزوالي أن الخادم قال لبهرام باشا :

" نحن رجلان في خدمة هذا الرجل وقد اتفقنا على ان نسمم له، وهيأنا له سفرجلا مسموما ،فإذا رآه تناوله منا واكله فلا يعيش بعد ذلك ، فقال له بهرام باشا نعطيك ألف ذهب ونعطي صاحبك ألف ذهب، فقال ارقبوا الوقت الفلاني، واهجموا القلعة فأنكم لا تجدون من يمنعكم عنها، فكونوا حاضرين في ذلك الوقت ولا تغفلوا فيه "(70) .

ثم خرج إلى الحصن وقدم السفرجلة إلى علي بن شرف الدين فأكلها ومات في الحال.

أما عيسى شرف الدين فيروي تفاصيل أخرى عن قتل علي بن شرف الدين بالسم فيقول إن شخصا من أصحاب علي بن شرف الدين يقال له بن عرجلة كان على صلة ببعض الجنود من القوة المحاصرة لحصن حب، وقد استغل بهرام باشا هذا الأمر عندما علم بذلك وطلب من خلال جنوده ان يقوم بن عرجلة بدس السم في طعام علي بن شرف الدين ،فوافق بن عرجلة .وخلال مجلس علي بن شرف الدين وبعض أصحابه جاءه بن عرجلة بتلك السفرجلة بعد أن سأله علي بن شرف الدين إن كان يحمل إليه القات لأنه شديد الشغف به، فقدم له السفرجلة المسمومة مدعيا انه لم يحصل على القات. ثم غادر المجلس ويضيف عيسى بن شرف الدين : -

" وكان عند علي بن الإمام فقيه من بني الحشيري ومملوك رومي خادم خازن، فشم علي بن الإمام السفرجلة وكثر في شمها، ثم تناولها الشيخ الحشيري

---

(70) النهزوالي، البرق اليماني، ص 442 .

وقسمها واكل بعضها وأعطى الملوك أكثرها،فأكلها، فأما الملوك فمات لوقته وأما الحشيري فأقام يتضرب بقية يومه وليلته، وأصبح في قبضة ميتته، وأما علي بن الإمام فأخذه عطاس تتابع دفعه، وتعذر منعه ،وأمر بقبض عرجلة، على إسراع وعجلة ،فقبضوه ،وفي السجن أودعوه، وبقي علي بن الإمام يعاني سكرات الحمام ،ثلاثة أيام وقبضه الله إليه شهيدا حميدا. "[71].

وعندما توفي علي بن شرف الدين قام أصحابه بقتل بن عرجلة في سجنه .

إن التناقض في تفاصيل الروايتين لا يعني شيئا أمام النتيجة وهي موت علي بن شرف الدين مسموماً بتدبير من بهرام باشا الذي لم يتمكن من اقتحام الحصن بالقوة.

حاولت قوات علي بن شرف الدين وقياداته إخفاء خبر موته " وحصل مع أصحاب علي بن الإمام خور وجزع وخيفة "[72] ، لكن كتمان الخبر لم يدم سوى بضعة أيام. فقد أدى قتله وظروف الحصار الطويلة بما فيها نقص البارود والمؤن والذخيرة، إلى أن تعلن قوات الحصن المحاصر استعدادها لتسليم الحصن مقابل ضمان الأمان لها. وقد وافق بهرام باشا على تامين حياة أفراد حامية الحصن من المقاتلين، فصعدت قوات بهرام باشا إلى حصن حب بدون قتال .ولكن بهرام باشا لم يف بوعده فقد غدر بتلك القوة عندما نزلت من الحصن مقررة الرحيل إلى ذمار، حيث أرسل خلفهم جنوده فأمعنوا فيهم قتلا إلا من هرب بنفسه منهم[73].

---

(71) شرف الدين ، روح الروح، ص ص 182 –183 .

(72) المصدر السابق، ص 183.

(73) شرف الدين ، روح الروح، ص 183 ؛ سالم ؛ المصدر السابق؛ ص 299 ؛ النهزوالي، البرق اليماني ،ص 442 .

وكان الاستيلاء على حصن حب في اليوم الخامس من شهر رجب عام 978هـ/([illegible])، وهكذا وللمرة الرابعة في اكبر حصارات حصن حب لم يتمكن المحاصرون له والمهاجمون عليه من اقتحامه بالقوة لمناعته التي تميز بها .

استنتاجات:

إن النتيجة التي نخرج بها من هذا الموضوع هي أن حصن حب كان عبر التاريخ الإسلامي منيعا حصينا قياسا بحصون منطقة إبّ الأخرى وقد استمر كذلك في مدة الاحتلال العثماني لليمن بالرغم من استعمال الأتراك العثمانيين لمدافع حديثة وكبيرة ضده ،حيث فشلوا في اقتحامه بالقوة .وكانت الوسيلة الوحيدة للسيطرة عليه هي الوسائل السلمية والتفاوضية وبطريقتين لا ثالث لهما: الأولى هي عدم وجود رغبة في مقاومة من يريد الاستيلاء عليه مثلما حدث مع مؤسس الدولة الصليحيةابي الحسن علي بن محمد الصليحي عندما أعلن حاكم حصن حب أبو عبد الله التبعي ولاءه له دون قتال عام 450هـ/1060م أو عندما اشتراه محمد بن سبا مع مدن أخرى وحصون أخرى بعد وفاة الملكة السيدة أروى من المفضل عندما عجز عن إدارتها لتقدمه في السن أو عندما دخله الملك المظفر ألرسولي عام 648هـ/ 1250م دون قتال أو عندما سلم الزريعيون حصن حب إلى طغتكين الأيوبي عام 582هـ/ 1186م بعد صحار طويل بسبب نفاد الماء والمؤن ومثل هذا الأمر قد حدث مع محمد ألسيري الذي سلم الحصن للطاهريين عام 870هـ/ 1466م بعد حصار طويل .

أما الطريقة السلمية الثانية للاستيلاء على حصن حب فكانت بالخديعة والحيلة ولا نحتاج لذكر تفاصيل ما حدث في حصار محمود باشا لحصن حب ونزول النظاري منه بوعد من محمود باشا بالتسوية والصلح، ولكنه غدر به وبمرافقيه عام 969هـ/1563م وكذلك حصار سنان باشا للحصن وقيام قائد قواته المحاصرة للحصن

---

(74) النهزوالي، البرق اليماني ،ص 442 ؛ سالم ، المصدر السابق ،ص 299 ؛ شرف الدين، روح الروح ،ص 183 .

بهرام باشا بدس السم في طعام علي بن شرف الدين وقتله بوساطة واحد أو أكثر من أتباعه مما أدى إلى استسلام الحصن واستيلائه عليه عام 978هـ / 1572 م. فكلاهما فشل فشلا ذريعا في اقتحام حصن حب على الرغم من المدافع الحديثة والثقيلة التي استخدمت في معارك الحصن، فكانت الخديعة والحيلة والغدر وسيلتهما للاستيلاء على حصن حب .

من جانب آخر شكل حصن حب موقعا ستراتيجيا ومقرا لحكام تمكنوا بوساطته من السيطرة على المناطق المحيطة به خصوصا منطقة إب وبعدان ليكوّنوا كيانات سياسية قائمة بذاتها مثلما فعل أبو عبد الله الحسين ابن مسعود التبعي الذي جعل من حصن حب قاعدة لكيان حكم خاص به مدة (48) ثمانية وأربعين عاما إلى أن خضع بإرادته للصليحيين، كذلك تمكنت عائلة ألسَّيري من الاستقلال بحصن حب عن الرسوليين لمدة (158) مائة وثمانية وخمسين عاما وسيطروا منه على مدينة إب وجبل بعدان ،ولم يتمكن الرسوليون من القضاء عليهم إلى أن جاء الطاهريون من بعدهم واستولوا عليه بالحصار . أما محمد ألنظاري فقد تمكن من السيطرة على حصن حب عندما تدهور حكم الطاهريين في آخر أيامهم إبان حكم عامر بن عبد الوهاب وكوّن هو وولده وحفيده علي ألنظاري من بعده مملكة بعدان التي استمر حكم عائلة النظاري المستقل فيها مدة (46) ستة وأربعين عاما .

إن الاستقلال عن السلطة المركزية لقرن ونصف من الزمن أو لنصف قرن منه وتكوين حكم مستقل في حصن حب وما حوله من منطقة مدينة إبّ وجبل بعدان يؤكد وبلا شك الأهمية الستراتيجية لهذا الحصن في منطقة إبّ دون غيره من حصون المنطقة بما فيها حصن التعكر الشهير .

الفصل الرابع

حصـــن التعكـــر وجبلـــة

حصن التعكر

تتميـز منطقـة مـدينتي إبّ وجبلـة اللـتين تفصـل بينهمـا مسـافة سـتة كيلـو مـترات تقريبـاً ،بوجـود حصـنين متنـاظرين الأول هـو حصـن حـب والـذي تناولنـا اهميتـه الستراتيجية في الفصل السابق ، و الثاني هو حصن جبل التعكر ، هذا الجبل الذي يطل من بعيد على مدينة إبّ من جهتها الجنوبية وتقع في قاعدته مدينة جبلة أو ذي جبلة

أرتبط اسم جبل التعكر بحصنه الشهير المسمى حصن التعكر الذي وصفه ياقوت الحموي في مخطوطه معجم البلدان بالقول ((أنه قلعة حصينة عظيمة مكينة باليمن من مخلاف جعفر ، مطلة على ذي جبلة ليس في اليمن قلعة أحصن منها)) ويوضح الحموي أن لفظ التعكر يكون بضم الكاف و الراء (تعكر)[1] بينما يلفظه أهل اليمن الان بفتح التاء وتسكين العين وفتح الكاف وتسكين الراء . ويضيف الهمداني المتوفى سنة 334هـ فيقول في مخطوطه (صفة جزيرة العرب) أن التعكر من الجبال المشهورة . وهو من شوامخ الجبال التي في رؤوسها المساجد الشريفة ، ومواضع المساجد ، وحصنه من الحصون الشهيرة في اليمن.[2]

ويقول عمر بن على بن سمرة الجعدي في مخطوطه (طبقات فقهاء اليمن) الذي ألفه سنة 586هـ ،أخبرني بهذا السلطان وائل بن على بن أسعد بن وائل الكلاعي الحميري عن الشيخ العفيف ابي حسان بن ابي الخير بن خليفة الزاهد ، مسكنه جمان

---

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، بيروت –1990م، ج 2، ص ص 40-41.

(2) الهمداني ، صفحة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي ، صنعاء 1990م ، ص238.

من يحصب الاسفل أن جبل جناد من التعكر الى ريمة ، وكان اسمها عرفة وأساس التعكر منذ ثلاثة آلاف سنة وخمسمائة[تر]

ويذهب وجيه الدين الحبيشي الوصابي المتوفى سنة 782هـ في مخطوطه (تاريخ وصاب الاعتبار في التواريخ والآثار) الى أبعد من هذا التاريخ إذ يقول ((اعلم ان للتعكر من يوم ان أُحدِ ثَ نحو ستة الاف سنة))[يز] أما المؤرخ الشهير ابن خلدون فقد قال في التعكر إنه أحد (حصون ومعاقل اليمن القديمة)[سم]وقد ذكره الامير محمد بن ابان الخنفري الحميري في فجر الاسلام حيث قال في قصيدة ذكرها الهمداني في الاكليل :

وفوق التعكرين لنا قصور تشاييد الشمارخة الطوال[شم]

والمقصود هنا بالتعكرين ، أي تعكر منطقة إ بّ وتعكر آخر في عدن ، حيث ذكر الحموي أنه توجد قلعة اخرى في اليمن يقال لها تعكر[له] ومن الذين تفاخروا بالتعكر شاعر الملك على بن محمد الصليحي حين انشد قائلاً:

طالت ذرى تعكر فيها بكونك في عليائها علماً أو في علا علم[□]

ويبدو أنها قيلت عندما استولى علي الصليحي على حصن التعكر.

---

(3) عمر بن على بن سمرة الجعدي ، طبقات فقهاء اليمن ، بيروت، 1981م، ص ص 158-159.

(4) وجيه الدين الحبيشي الوصابي ، تاريخ وصاب . الاعتبار في التواريخ والآثار ، تحقيق عبد الله محمد الحبشي ، صنعاء 1979م ، ص 42-.

(5) ابن خلدون،اليمن في تاريخ ابن خلدون،تبيين وتعليق محمد حسين الفرح، صنعاء، 2001م،ص 650.

(6) محمد حسين الفرح ، الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير ، صنعاء ، 2004م ، ص ص 194-195؛ الفرح ، اليمن في تاريخ بن خلدون ، ص 650.

(7) الحموي ، المعجم ، ص ص 40-41 .

(8) الفرح ، اليمن في تاريخ ابن خلدون ، ص 195

ينقل المقحفي عن المؤرخ اليمني محمد بن على الاكوع الحوالي الذي حقق عديداً من المخطوطات في تاريخ اليمن والف كتبا مهمة عنه قوله (إن التعكر أشهر جبال اليمن وأبعدها صيتا ، و أمنعها حصانة ، وأعلاها شموخا وهو خزانة الملوك وحافظ مهجها من غارات المغيرين وعاديات الايام ، يقع في أرض الكلاع في مخلاف جعفر ، يطل من الجنوب على وادى ضباء ونخلان فالجند فَصَبْر فالمعافر ، وقد ترى في اعلاه ايام الصحو جبال باب المندب . وفي الشرق الجنوبي على الحشا وما صافحها في يافع وفي الشما ل على الاقليم الاخضر الوادي المستقبل إ بّاً ووادي السحول والى ما لا نهاية له حتى وصاب ريمة).[□]

يبلغ ارتفاع جبل التعكر حوالي 3000متراً فوق سطح البحر ، ولذلك عُدّ حصنه المسمى باسمه من المعاقل المنيعة في منطقة إ بّ خاصة و اليمن عامة ، ولاتتوافر لدينا معلومات عن مدة بنائه ، لكن المصادر تشير آلي عراقته و قدمه. وقد جاءتنا اول الاشارات عن احداث وقعت فيه في التاريخ الاسلامي عندما سيطر محمد بن زياد على اليمن حين أرسله الخليفة العباسي المأمون لقمع التمرد فيها على الخلافة ، فأ سس دولة بني زياد للمدة 205 - 403 هـ واصبح مخلاف جعفر الذي يقع فيه التعكر تحت سيطرتهم[□□] . واصبح آل الكرندي نوابا عن آل زباد في التعكر ومناطق اخرى. وبنو الكرندي هم حميريون [□□] ويقال إن نسبهم يرجع الى أبيض بن جمال الذي أقطعه النبي صلي الله عليه وسلم جبل الملح[بر□] .

---

(9) ابراهيم المقحفي ، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، ص ص233- 234 .

(10) الحداد ، التاريخ العام لليمن ،جـ2,ص98؛ الفقي ، المصدر السابق، ص ص89.

(11) قال الهمداني ان آل الكرندي من بني ثمامة آل حمير الأصغر انظر : اليمن في تاريخ ابن خلدون ،تبيين وتعليق محمد حسين الفرح ،ص 652؛ السروري، المصدر السابق، ص24.

(12) احمد بن احمد بن محمد المطاع ،تاريخ اليمن الاسلامي ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ،بيروت ،1986م، ص 237

وبالرغم من ان سلطة بنو الكرندي على التعكر وحصنه قد استمرت الى ان استولى عليه الصليحيون في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري , ضعفت هذه السلطة وزالت زمناً ثم عادت اليهم , أي ان سلطتهم علي حصن التعكر كانت متذبذبة، ففي القرن الثالث الهجري استولى علي بن الفضل على حصن التعكر خلال تبشيره بالمذهب الاسماعيلي في اليمن عندما استولى علي مدينة المذيخرة عام 294 هـ ولما قتل علي بن الفضل خلفه ابنه في مذيخرة , فهاجمه اسعد بن يعفر الحوالي حين زحف الى حصن التعكر وقصف مذيخرة بالمنجنيقات ودمرها سنة 304 هـ وعاد الى صنعاء(تر□) ويذكر بن سمرة الجعدي أنه خلال الصراع بين آل زياد وآل يعفرالحواليين , اصبح ابو يعقوب المخائي والياً على حصن التعكر عن الحواليين ولكنّ بني الهيثم استولوا عليه منهم بالخدعة واستمرت ولايتهم عليه وعلى اعماله خمساً وثمانين سنة ابتداء من سنة 342هـ جمادي الاولى الى سنة 427 هـ . ويصف بن سمرة الجعدي ولايتهم للتعكر بالدولة ، أي انهم كانوا شبه مستقليين، واول من حكم منهم محمد بن هيثم الهيثمي ، وجاء من بعده ولده عبدالله بن محمد حتى مقتله في الرعاع في 7 جمادي الاولى سنة 350هـ. واعقبه مالك بن عبدالله الهيثم الذي توفي في التعكر يوم الجمعة لخمس بقين من جمادي الاولى سنة 405 هـ وولي بعده ابن اخيه عبدالله بن المكراني بن عبدالله الذي توفي 23 رمضان سنة 421هـ . وتولى من بعده احمد ومحمد ابنا اسحق الهيثمي(ير□) .

وفي عام 429هـ استعاد آل الكرندي سلطتهم مستغلين نفاد الطعام الكثير في التعكر , فقام احمد بن عبدالله الكرندي بمحاصرة احمد ومحمد ابني اسحق الهيثمي في يوم الجمعة من جمادي الاولى من السنة نفسها بمساعدة الحسين بن المغيرة النبعي؛ ((حيث اجتمعا في الضهابي وصعدوا الى التعكر يوم الثلاثاء لسبع

---

(13) الفقي ، المصدر السابق ، ص ص132-138.

(14) ابن سمرة الجعدي ، طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق فؤاد حيدر ،بيروت ،1981م، ص ص 105-106.

خلون من جمادي الاولى من سنة 429 هـ ومعهما عسكر كثير ؛ وحاصر الكرندي ابني اسحاق الحوالي في ذي القعدة ، فأخذ التعكر منهما في هذه السنة المذكورة وولاه أخاه))[سم] وعموما فان بعض المصادر تقول ان الصراع بين آل زياد وال يعفر الحواليين واستيلاء هؤلاء الاخيرين على مخلاف جعفر بما فيه التعكر وحصنه ، لم ينه سلطة بني الكرندي لان الامير عبدالله بن قحطان بن يعفر الحوالي ابقى آل الكرندي نوابا عنه في مخلاف جعفر ومقرهم حصن التعكر[شم] حيث استمروا في حكمهم له الى ان استولى عليه الصليحيون واتخذوا من مدينة جبلة عاصمة لهم .

مدينة جبلة :

جبلة تسمى ايضا ذي جبلة و تقع في قاعدة سفح جبل التعكر في الشما ل الشرقي منه وفي الجنوب الغربي من مدينة إبّ ، وهي ترتفع عن سطح البحر بحوالي 2000م .وقد سميت جبلة بهذا الاسم نسبة إلي رجل يمني يهودي كان يبيع الفخار في الموضع الذي بنيت فيه ، اسمه (ذو جبلة)[ه]

يمكن القول ان مدينة جبلة حديثة العهد قياسا بقدم مدينة ابّ ، ذلك ان مدينة جبلة قد بنيت في بداية عهد الصلحيين , عندما اختطها وبناها عبدالله محمد الصليحي سنة 458 هـ / 1066م حين كان واليا على حصن التعكر وبأمر من أخيه مؤسس الدولة الصليحية الملك علي محمد الصليحي [□□] . من جانب آخر انتهت اهمية مدينة جبلة السياسية بانتهاء حكم الصليحيين بعد وفاة السيدة أروى بنت أحمد الصليحي عام 532 هـ .

---

(15) ابن سمره الحعدي، المصدر السابق ،ص 106.

(16) يحيى ، التاريخ العام ، ص116.

(17) الحموي ، المعجم ، ص ص 123- 124 ؛ الموسوعة اليمنية ، جـ 2، ص853.

(18) الخزرجي ، المسجد ، الورقة 62 ؛ ابن المجاور ، المصدر السابق ، ص ص168-169 ؛ حسين الهمداني ، المصدر السابق، ص88.

لقد قدم بعض المؤرخين وصفا لمدينة جبلة , فذكر ياقوت الحموي في معجمه ان جبلة (بالكسر ثم السكون) كانت تسمى (ذات النهرين) وقال عنها انها من احسن مدن اليمن وانزهها واطيبها(19) واورد حسين الهمداني مثلا يقول إنه شهير عن جبلة وهو (لايدخلها احد الا طاهر وصباحها صباح عروس) واضاف أن (مواردها وفيرة وهي متوسطة بين اليمن الاعلى والاسفل وبها يخصب العيش ويطيب المحل) (20) كما ذكر ابياتا من الشعر نسبها الى عبدالله بن علي الصليحي يصف بها مدينة جبلة منشدا :

هب النسيم فبتّ كالحيران شوقاً الى الأهلين والجيران
مامصر ما بغداد ما طبريّة كمدينة قد حفّها نهران
خدد لها شأم وحبّ مشرق وكذاك تعكرها المنيف يماني(21)

ويضيف ابن المجاور أن مدينة جبلة تقع بين نهرين جاريين (22) ويؤكد الخزرجي با لقول إنها مدينه بين نهرين جاريين صيفاً وشتاءاً (23) ولكنْ هذان النهران غير موجودين الآن لا صيفاً ولا شتاءاً ويبدو أنهما انتهيا بفعل الجفاف . وفي صيف هذا العام 2005م نزلت في منطقة إبّ امطار كثيرة وغزيرة , فعاد أحد هذين النهرين الى الوجود لكن مياهه تضاءلت وانحسرت مع انتهاء فصل الصيف , وقد شاهدنا فلما مصورا له ينحدر بشكل شلال متدفق .لقد حدد ابن المجاور حدود مدينة جبلة فقال :

((بنى بذاك الصليحي في مخلاف جعفر وحدودها
بالطول من نقيل صيد الى مصابح وبالعرض من سوق
وصفات الى حصن الطرئمة الى ذي الاسود من حدود

---

(19) الحموي ، المعجم ، ص 123.
(20) حسين الهمداني ، المصدر السابق ، 136؛ ابن المجاور ، الصفة ، ص172
(21) ابن المجاور ، الصفه ، ص 169.
(22) الخزرجي ، المسجد ، الورقة 162 .
(23) ابن المجاور ، الصفة ،ص 171.

مخلاف حب , وتسمى قلعة النهرين لان جبل التعكر
مابين ايمن البلد وشماله ومجمع لنهرين في احد البلد
عند موضع يقال له وادي ميتم))(يربر)

اما عن المسافات التي تفصل جبلة عن المناطق المحيطة بها فيقول ((إنه من ذي جبلة الى القرين* فرسخ والى السحول فرسخان .. والى ذراع الكلب فرسخان والى قلعة إ بّ فرسخان))[25]

وفي التاريخ الحديث ورد وصف مدينة جبلة في وثيقة هولندية تعود الى مطلع القرن التاسع عشر , وهي عبارةعن رسالة لأحد المسؤولين في المحطة التجارية الهولندية في المخا بتاريخ 15 اغسطس 1623م . جاء فيها :

((وجبلة هذه من أكثر الاماكن خصوبة في
البلاد كلها بلا شك , وذلك لانه لا تمر عليها ليلة بلا
مطر أو من النادر ان يحدث هذا ويحصد الناس هنا
القمح مرتين او ثلاثاً في السنة ويشاهد المرء هنا كل
انواع الفواكه مثل الكمثرى والبرقوق والعنب* وجوز

(24) ابن المجاور ، الصفة ، ص 175.

* إذا كانت القُرَين المقصود بها قرية في أسفل حصن حب (بضم القاف وفتح الراء) فإن المسافة أكثر من ثلاثة فراسخ ، ولا نعرف منطقة اسمها القرين بالقرب من منطقة جبلة بهذه المسافة التي ذكرها (برور وكبلاينان) في مؤلفهما المذكور في الهامش (25).

(25) براور وكبلا ينان ، اليمن في اوائل القرن السابع عشر ، ليدن 1988،ص159.

* لم يعرف أن جبلة كانت تزرع العِنَبْ (الكروم) ولم نعرف تجربة لزراعة العنب في بستاين جبلة أو في إب ، ولعل المقصود منها الْعَنْب أو العمب الذي سبق شرحه في صفحات سابقة على أنه يزرع في إب ومناطق أخرى من اليمن بنوعين.

الطيب والموز والمانجو و ما شابهها بكميات وفيرة . وعلى الاجمال فهي ناضرة وخضراء طوال السنة))[شمبر]

كانت جبلة إحدى المدن التي مر بها نيبور في رحلته الى اليمن عام 1861، فقال عنها في يومياته إنها تقع على وادٍ ضيق وعميق ، متخذة شكلاً نصف دائري بمحاذاة الوادي ويصل امتدادها في الطول الى حوالي خمسمائة خطوة مزدوجة ، أي تسعمائة متراً تقريباً ، اما عرضها فيبدو ضيقاً . وقد علق على هذا بقوله : ((ولذلك فاني أشك في أن يبلغ عدد منازلها الى ستمائة منزل)) واضاف أن طرق المدينة مرصوفة ، وبيوتها عالية ومبنية بالحجارة كما هو الحال بالنسبة لجميع البيوت في المناطق الجبلية ويبدو منظرها جميلا . ولاحظ نيبور عدم وجود سور حول مدينة جبلة ولا توجد في مدينة جبلة واحة ، الا انه اشار في كتابه (وصف بلاد العرب) الى أن عامل جبلة كان يسكن في قلعة. ولعله كان يقصد حصن التعكر.

اما عبد العزيز الثعالبي فقد قال عن مدينة جبلة في رحلته الى اليمن عام 1924 بأنها مدينة قديمة فيها مسجد جامع لصلاة الجمعة وعشرة مساجد للصلوات الخمس . ولها انهار تجري بين شوارعها ولها وادٍ كثير الاشجار والبساتين تنصب فيه مياه الانهار جنوب المدينة يزرعون عليه البن والورس ، وسكان المدينة يبلغون نحو 3000 ألاف نسمة وأبنيتها تشبه ابنية مدينة إبّ . [لهبر]

ظهرت اهمية مدينة جبلة السياسية عندما اختارها الملك الصليحي المكرم وزوجته سيدة بنت احمد عاصمة للدولة الصليحية بدلا من صنعاء ويقال إنّ سيدة بنت أحمد والمكرم كانا قد زارا جبلة عدة مرات قبل اختيارها عاصمة ، واعجبت سيدة

---

(26) الصايدي ، نيبور ،ص244.

(27) الثعالبي ، الرحلة اليمنية ،ص ص 60- 61 .

بها . وعندما توفيت ام المكرم الملكة أسماء وتولت سيدة بنت أحمد مشاركة زوجها الحكم في ادارة الدولة اقنعته بالانتقال الى جبلة لجعلها عاصمة له.(□ بر)

وتذكر المصادر عدة اسباب لاختيار جبلة عاصمة بدلا من صنعاء , منها تصاعد حدة الصراع القبلي حول صنعاء والذي كان يهدد عاصمة الصليحيين بالسقوط . يقول العرشي "إنّ بني الصليحيين رحلوا من صنعاء مجبرين بسبب المشاكل التي واجهتهم فيها . واختاروا جبلة لان اهلها ومن جاورهم مسالمون ولتمتع جبلة با لخصب والنماء والمياه الوفيرة".(□ بر)

ولذلك تورد المصادر قصة سيدة بنت أحمد (أروى) في إقناع زوجها بالرحيل إلى جبله عندما طلبت أن يتجمع أهل صنعاء لمقابلتهم فجاءهم أهل صنعاء يحملون السيوف والرماح والدروع، وبعدها أخذت سيدة بنت أحمد زوجها المكرم إلى مدينة جبلة وطلبت أن يتجمع الناس لمقابلتهم فجاءهم الناس وهم يحملون الهدايا من السمن والعسل والاكباش (الخرفان أو الكباش عند أهل إبّ) وما شابه، فقالت له (العيش بين هؤلاء أصلح)(□ تر) بمعنى أنها أثبتت لزوجها أن قبائل منطقة جبلة وإبّ تميل إلى السلم ولا ترغب بالحرب بعكس صنعاء التي كان الصليحيون يعانون من مشاكل قبائلها وعصيانهم. ولا شك أن وجود حصن التعكر كان له تأثيره الإستراتيجي في الانتقال إلى مدينة جبلة وذلك لمناعته وصعوبة السيطرة عليه، وقد ثبت للمكرم أهمية حصن التعكر عندما انتصرت قواته على النجاحيين ودحرت هجومهم على التعكر الذي قاده بلال وأبو الفتوح النجاحيان. فعندما استلم المكرم السلطة بعد مقتل والده على الصليحي كان منافسوهم النجاحيون قد اتجهوا إلى اليمن الأسفل مستغلين انشغال المكرم بقبائل

---

(28) السروري ، المصدر السابق ، ص128.

(29) المصدر السابق ، ص ص 128-129.

(30) تاج الدين اليماني، بهجة الزمن في تارخ اليمن، تحقيق عبد الله الحبشي ومحمد السنباني، صنعاء 1988، ص79؛ حسين الهمداني، المصدر السابق، ص ص 136 – 137؛ الفقي، المصدر السابق، ص158؛ السروري، المصدر السابق، 129؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص 188.

اليمن الأعلى، ومنهم قبائل بكيل عندما كان ما يزال في صنعاء. وكان هدف النجاحيين جبل التعكر وحصنه ، فتوجهوا بقواتهم إلى الجند ثم ذي اشرق لمحاصرة حصن التعكر الذي أصبح واليا عليه اسعد بن عبد الله الصليحي، فخرج اسعد إليهم وانتصر عليهم في ذي اشرق التي يشرف عليها حصن التعكر من شمالها الغربي، وطاردهم إلى الجند واجبرهم على العودة إلى زبيد وكاد أن يقتل بلالاً وأبا الفتوح لكنهما نجيا باعجوبة. وبذلك تمكن الصليحيون من هزيمة تجمع النجاحيين وأنصارهم دون مساعدة من قائدهم المكرم ،فكان هذا الانتصار دافعا لاتجاه المكرم بنفسه وبجيش جرار إلى زبيد عاصمة النجاحيين واحتلها وأنقذ والدته من الأسر حيث كانت قد وقعت في أسر النجاحيين بعد مقتل زوجها أبي المكرم في هجوم مباغت لهم عام 459هـ / 1067م(□ تر). فكانت معركة التعكر فاتحة خير للمكرم وزوجته سيده بنت أحمد ، ولعلها أحدى عوامل الانتقال إلى جبلة. وهكذا أصبح حصن التعكر مركز الصليحيين ومقر ذخائرهم ، وكانت سيدة بنت أحمد الحرة تقيم به صيفا وتنزل إلى جبلة شتاءً.

خرجت سيدة بنت أحمد بجيش كبير من صنعاء متجهة إلى جبلة تاركة زوجها المكرم مشغولا بحروب القبائل المجاورة لصنعاء. وعندما وصلت جبلة ابتنت فيها (دار العز)* كما قام الملك المكرم ببناء دار الحكومة والجامع(بر تر) وهكذا أصبحت جبلة عاصمة للصليحيين منذ عام 480هـ

أحداث التعكر وجبلة :

1 - **في عهد الصليحيين :**

---

(31) حسين الهمداني، المصدر السابق، ص119؛ السروري، المصدر السابق، ص79 ، 85 – 86.

* يسمى هذا الدار عند أهالي مدينة جبلة دار السلطنة وهو نفسه دار العز ذي ألـ (360) غرفة كما يورده المؤرخون وسوف يشير إليه المؤلف لاحقاً (الهامس للدكتور عبدالله الفلاحي).

(32) السروري، المصدر السابق، ص128؛ الفقي، المصدر السابق، ص 158.

انفردت الملكة الصليحية السيدة أروى بالسلطة بعد أن أصيب زوجها بمرض الفالج وأشار عليه الأطباء أن يحتجب عن الناس، فترك ذي جبلة وسكن حصن التعكر بعد أن فوض لزوجته شئون إدارة الدولة إلى أن توفاه الأجل عام 484هـ[33] فطلب الأمير أبو حمير سبأ بن احمد بن المظفر الصليحي الزواج من الملكة أروى، ورفضت الزواج منه إلا أنها اضطرت إلى الموافقة لأن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله أمرها بالزواج. وقيل أن سبأ اجتمع بالملكة أروى ليلة واحدة ثم رحل ، وقال بعضهم إنها أرسلت إليه جارية تشبهها ليلة الزواج، فعرف سبأ ذلك فتركها وبقي في حصنه (اشيح) إلى أن توفي سنة 492هـ[34]. وقد عرف عن الملكة أروى أنها استعفت زوجها المكرم من نفسها وقالت إن أمراة تراد للفراش لا تصلح لتدبير أمر فدعني وما أنا بصدده[35].

وتذكر المصادر عن سيرة الملكة أروى أن أبوي المكرم قد ربياها وكان أبوه علي الصليحي يقول لزوجته أسماء هذه والله كافلة ذرارينا وكان يجلها ويكرمها بما لا يكرم به بناته[36] . وكانت حسب وصف المصادر بيضاء مشربة محمرة، مديدة القامة معتدلة الجسم كاملة المحاسن، جهورية الصوت قارئة كاتبة حافظة الأشعار والأخبار عارفة بالأنساب والتواريخ وأيام العرب، بحيث لقبت باسم (بلقيس الصغرى) نسبة إلى بلقيس ملكة سبأ لرجاحة عقلها وحسن تدبيرها للملك وكانت تفضل في المعرفة على كثير من الملوك[37]

كان لحصن التعكر مكانة خاصة عند الملكة أروى لأنها كانت تقضي الصيف فيه، بمعنى أنه كان مصيفاً لها، إضافة لكونه مقر ذخائر الصليحيين، ولذلك ولأهمية

---

(33) ابن الديبع، قرة العيون، ص 12؛ حسين الهمداني، المصدر السابق، ص137؛ الفقي، المصدر السابق ص158.

(34) ابن الديبع، قرة العيون، ص 192.

(35) المصدر السابق ، ص 187.

(36) ابن الديبع، قرة العيون، ص186.

(37) المصدر السابق، ص187.

حصن التعكر الأمنية والاستراتيجية فقد كان له والٍ خاص به حتى قبل أن تصبح جبلة عاصمة للصليحيين وقد اختطها أول والٍ صليحي على التعكر هو عبد الله الصليحي اخو مؤسس الدولة الصليحية علي بن محمد الصليحي بأمر منه. فلما قتل الوالي عبد الله الصليحي مع أخيه علي بن محمد في المهجم قام السلطان الصليحي المكرم بتعيين ابن عمه اسعد بن عبد الله الصليحي(□ تر) وعندما انتقل المكرم إلى جبلة وجد أن الوالي اسعد الصليحي قد ساءت سمعته ، فنقله من التعكر إلى أحد حصون ريمة وأعمالها وعيّن محله أبا البركات بن الوليد الحميري واليا على حصن التعكر وأعماله. واستمرت ولاية حصن التعكر بعد ذلك وراثية في أسرة أبي البركات(□ تر) ويعود السبب إلى أن أسرة أبي البركات كانت من الزعامات القبلية في مخلاف جعفر التي مالت إلى المذهب الإسماعيلي، وهو مذهب الصليحيين، فنالوا ثقتهم. وقد اعتمد عليهم المكرم في تدعيم نفوذه بمنطقة اليمن الأسفل واستعان بهم في كثير من معاركه الحربية(□ ير)

بعد وفاة المكرم توفي أبو البركات الحميري، فقامت الملكة أروى بتعيين ابنه خالد بن أبي البركات الحميري والياً على حصن التعكر خلفا لوالده(□ ير) وعندما قتل خالد على يد احد أصدقائه عام 480هـ / 1087م عينت الملكة أروى أخاه المفضل بن أبي البركات واليا على حصن التعكر خلفاً له(بر ير)

وبذكر ابن الديبع أن سبب قتل الوالي خالد الحميري في حصن التعكر هو أنه كان لديه صديق من الفقهاء اسمه أبو محمد عبد الله بن أبي جعفر المصوع، وكان ثرياً وله علاقة طيبه بوالي حصن التعكر خالد الحميري فسولت له نفسه قتله،

---

(38) حسين الهمداني، المصدر السابق، ص162.

(39) حسين الهمداني، المصدر السابق، ص 162؛ السروري ، المصدر السابق، ص146.

(40) السروري، المصدر السابق، ص147.

(41) يرد عند ابن الديبع باسم أبو خالد، ص 192.

(42) ابن الديبع، قرة العيون، ص 192؛ السروري، المصدر السابق، ص ص 147 – 148.

خصوصا وأن الوالي خالداً كان يأتمنه ويدخل عليه في أي وقت يشاء، فلما انفرد به قتله ، فصاح الوالي خالد، فجاء أهل الحصن، وعندا رأوا الوالي مقتولا قاموا بقتل الفقيه عبد الله ولم تنفع اغراآته لهم بالمال. (تر ير)

إن هذه الحادثة قد كان لها أثرها في نفس الوالي الجديد لحصن التعكر المفضل بن أبي البركات، فأنتقم لدم أخيه بان صادر أملاك عائلة الفقيه عبد الله وثرواته بذي سفال ووادي ضبأ. من جانب آخر أصبحت للمفضل بن أبي البركات مكانة خاصة لدى الملكة أروى، ويقول المؤرخون إنه نال ثقتها المطلقة وكانت تجله وتحترمه وتكرمه فأصبح من اقرب رجال قصرها إليها وأهمهم. وبالمقابل كان المفضل مخلصاً لها وقاد معارك عدة انتصر فيها لصالحها(ير ير) ويصف المؤرخ الوصابي والي التعكر المفضل بالقول ((كان رجلا مدبراً عاقلا لا تقطع السيدة بأمر إلا به... ولم يكن في أرض اليمن من يساويه ويساميه))(سم ير)

إن تكليف الملكة الحرة أروى للمفضل بقيادة معاركها العسكرية قد جعلته يترك حصن التعكر خلال واجبه في كل معركة ثم يعود إليه عند انتهائها مما دفع مجموعة من الفقهاء وعائلة الفقيه عبد الله إلى الانتقام منه بالتخطيط لاحتلال حصن التعكر وإنهاء سلطة المفضل أبي البركات الحميري عليه وكان لهم ما أرادوا حينما كلفته الملكة أروى بحرب زبيد وحصارها. ففي سنة 503هـ - 1109م، ونتيجة لصراع أولاد جياش على السلطة في تهامة، لجأ مولاهم منصور بن فاتك جياش إلى الملكة أروى يطلب مساعدتها مقابل اعطائها ربع محصول مالية بلاد تهامة ،فكلفت الملكة اروى والي حصن التعكر المفضل بقيادة جيش كبير إلى زبيد، فأناب عنه في الحصن رجلا متدينا اسمه الجمل كانت له علاقات صداقة مع الفقهاء الكارهين للمفضل، فاستغلوا

---

(43) ابن الدبيع، قرة العيون ، ص ص 192 – 193؛ حسين الهمداني، المصدر السابق، ص 162.

(44) حسين الهمداني ، المصدر السابق ، ص ص 163 – 167؛ السروري، المصدر السابق ، ص149.

(45) الوصابي ، تاريخ وصاب ، ص42.

الفرصة، وصعد سبعة منهم إلى حصن التعكر يقودهم إبراهيم بن زيدان الذي بايعوه واليا، فاستولوا على الحصن. وكانت الخطة أن يوقدوا ناراً لإبلاغ بقية الفقهاء وحلفائهم بني الزر الخولاني بنجاح عملية الاستيلاء على الحصن فتقدموا نحو الحصن ليلا ولم يصبح الصباح إلا وكان عشرون ألف رجل عند باب التعكر ، فدخلوا الحصن واستولوا عليه كلية(شمير)

وعندما علم المفضل باستيلاء الفقهاء على حصن التعكر وإعلانهم العصيان على سلطته عاد مسرعا إلى الحصن وطوقه دون أن يتمكن من اقتحامه. وخلال الحصار أراد الفقهاء اغاضته فأخرجوا نساءه على سطوح المنازل في الحصن وألبسوهن أحسن الملابس والزينة وهن ينقرن الدفوف ويغنين قسراً بحيث يسمعهن المفضل ويشاهدهن، وقيل إن المفضل مات في تلك الليلة من الغيظ والألم وغيرته وأنفته، بينما يقول بعضهم إنه امتص خاتما مسموماً كان في إصبعه، وكان ذلك سنة 504 (لهمير)

قررت الملكة أروى أن تحل مشكلة حصن التعكر مع الفقهاء العصاة مباشرة بعد موت المفضل ، فجهزت جيشاً كبيراً وصعدت به من جبلة إلى الحصن وعسكرت في منطقة (الربَّادي) وبدأت بمراسلة الفقهاء والتفاوض معهم لإنهاء عصيانهم وترك الحصن، وقد أسفرت المفاوضات بأن تمنحهم الملكة الأمان وأن يأخذوا الأموال الموجودة في الحصن غنيمة مقابل تخليهم عن الحصن وعودتهم إلى طاعتها وأن تعين هي والياً جديدا للحصن. ولتنفيذ هذا الاتفاق اشترط الفقهاء أن تسحب الملكة جيشها بعيداً عن

---

(46) حسين الهمداني ، المصدر السابق ، ص 164 ؛ السروري، المصدر السابق، ص ص 150 – 151؛ الفقي، المصدر السابق، ص 160.

(47) ابن الديبع، قرة العيون، ص 195؛ حسين الهمداني، المصدر السابق، ص 164؛ السروري، المصدر السابق، ص ص 151 – 152 ؛ الفقي، المصدر السابق، ص 160.

الحصن، على أن يبقى الوالي الجديد معهم لحين نقل غنائمهم من الحصن وخروجهم منه، فوافقت الملكة أروى على ذلك (□ ير)

قامت الملكة أروى بتعيين فتح بن مفتاح واليا على حصن التعكر بعد أن استردت سلطتها عليه من الفقهاء(□ ير). إلا أن ابن مفتاح تمرد وشق عصا الطاعة على الملكة أروى ، فاتبعت أسلوب الخديعة للتخلص منه دون اللجوء إلى القتال لأن حصن التعكر حصين يصعب اقتحامه عسكرياً. فالتجأت إلى بعض قبائل خولان الذين كانوا قد تحالفوا سابقا مع الفقهاء.وتبدأ قصة هؤلاء مع الملكة أروى قبل عصيان ابن مفتاح ،فبعد موت المفضل سيطر بنو مروان بقيادة المسلم بن الزر الخولاني على حصن خدد في جبل حبيش بالقوة، ومع ذلك أعلن المسلم طاعته للملكة السيدة أروى وأرسل ولديه عمران وسليمان رهينة لديها. وعندما توفي المسلم تولي ولده سليمان ولاية حصن خدد، أما أخوه عمران فقد ظل رهينة عند الملكة أروى، ولما أعلن الفتح بن مفتاح عصيانه، خططت الملكة أروى بأن يخطب عمران ابنة فتح بن مفتاح الصليحي والي حصن التعكر الذي خرج عن طاعتها، وفي يوم الزفاف قام هو وأخوه سليمان بالقبض على ابن مفتاح ونقلاه إلى حصن آخر. وأصبح عمران والياً عليه سنة 509هـ / 1115 مع إعلان ولائه للملكة أروى(□سم)

إن إعلان ولاء عمران بن الزر الخولاني للملكة السيدة أروى بعد توليه حصن التعكر لا يشبه قوة ذلك الولاء الذي كان المفضل ملتزما به تجاه الملكة. بل على العكس فإن سيطرة بني الزر الخولاني على الحصن بدا وكأنه حالة ضعف للملكة التي

---

(48) السروري، المصدر السابق، ص 153؛ الفقي، المصدر السابق، ص 164؛ حسين الهمداني ، المصدر السابق، ص 164.

(49) ابن الدبيع، قرة العيون، ص ص 195 – 196؛ حسين الهمداني، المصدر السابق ، ص 164 ؛ الفقي، المصدر السابق، ص 160.

(50) السروري، المصدر السابق، ص ص 153 – 154؛ ابن الدبيع، قرة العيون، ص 196، وهامش الصفحة رقم(2).

استخدمتهم للقضاء على عصيان ابن مفتاح في حصن التعكر مضطرة ليصبح ابنهم عمران الذي كان رهينة لدية والياً على الحصن، وهم الذين وقفوا مع الفقهاء في عصيانهم عليها. وعموما فإن ضعف سيطرة الملكة أروى بعد المفضل بن ابي البركات على حصن التعكر قد كان له أثره في تشجيع الآخرين على التمرد والعصيان مما يوضح اهمية حصن التعكر بالنسبة لمدينة ذي جبلة خاصة ودولة الصليحيين عامة. فقد اعلن الزريعيون في عدن استقلالهم عن سلطة الملكة السيدة أروى وامتنعوا عن دفع الأموال السنوية إليها، مع أنهم حاولوا سابقا عدة مرات ولم يفلحوا، وتذكر المصادر أن الملكة السيدة لم تتمكن من إرسال جيش إليهم لإعادتهم إلى سلطتها بسبب ضعف قوتها واستيلاء الخولانيين على حصن التعكر(□سم) ولذلك طلبت من القائد ابن نجيب الدولة اعادة سلطة الصليحيين على بني زريع في عدن، فخاض معهم معركة كبيرة عام 519هـ / 1125م في منطقة الجؤه قرب الدملوة اسفرت عن هزيمة ابن نجيب وانسحابه إلى الجند، وبقي حصن التعكر تحت سيطرة الخولانيين(برسم). لكن وجود الخولانيين في حصن التعكر لم يدم طويلا، حيث يذكر محمد بن علي الاكوع الحوالي في تحقيقه لمخطوط ابن الديبع أن السيدة أروى استعادت حصن التعكر من الخولانيين بخديعة دون أن يقدم تفاصيلها(ترسم)

ومن الملاحظ أن السنوات الأخيرة من حكم الملكة السيدة أروى لم تشهد أحداثاً مهمة في حصن التعكر، وقبل وفاتها عام 532هـ / 1138م أوصت بحصون دولتها المتبقية وقلاعها إلى منصور بن المفضل بن أبي البركات الحميري وكان منها حصن التعكر ومدينة جبلة. ولما تقدمت به السن ولم يعد باستطاعته حمايتها باعها جميعاً سنة 547 هـ إلى محمد بن سبأ بن أبي السعود الزريعي بمائة الف دينار، فأصبح حصن التعكر ومدينة جبلة من ممتلكاته. وقد سكن ابن سبأ جبلة وتزوج بأمراة منصور بن

---

(51) السروري، المصدر السابق، ص 186.

(52) السروري، المصدر السابق، ص 186.

(53) ابن الديبع، قرة العيون، ص 196، وهامش الصفحة رقم (2).

المفضل الذي كان قد طلقها سنة 548هـ[يرسم] واستمر الحال على ما هو عليه إلى أن غزا بنو مهدي المنطقة. واستولى عبد النبي بن علي بن مهدي على مخلاف جعفر وانتقل إليه حصن التعكر وأمواله ومدينة جبلة وحصن حب ومدينة إب وبعدان سنة 562هـ / 1167م [سمسم].

حصن التعكر وجبلة في العهود الإسلامية اللاحقة:

لم تقدم لنا المصادر أحداثاً مهمة وقعت في حصن التعكر وجبلة بعد انتهاء حكم الملكة السيدة أروى وزوال دولة الصليحيين، خصوصا وأن مدينة جبلة لم تعد عاصمة سياسية، ولذلك يرد ذكر حصن التعكر وجبلة ضمن سياق الأحداث التاريخية في اليمن دون وجود خصوصية كتلك التي كانت عليه أيام الصليحيين.

كان محمد بن سبأ الزريعي الذي توفي سنة 549هـ وخلفة ولده الأمير عمران الذي في زمانه استولى عبد النبي بن مهدي على حصن التعكر وجبلة، ولكنّ الزريعيين تحالفوا مع بعض القبائل وطردوا آل مهدي من مخلاف جعفر عام 569هـ واستعادوا حصن التعكر وجبلة[شمسم]

انتهت سلطة الزريعيين على حصن التعكر وجبلة بمجيئ الايوبيين الذين قضوا على دولة الزريعيين. ففي يوم الثلاثاء 23 ذي الحجة 569هـ / يوليو 1174م استولى توران شاه الأيوبي على حصن التعكر وجبلة، وتذكر بعض المصادر أنه تسلمه دون قتال، وبايعه أهل جبلة وأقام فيها عده أيام. وعندما غادر توران شاة اليمن عام 571هـ عين

---

(54) السروري، المصدر السابق ، ص 193؛ الحداد، التاريخ العام، ج2، ص ص 300 – 301 ؛ حسين الهمداني، المصدر السابق، ص 241؛ الفقي، المصدر السابق، ص 163.

(55) حسين الهمداني ، المصدر السابق، ص 241؛ الفقي، المصدر السابق، ص 170؛ السروري، المصدر السابق، ص ص 252 – 253.

(56) الحداد، التاريخ العام، ج2، ص 303؛ السروري، المصدر السابق، ص ص 252 – 253.

(مظفر الدين قايماز) واليا على حصن التعكر وجبلة وأعمالها[57]. وكان قايماز ضعيفا فعجز عن ضبط منطقته ، فاستغل عثمان الزنجيلي الأمر واستولى على أملاك مظفر الدين قايماز بما فيها حصن التعكر. وعندما جهز صلاح الدين الأيوبي حملة بقيادة أخيه الطغتكين لاستعادة السيطرة التامة على اليمن، هرب الزنجيلي، فأرسل الطغتكين مملوكه أيليا الذي تسلم الحصن من الأمير عمر بن علي أخي عثمان الزنجيلي[58]، علما أن الفقي في كتابه اليمن في ظلال الإسلام يقول إن الطغتكين جدد حصن التعكر بعد أن هدمة[59]، ولكن لا توجد لدينا مؤشرات إلى وقوع هذا الهدم خصوصا وأنه قد تسلمه بدون قتال.

وبعد وفاة الطغتكين تسلم السلطة من بعده ابنه المعز إسماعيل الأيوبي بعد أن أعلنت القوى الأيوبية الولاء له، فسار إلى ذي جبلة في 24 ذي الحجة عام 593هـ/ 1197م وتسلم حصن التعكر فيها[60] واستمر تحت سلطتهم.

وعندما زال حكم الايوبيين وجاء الرسوليون من بعدهم حرصوا على السيطرة على حصن التعكر، وكان ذلك سنة 637هـ، وفي صراعهم مع الإمامية نهب الأمامية جبلة عام 787هـ / 1385م أيام حكم الاشرف الثاني الرسولي ،علماً أن هناك إشارات تقول إن جبلة نهبتها القبائل المتصارعة قبل هذا التاريخ بسبب تدهور الحالة الأمنية نتيجة التنافس على السلطة بين امراء بني رسول مما أضعفهم، وذلك في زمن المجاهد ابن المؤيد الرسولي، أي قبل حوالي نصف قرن من نهب الإمامية لها. ويصف ابن عبد المجيد في كتابه بهجة الزمن ص 118 الأحوال المضطربة في مخلاف جعفر وغيره ، ويقول عن جبلة إن رؤساء القبائل وأتباعهم ((ملكوا أملاك الملوك، ونهبوا مدينة جبلة

---

(57) عبد العال، الايوبيون، ص ص 65 ، 103؛ السروري، المصدر السابق، ص268؛ الحداد، تاريخ اليمن، ج3، ص ص 11-13.

(58) الخزرجي، العسجد، الورقة 156 ، 159؛ عبد العال الايوبيون، ص ص 123 ، 124؛ الحداد، التاريخ العام ج3، ص20.

(59) الفقي، المصدر السابق، ص213.

(60) السروري، المصدر السابق، ص301.

واخذوا ما بها حتى حصر الجامع))[□شم]. وفي سنة 791هـ رمضان/ أغسطس 132م اتخذ الأشرف الثاني مدينةجبلة منطلقا لحشوده لمطاردة الإمام وقواته التي اضطرت إلى الانسحاب إلى ذمار مهزومة أمام الرسوليين[برشم]

أما في عهد الطاهريين فأخبار التعكر قليلة كما هي في عهد الرسوليين ، وتوجد إشارة إلى أن السلطان الطاهري عامر بن داود في صراعة مع الإمامية تحصن في حصن التعكر، لكنه تركه عندما تحول الإمام المطهر شرف الدين بقواته إلى بلاد إبّ، حيث غادر إلى عدن واعتصم فيها[ترشم] وأصبح التعكر للإمامية.

وعندما أصبحت اليمن تحت حكم المماليك الذين أعلنوا ولاءهم للعثمانيين بعد سقوط دولتهم في مصر على يد السلطان العثماني سليم الأول عام 1517م، وخلال المدة بين إعلان هذا الولاء وحتى احتلال سليمان الخادم لليمن عام 1538م شهدت اليمن اضطرابات وتدهورا في أوضاعها بسبب الصراع بين الإمامية انفسهم وبينهم وبين المماليك وبقايا الطاهريين والقبائل، ولذلك تعرضت زبيد وإبّ وجبلة إلى النهب عام 932هـ / 1526م حيث نهب جبلة الأمير سلمان بعد انتصاره على خصمه مصطفى بك . ويذكر النهزوالي أن الأمير سلمان وعسكره نهبوا من إب وجبلة ((أموالا عظيمة))[يرشم]

حصن التعكر وجبلة في التاريخ الحديث:

يعد عهدا الاحتلال العثماني لليمن وظهور القوة الامامية الزيدية من آل شرف الدين والقاسميين ، من أهم مظاهر اليمن في التاريخ الحديث. ومن الملاحظ أن حصن تعكر وجبلة لم يشهدا أحداثا مهمة وبارزه ومؤثرة خلال هذه المدة كتلك التي شهدتها

---

(61) عبد العال، الرسوليين والطاهريين ، ص190.

(62) الخزرجي،العقود اللؤلؤية، ج1، ص53؛عبد العال،الرسوليين والطاهريين، ص ص 220–222.

(63) شرف الدين، روح الروح، ص ص 101 – 102؛ الحداد، التاريخ العام، ج4، ص33.

(64) النهزوالي، البرق اليماني، ص 50.

مدينة إبّ وحصن حب والتي تناولناها في الفصلين السابقين، بل إن أحداث جبلة قد جاءت في بعض الأحيان نتيجة لما كان يخطط له ويحدث في إبّ ، وحب ولأن أحداث التعكر وجبلة لم تحتو على تفاصيل واسعة فإننا سنتناولها هنا بنقاط وفق التسلسل التاريخي:

1 - في المدة الأولى من تقدم العثمانيين خلال فتحهم الأول لليمن بقيادة سليمان الخادم لعبت عوامل عديدة دورهما في مساعدة العثمانيين في السيطرة على مناطق التعكر وجبلة وإبّ والعدين ويأتي في مقدمتها ضعف حكم الإمامية من آل شرف الدين في هذه المنطقة وتفوق العثمانيين العسكري، مما شجع على إعلان بعض القبائل تمردهم على الإمامية عند تقدم العثمانيين إلى تعز. وكان منها ثورة أهالي التعكر على واليهم وطردهم له من مدينتهم جبلة[سمشم]

2 - في مدة صراع الإمام المطهر مع الوالي العثماني مراد باشا، زحف مراد باشا من تعز لفك الحصار عن صنعاء ولكنه عجز عن مواصلة تقدمه بسبب الانتفاضات التي قامت ضده في المناطق الواقعة بين ذمار وتعز عام 974هـ / 1567م ومنها إنتفاضة إبّ التي تناولناها سابقا[شمشم]، حين طردوا الحامية التركية، وقد شارك بعض أهل التعكر في هذه الانتفاضة إلا أن أهالي جبلة ترددوا ولم يشاركوا في البداية فتقهقر الجنود الأتراك إلى مدينة جبلة في مطلع ذي الحجة من عام 974هـ / 1567م. وفي اليوم التالي اجتمع حوالي خمسة عشر الف مقاتل من أهالي إبّ وبعدان والشوافي وحبيش وهاجموا جبلة، فانظم إليهم أهلها وحاربوا الجنود الأتراك الموجودين فيها فهزموهم. ويتحدث مؤرخ الأتراك العثمانيين النهزوالي عن هزيمتهم في جبلة ويعللها بالقول إن الجنود الأتراك انهزموا لقلتهم ولأن أهل جبلة انقلبوا عليهم مع أنهم كانوا واثقين بهم، ويضيف عن أهل جبلة:

---

(65) سيد مصطفى سالم، الفتح العثماني الأول لليمن 1538 – 1635، القاهرة، 1999، ص185.

(66) انظر موضوع إب في العهد العثماني، الفصل الثاني.

((ولولا مخامرتهم ما تمكن الخوارج من دخول جبلة، لأن كل بيت من بيوتها كالحصن الشاهق، ولكن مال بهم قاضي عبقرة، وغرهم بقوله: إنه لم يبق للأروام دولة، وقد انقرضت دولتهم. والرعايا يميلون إلى قوله لكونهم يتهمونه بعلم النجوم، وهو أجهل من حمار، ولكن أراد الله ذلك ..... ولما دخلوا جبلة نهبوا بيوت العسكر))[لهشم]

ويستمر النهزوالي في الوصف فيقول أن بيت قاضي جبلة محب الدين بن علاء الدين الحنفي وهو صديق عزيز عليه قد نهب ونجا هو بهروبه إلى زبيد. ثم يستمر النهزوالي برواية ما حدث بعد ذلك للجنود الاتراك فيقول

((ولما رأى العسكر الغلب دخلوا في الدار، والتجأوا إليه، فحوصروا وقطع عنهم الماء ، فتعب العسكر وطلبوا الصلح، فوقع بينهم الصلح، على أن يحلف العسكر جميعهم أنهم لا يسألون عما وقع ولا يطالبون أحدا بما أخذ من حوائجهم، وأن يحلف من العربان نحو خمسين شخصا أنهم لا يضرون العسكر ويوصلونهم إلى تعز بشرط أن لا يحملوا شيئا من السلاح والحوائج غير ثيابهم التي على أبدانهم، وأذنوا لأربعة أن يأخذ كل واحد منهم بغلة فوافقهم العسكر على جميع ما اقترحوه ودخل بينهم الشيخ أحمد بن سالم، وحلف العسكر وحلف النقباء، وتم ذلك عصر يوم الأحد ثاني عشر ذي الحجة [974هـ ، 1567م] فلما كان صبح الاثنين خرج العسكر من الدار على ما كانوا اشترطوا عليهم، وعدتهم مائتان واثنان وسبعون رجلاً فلما خرجوا إلى البر خرجت عليهم العربان وقالوا: هي مواثيق محمودية، فنغدر بهم كما غدروا بالنظارى، فقتلوهم عن بكرة أبيهم، ولم يبق منهم إلا غلامان، فرجعوا وضبطوا خيل العسكر وجمالها ودوابها وبغالها وأسبابها ،وقسم بينهم القاضي عبقرة))[□شم]

---

(67) النهزوالي، المصدر السابق، ص ص 177 – 178.

(68) النهزوالي، البرق اليماني، ص ص 178 – 179.

ويستمر النهزوالي بالقول إن هزيمة الاتراك العثمانيين في إبّ وجبلة أثر الانتفاضة قد شجعت بقية المناطق على العصيان وقطع الطرق فكانت هزيمة مراد باشا في إبّ وجبلة بداية الطريق لهزائم متلاحقة أدت إلى مقتله في المضرح في الطريق بعد وادي خبان[شم] وكانت نتيجة هذا الصراع تقلص نفوذ العثمانيين في اليمن منحصراً في منطقة تهامةو سيادة نفوذ شرف الدين بقيادة الإمام المطهر الذي دخل صنعاء في الخامس من صفر عام 975هـ / 1568م. ولما استقر فيها أعطى ولده الهادي حصن التعكر، وأعطى ولده لطف الله مملكة بعدان[ته]

3 - عندما قرر العثمانيون إعادة احتلال اليمن بعد مقتل الوالي مراد باشا وسيطرة الإمام المطهر عليها، أرسلوا حملة بقيادة الوزير سنان عام 976/1568م وقد تقدم بقواته إلى المناطق الجبلية في اليمن الأسفل بعد أن أعاد احتلال تعز وعدن. وعندما علم الإمام المطهر بتقدم القوات العثمانية ووصولها إلى زبيد كتب إلى محمد بن شمس الدين يأمره بالانتقال إلى التعكر لأن قتال جموع العثمانيين في مكانه لن يؤدي إلى النصر، ولكن محمد بن شمس الدين لم يغادر إلى التعكر فخسر معركته في حصن القاهرة بتعز وانسحب إلى النجد الأحمر، (من أعمال السياني حالياً) وهو مرتفع جبلي يقع جنوب مدينة إب على الطريق المؤدية إلى تعز، وكان من أعمال التعكر[ته]

انتقل الوزير سنان بقواته بعد انتصاره على قوات الإمام المطهر إلى القاعدة شمال تعز ووصلها في 27 ذي القعدة من عام 976هـ / 1569م ليقرر أي الطرق يختارها في تقدمه نحو صنعاء لإخراج الإمام المطهر منهاو السيطرة عليها. في الوقت نفسه قامت قوات المطهر بوضع العوائق والعراقيل في الطرق التي اعتقدوا أن الوزير سنان باشا

---

(69) المصدر السابق، ص ص 180 – 181.

(70) المصدر السابق، ص 185.

(71) شرف الدين، روح الروح، ص ص 171 – 172.

سيسلكها في تقدمه نحو صنعاء، فأغرقوا بعضها بالمياه والأوحال والبعض الآخر بالصخور الكبيرة والأحجار[72]

كان إمام الوزير سنان باشا ثلاث طرق إلى صنعاء وكان عليه اختيار واحد منها الأول نقيل احمر وهو طريق بين جبال شاهقة لا يطرقه احد لصعوبته ووعورته مما يصعب فيه مرور المدافع والمعدات، والطريق الثاني هو وادي سحبان وهو طريق ملتو جدا تكثر فيه الأوحال والمرتفعات وأكثر صعوبة من الطريق الأول، أما الطريق الثالث فهو طريق وادي ميتم وهوطريق سهل يمكن ان تسلكه القوة المدفعية ولا تطل عليه الجبال مثل الطريقين السابقين. فقرر الوزير سنان اختيار الطريق الثالث على الرغم من طول مسافته وهو ما لم يتوقعه قادة الإمام المطهر، إذا تصوروا أنه سيسلك طريق نقيل احمر أو طريق وادي سحبان مما سيمكنهم من حصر القوات العثمانية في المضايق بين الجبال ومهاجمتها من أعاليها بعد ان وضعوا العوائق فيها[73]

كان هدف الوزير سنان باشا السيطرة على جبلة والتعكر وإب وحصن حب قبل تقدمة إلى صنعاء، فبدأ مسيرته متقدما نحو جبلة والتعكر فتحرك من القاعدة في يوم عرفة العاشر من ذي الحجة ونزل مع قواته في مكان يقال له العليق لحين التحاق المدفعيه بهم، حيث ساروا إلى وادي ميتم وأقاموا صلاة عيد الأضحى فيه. وقد وصف النهزوالي هذا الوادي بالقول إنه ((وادٍ فسيح معتدل الهواء والريح واسع الاكتاف متسع الاطراف))[74]. ثم تحركوا في اليوم التالي إلى مسجد القاعدة بالقرب من ضريح الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري ونزلوا فيه وقد تعرضت لهم بعض القوات المعادية في الجبال فدحروها[75]

---

(72) النهزوالي، البرق اليماني، ص ص 246 – 247 ، 261.

(73) النهزوالي، البرق اليماني، ص ص 247 – 248 ، 256.

(74) المصدر السابق، ص 257

(75) النهزوالي، البرق اليماني، ص ص 257 – 258.

في وادي ميتم كان هناك طريقان إلى حصن التعكر طريق كله مزارع بين جبلين مستطيلين وطريق آخر بعيد فيه تعرجات واستدارات كثيرة وكلاهما يصل إلى الحصن. ولما كان الطريق الأول خطيراً لأن قوات المطهر كانت تترصدهم في أعالي الجبال وقد أطلقت المياه في الطريق فأصبح موحلاً، فقد اختار سنان باشا السير في الطريق الثاني على الرغم من طول مسافته وبُعده(شه ﷺ). ومع ذلك فقد هاجمته قوات المطهر في الطريق ولولا المدفعية الثقيلة التي يمتلكها العثمانيون لما تمكنوا منهم، فقد خسر سنان باشا عدداً من رجالاته في المعركة التي دارت رحاها في العشرين من ذي الحجة سنة 976هـ / 1569م ولكنه انتصر فيها(ﷺ) ومن الملاحظ أن الوزير سنان لم يتوجه إلى جبلة بعد هذه المعركة بل اختار موضعا بين جبلة وحصن التعكر وأقام فيه مع قواته، فجاءته القبائل تقدم الولاء والطاعة ومنهم اهل جبلة أما الذين قرروا المقاومة والقتال من قوات الإمام المطهر فقد تحصنوا في حصن التعكر، فقام الوزير بتطويق قمة جبل التعكر التي وصفها النهزوالي بالقول:((وإذا به من أعلى الجبال تنقطع دونه مطامح الآمال ولا يصل إلى ذروته إلا من علت همته من الرجال))(□ ﷺ)

رسم الوزير سنان خطة عسكرية لإسقاط حصن التعكر وذلك باستغلال ثلاثة أبراج مهدمة تقع على قمم تطل على الحصن حيث أرسل إليها رجاله ومدفعيته ليلاً كي يحتلوها ويقوموا بالرمي منها على الحصن أثناء الهجوم ليشغلوا القوات الموجودة في الحصن عن قوات سنان باشا التي أحاطت بالقمة التي يقع عليها الحصن من أسفلها وخلال المعركة استخدمت القوات العثمانية سلالم طويلة تسلقوا بها إلى الحصن وحاصروه، فاضطرت قوات الإمام المطهر الموجودة في الحصن إلى طلب الأمان بعد حصار دام خمسة أيام، وبعكس محمود باشا كان الوزير سنان صادقا في أمانته حيث سمح للجميع الخروج من الحصن واحدا واحدا دون سلاح والتوجه إينما يريدون دون أن يغدر

---

(76) المصدر السابق، ص 261.

(77) المصدر السابق، ص ص 262 – 264.

(78) النهزوالي، البرق اليماني، ص 267.

بهم، وكان ذلك في ذي الحجة سنة 976هـ / 1569م. ثم وضع الوزير سنان باشا في حصن التعكر قوة عسكرية يقودها (دزدار) أي رئيس للحراس ومناوبون للحراسة، وعززها بالمدافع والسلاح والذخيرة[79] فكانت هذه المعركة مفتاح الطريق إلى مدينة إبّ وحصن حب واللذين خاض فيهما العثمانيون معارك حاسمة تناولناها في الفصلين السابقين.

4 - في أواخر الحكم العثماني الأول لليمن، وخلال ولاية فضل الله باشا (1030 – 1033هـ / 1621 – 1624م) كان يسيطر على جبلة ومنذ خمسين عاما أمير عربي حسبما ذكرت رسالة احد المسئولين في المحطة التجارية الهولندية في المخا والتي كتبت في آب – أغسطس 1623. لكن الرسالة لم تذكر اسم الأمير وفيما إذا كان مستقلا أم يتبع سلطة ما، إلا أننا نعرف أن هذه المدة قد شهدت اضطرابات وتداعيات بسبب الفساد الإداري العثماني بعد استقرار دام ربع قرن تقريبا ،ولما كان هذا الأمير العربي ندا للعثمانيين فيبدو أن قوته كانت مستمده من مساندة القبائل له في المنطقة، يقابل ذلك ضعف السلطة العثمانية وتنامي قوة الإمامية من القاسميين الذين تمكنوا من دخول صنعاء لاحقاً عام 1038هـ / 1629م.

تقول الرسالة إنه في عام 1622 توفي أمير جبلة دافع الإتاوة إلى الأتراك والذي لم يكن يهاجمهم وإنما على العكس كان الأتراك يهابونه لأنه كان بمقدوره أن يحشد قوة عسكرية خلال يوم واحد يزيد عددها على مائة الف مقاتل مزودين بالسلاح. ولذلك وعندما توفي أمير جبلة حضر الوالي فضل الله باشا إلى جبلة وصادر كل ممتلكات الأمير المتوفى بالإضافة إلى استيلائه على كمية لا تعد ولا تحصى من النقود كانت مدفونة في أماكن مختلفة تحت الأرض. كما قام الوالي فضل الله بجلد ابن الأمير المتوفى وتعذيبه. وتوضح الرسالة أن الأمير المتوفى الذي حكم جبلة لمدة تقارب الخمسين سنة قد كان دخله اليومي من هذه المدينة وحدها يزيد على الالفي قطعة ذات الثمانية

---

(79) المصدر السابق، ص ص 267 – 268.

ريالات، هذا عدا عن دخله من بعض الأماكن الأخرى المجاورة التي كان له الحق في حصوله على الأموال منها(□□)

5 - في أيام حكم القاسميين، وهي مدة الاستقلال عن العثمانيين لحين عودتهم عام 1872م وقعت بعض الأحداث التي شملت جبلة إلا أنها لم تكن أساسية. ففي السنة التي توفي فيها المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم المنصور 1087هـ / 1676م ووقع الصراع بين الطامحين في السلطة من القاسميين، نهب أصحاب المتوكل سوق جبلة وانقطعت الطريق بين إبّ وجبلة إلى سمارة(□□)

لقد توارث القاسميون الصراع فيما بينهم وقد ظهر واضحاً عندما توفي المؤيد الصغير وحل محله محمد بن أحمد المعروف بذي الألقاب الثلاثة، فكانت أول اعماله الاسراع في ضم المناطق المضطربة الخطرة وهي منطقة إبّ وجبلة وما حولهما، وكان شرف الإسلام الحسين بن علي بن المتوكل نائبا عن أبيه في جبلة قبل استلام ذي الألقاب الثلاثة للحكم، فقام هذا الأخير بتجهيز حملة بقيادة ولده عبد الله وصنوه إبراهيم بن المهدي وهاجموا حسين بن المتوكل فهرب من جبلة وأصبحت تحت سلطة ذي الألقاب الثلاثة ،بينما دخل ولده عبد الله مدينة إبّ منتصرا عام 1097هـ / 1686م(بر□). كما عاشت مدينة جبلة عام 1149هـ/ 1740م حالة الصراع بين السلطان المنصور في صنعاء وأخيه السلطان احمد في تعز ومخاليفها، وسيطر على مدينة جبلة وإبّ عبد الله بن طالب بن المهدي باسم السلطان احمد ولم تحل المشكلة إلا بعد أن تم فض النزاع بين الأخوين المنصور واحمد(تر□)

---

(80) براور، المصدر السابق ، ص ص 158 – 159.

(81) حسام الدين محسن بن محمد ابو طالب، تاريخ اليمن، عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول من سنة 1056هـ ، تحقيق عبد الله الحبشي ، صنعاء، 1990م، ج1، ص154.

(82) العمري، المصدر السابق، ص 84؛ أبو طالب ، المصدر السابق، ج2، ص ص 203 – 204.

(83) انظر نهاية موضوع فاجعة إب في حرب يافع في الفصل الثاني.

وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر في عام 1838م اتخذ الإمام الناصر عبد الله بن حسن القاسمي مدينة جبلة مركزاً لخوض معركة مع قوات محمد علي باشا في اليمن لكنه خسرها فترك جبلة متراجعا إلى مدينة إبّ[84]

أما خلال الحرب العالمة الأولى فقد حاولت الدولة العثمانية والإنكليز في بداية الحرب اجتذاب الإمام القاسمي إلى جانبه ولكن الأخير آثر موقف الحياد. ومع قيام الحرب أرسل الأتراك العثمانيون جيشا بقيادة اللواء سعيد باشا للاستيلاء على سلطنة لحج وعدن لإخراج الإنكليز منها، وقد قاتل معهم عدد من القبائل ومنها قبائل إبّ وجبلة والعدين وهاجموا مدينة لحج وانتصروا على الحامية الإنكليزية واحتلوا مدينة الحوطة عاصمة السلطنة يوم 5 يوليو 1915 ولكنهم لم يتمكنوا من التقدم نحو عدن[85]

بقايا حصن التعكر وآثار جبلة :

ان آثارمدينة جبلة تتمثل بقصر الملكة أروى والجامع المجاور له والجامع الكبير الذي يحتوي ضريحها أو قبرها .اما حصن التعكر فلم يتبق منه سوى المدافن والبرك.

وقد تسنى لنا زيارة المكانين : ففي اعلى مدينة جبلة يقع قصر الملكة السيدة اروى وقد تهدمت حافاته العليا وخصوصا جداره الغربي ،ولم نتمكن من دخوله لأن الباب أغلقته سلطات الاثار بعد ان أخلي القصر من السكان الذين احتلوه .القصر الاثري يطل على واد جميل ،وبجانب القصر منارة جميلة لجامع بني بجانبه وهي تجاور الجدار المهدم للقصر. يقول السكان إن القصر كان أوسع من هذه البناية لان فيه 360 غرفة

(84) انظر موضوع إب خلال غزو محمد علي باشا لليمن في الفصل الثاني.
(85) احمد فخري، اليمن ماضيها وحاضرها بيروت 1988 ، ص ص 212 – 213.

نوم .كانت الملكة تنام كل ليلة في غرفة ..وحول القصر بيوت كثيرة ربما كانت للعائلة والحاشية والخدم والحرس .يقول حسين الهمداني إن هذه الدار هي دار العز الثانية الكبيرة التي بنيت بأمر الملكة عام 481ه .ولم نجد الدار الاولى،إن السوال الذي يطرح نفسه هو اين البلاط الذي كانت تجلس فيه الملكة لتستقبل وزراءها وضيوفها ؟ ان القصر لايمكن ان يكون مجرد غرف نوم، ولعل دار الحكم كان غير دار العز.

بعد ان غادرنا مكان القصر ،وبصحبتنا مدير مكتبة جبلة الاخ ياسر نعمان علي، تجولنا في ازقة المدينة الضيقة الممتلئة بالدكاكين واماكن بيع القات ،وصلنا الجامع الكبير الذي ابتنته الملكة السيدة اروى ، وعندما تدخله تجد امامك ساحة واسعة تحيط بها طارمة مسقفة تطل على الساحة من خلال عقود مقوسة تحملها اعمدة .ويوجد في زاوية الساحة اليمنى عند الدخول حوض مسقف يطلق عليه (السقاية) وامامه بركة ماء.وتتزود السقاية بالماء من عيون في جبل التعكر تجري في سواقٍ مبنية ثم في انابيب حديدية للمياه تسمى(القصب) تصب المياه في خزان كبير خارج الجامع يقع بجانبه ،ثم يدخل الماء عبر انابيب الى سقاية الجامع .وتنتصب في اعلى الزاوية التي تقع فيها السقاية منارة بيضاء يقال إنها بنيت زمن الملكة السيدة أروى ،تقابلهافي الزاوية المقابلة من جهة اليمين ايضا منارة اخرى مزخرفة وملونة يقال إن عبدالله باسلامة بناها في وقت متأخر.

والى يسار ساحة الجامع يقع المصلى وفيه قبر الملكة السيدة أروى ،حيث تؤكد بعض المصادر انها قد دفنت فيه، ويقع في الزاوية اليسرى من المصلى عند الدخول اليه وبموازاة المحراب . إن بناية القبر على شكل مربع وفي داخلها قبر أبيض. وقد كتبت في أعلى البناية الاية القرآنية التي تبدأ(بسم الله الرحمن الرحيم كل نفس ذائقة الموت)بخط النسخ وكررت تحتها بالخط ألكوفي .كما كتبت أيضا على الباب الخشبي للبناية ..وقد لاحظت ان الناس يجلسون عند القبر او الضريح يقرؤون القران الكريم.

اما عن سقف المصلى المبني من الخشب فقد تم تجديد بعضه عام 1308 هـ بينما ما زال القسم الاخر من السقف الذي يغطي جهة المحراب قديما لم يجدد .ويقول اهل

الجامع إنه يعود الى زمن الملكة السيدة أروى ،وهو مبني بخشب مستورد من خارج اليمن (ويقال أنها من الهند) ،ونقشت على كل جزء منه النجمة الثمانية ،وربما كان النقاشون او الرسامون قد جُلبوا من مصر ، خصوصا وأن الصليحيين كانوا يتبعون الفاطميين في مصر. وتلتصق بالمصلى من خارجه بنايات مهدمة كانت سكنا للطلاب الدارسين في الجامع ولها مدخل خاص بها ومنفذ للمصلى .

هناك كثير من القصص والحكايات التي يرويها لك بعض الناس عن الملكة والجامع ،وكانت البداية عندما أخذني أحدهم من المهتمين باستقبال الزوار ،الى أحد الاعمدة المطلة على ساحة الجامع وكان العمود مضلعا ،ليقول لي إنه خاص بحساب أوقات الصلاة من خلال أشعة الشمس الساقطة عليه .وعندما كنت عند قبر الملكة أروى جاءني شخص وقال لي إن الله سبحانه وتعالى قد منحه إمكانية الاحساس بوجود زائر في الجامع ،وهناك من يناديه في أذنه بوجود الزائر .وعلمت أنه المسؤول عن مخزن المخطوطات المجاور للضريح في الجامع ،وهو ينتفع من الزوار ماديا .وعندما أدخلني الى المخزن ليطلعني على مخطوطات يفترض حسب كلامه أنها تعود لزمن الملكة أروى ، لم اجد سوى مخطوطات قرآنية تعود للقرن التاسع عشر ايام العثمانيين .وعندما أوضحت له ذلك قال انه لا يعلم فقد توارث المعلومة عن أجداده.

بعد ذلك جاءني المسؤول عن المسبحة الخشبية للملكة السيدة أروى ذات الالف خرزة ، وأخذني الى غرفة صغيرة في المصلى لأراها .وقد وجدتها وكأنها حديثة العهد،ربما تعود الى قرن من الزمن وليس تسعة قرون ،فقد ماتت الملكة السيدة أروى قبل 895 سنة من يومنا هذا .

إن هذه الظاهرة لها ما يبررها فهناك العديد من السواح الاوربيين يزورون آثار الملكة السيدة أروى ،بل ان افواجا من المسلمين الاسماعيليين من الباكستان والهند وغيرها يزورون قبر الملكة السيدة أروى ،ولذلك اصبحت السياحة مصدر رزق لأهل المنطقة .فعند بداية الطريق الصاعد الى قصر الملكة تجد تجمعا للعديد من الشباب المستعد لمرافقتك وشرح معلومات كاملة عن القصر والملكة ، ولم تكن بي حاجة اليهم

لان الأخ ياسر نعمان مدير مكتبة جبلة كان برفقتي .إن هناك فتيات صغيرات لا تتجاوز اعمارهن العاشرة قد حفضن معلومات وقصصاً عن الموضوع ومنهن الطفلة زهراء .

عند مغادرتنا الجامع الكبير في جبلة كان زقاق السوق مكتضا بباعة القات ،فوجدنا صعوبة في السير فيه .إلى أن وصلنا إلى متحف الملكة أروى الذي زرته في البداية ،ولاتوجد فيه أية معروضات ذات اهمية اللهم سوى قطعتين من النقود الذهبية تعودان لزمن الملك المكرم زوج الملكة مسكوكة في عدن والثانية للملكة السيدة أروى نفسها . المتحف تم إنشاؤه بجهد شخصي وفيه شرح مفصل لتاريخ الملكة السيدة أروى بالعربية والانكليزية .وكان أولاد صاحب المتحف يشرحون بلباقة عن تاريخ هذه الملكة التي حكمت 52 اثنين وخمسين عاما وماتت عن عمر يناهز الثامنة والثمانين ،علما أن معلومات المتحف تشير الى أنها عاشت 93 سنة لانها ولدت عام 440 هـ ،بينما يقول ابن الديبع أنها ولدت عام 444 هـ

وعندما بدأنا بمغادرة جبلة شاهدنا على يمين الطريق جامع القبة،حيث إن قبته كبيرة قياسا بالجوامع الاخرى وتسمى قبة الشيخ يعقوب ربما أنه من بناها أو خوَّل بناءها ،وفيه منارة جميلة .ويقول السكان أن النجمات السداسية الظاهرة على ما يحيط بقاعدة القبة هي بفعل البنائين اليهود.

الصعود إلى القمة :

إن المعلومات التأريخية القيمة ، وما فيها من تفاصيل غنية أخرى قد دفعتنا إلى زيارة حصن التعكر ايضا الذي يطل من بعيد على مدينة إب من جنوبها بضخامته وقممه ، وكنا نتصور في البداية أن الطريق من مدينة جبلة (التي تقع في قاعدة سفحة الشمالي) إلى الحصن ليست ببعيدة ، لكنها كانت في الحقيقة صعبة ومسلكاً وعراً . لقد نظم لنا هذه الرحلة العلمية الشيقة الأخ ياسر نعمان مدير مكتبة جبلة بصحبة رئيس الجمعية التأريخية في جبلة الأخ / عبد الوهاب محمد الخديري . بدأنا الرحلة الساعة التاسعة من صباح يوم الأحد الموافق 26 سبتمبر / أيلول 2004 م (وهو يوم

عطلة رسمية في اليمن بمناسبة عيد الثورة اليمنية عام 1962 م) كانت بداية الرحلة من جبلة بإتجاه سوق الفجرة شبان ، هذه القرية الصغيرة التي تقع على الطريق المسفلت إلى تعز وهي في الوقت نفسه بداية طريق الصعود غير المسفلت على سفح جبل التعكر .. إنها منطقة خضراء تزدحم بالمنتوجات الزراعية من فواكة وخضروات . وبعد مسير غير قصير بسيارة (اللاندكروز) أو كما يسميها الأشقاء اليمنيون (الصالون) وصلنا صعودا الى قرية (السرايم)ثم سرنا بطريق وعر لنمر بجانب قرية(السَّلمَ) ثم (حَرَابَة) ثم قرية(الشَّياذع)في عزلة المكتب،وهذه العزلة تضم عدة قرى منها الشياذع وعرشان والضهابي وغيرها. لقد استغرق صعودنا بالسيارة حوالي ساعة ونصف وبسرعة لاتتجاوز خمسة وعشرين كيلو مترا في الساعة ،ونحن لم نصل بعد الى الحصن ،لقد وجد السائق أنه من الصعوبة عليه الاستمراربسيارته الى الحصن لرداءة الطريق ،فاضطررنا الى النزول والسير على اقدامنا لمدة ساعة تقريبا الى ان وصلنا إلى القمة التي شيد عليها الحصن . لقد كان المسير ممتعا لكنه متعبا ،فالمنطقة التي مشيناها على الاقدام صعودا الى قمة الحصن رأيناها مليئة بالأعشاب والحشائش البرية ، إضافة إلى زراعتها بالحنطة والقلا (الباقلاء) والبطاطة والبصل مع غياب زراعة القات في المنقطة ، ونظرنا لأهمية المنطقة الزراعية هذه قامت شركة ألمانية بالتعاون مع الدولة بإصلاح جزء من الطريق القريب من الشياذع ويكون تبليط الطريق بالحجر المنحوت المتراصف مع بعضه المتماسك بفعل مادة النورة والقضاض. وقد لاحظت أن هذه الطريقة في التبليط هي نفسها التي كانت متبعة منذ القدم حيث أن الطريق إلى القمة والحصن توجد فيه بقايا أحجار منحوتة متماسكة مع بعضها بواسطة القضاض، وتظهر هذه الأحجار من حين لأخر بين الحشائش التي نبتت بين شقوقها على مر الزمن والتي تغطي الطريق المؤدي إلى القمة والحصن .

بعد ساعتين ونصف الساعة من الصعود على جبل التعكر بالسيارة وعلى الأرجل وصلنا إلى قمة التعكر ، ووجدناها قمة واسعة وكبيرة تنتصب على أرضها أربع قمم ، أكبرها وأوسعها وأعلاها القمة التي بني عليها حصن التعكر ، وهي التي تستوجب التوضيح حيث إنها على شكل جسم مستطيل صلب يظهر واضحاً من بعيد عند النظر

إلى جبل التعكر من مدينة إبّ وهذه القمة هي أكبر القمم الأربع التي يتميز بها جبل التعكر .

إن قمة حصن التعكر هذه كانت محاطة في قاعدتها بسور حجري له منفذ واحد من جهة الشمال مازالت بقاياه موجودة ، وكأنه كان بابا يغلق لحماية قمة التعكر وحصنها، ومن المؤسف حقا أن الفلاحين والمزارعين قد نقلوا أغلب أحجار السور ليقيموا منها سدوداً وحواجز لعمل مدرجات زراعية على سفح جبل التعكر .

ولكي تصل إلى الحصن عليك أن تجتاز هذا السور الذي يقع في قاعدة قمة الحصن لتجد أمامك (عقبة) أي مدرجات حجرية تصعد بك إلى الحصن بسبب إرتفاع قمة الحصن الذي يبلغ في تقدرينا حوالي ثلاثين متراً تقريبا. وعندما تصل إلى أعلى قمة الحصن تجد أمامك بقايا سور آخر كان يلف الحصن نفسه لتدخل منه إلى الحصن ومبانيه ، بمعنى أن حصن التعكر كان له سوران ، الأول في قاعدة القمة التي بنى عليها حصن التعكر ، يحيط بالقمة نفسها والثاني في أعلاها يحيط بالحصن .

حصن التعكر ... بقايا وآلام -

وحين توشك أن تصل إلى أعلى القمة حيث الحصن ، وأنت تصعد على المدرجات الحجرية المتداعية ، تنتابك الفرحة لأنك بعد جهد جهيد ستدخل إلى شاخص عريق يحكي جانباً من تأريخ اليمن المشرق ، ولكنك تصاب بالخيبة والحزن حين تفاجئك أحجار متناثرة هنا وهناك لا يمكن أن تقنعك بوجود حصن لولا بقايا البرك والمدافن ..

أين الحصن الذي تفاخرت به الملوك والسلاطين والولاة وتغنى به الشعراء ؟ لم يعد هناك حصن فقد أندرس مع الأرض. أين كانت الملكة السيدة الحرة أروى تقضي

صيفها الجميل ؟ أين كان والي الحصن يسكن ؟ وأين أقام الملك المكرم بعد أن ترك العرش لزوجته أروى وصعد إلى حصن التعكر ؟ أين الحمامات وغرف الخدم والحاشية ؟ كلها زالت ولم يبق غير الأطلال تحكي قصة الزمن الغابر بأمجاده وأبطاله بأفراحه واتراحه ، بإنتصاراته وهزائمه .. لم يبق سوى أحجار بقايا السور وأحجار جدران الغرف تعزف لحناً حزيناً وهي تلامس نسمات الهواء العليل الذي لم أتنفس مثله من قبل .

وعندما تنظر حولك وأنت في الحصن تترامى أمامك جبال وتلال ومراع خضراء .. فها هي مدينة إبّ تتلألأ تحت أشعة الشمس ، بينما ترقد مدينة جبلة في قاعدة سفح الجبل، وها هو حصن حب يناظر من بعيد جداً حصن التعكر ويتحداه .. المناظر رائعة من كل الإتجاهات .. القرى المتناثرة وسط السفوح الخضراء ووديانها تسطع مثل حبات اللؤلؤ، والجبال الشاهقة والتلال تلتف حولك من بعيد ومن كل اتجاه ، فجبل التعكر يقف وحده شامخاً بين الروابي لا يجاريه ولا يقترب منه أحد ، تحميه المساجد والمآذن المنتشرة في قراه الجميلة. وإلى الشرق من الحصن وقمته تنتصب أمامك القمم الثلاث الأخرى لجبل التعكر وهي صغيرة مقارنة بقمة الحصن ويبدو أنها كانت تستعمل للحراسة والرصد ، ولكنها أقل إرتفاعاً بقليل من قمة حصن التعكر وقد شاهدنا أناساً يصعدونها ويجلسون فوقها .انها القمم التي استفاد منها سنان باشا في دك الحصن بالمدفعية.

البرك والمدافن :

في بقايا الحصن ، أو بالأصح في أرضه وبقايا أحجاره ، توجد ثلاث برك مائية أكبرها تلك التي تقع في الجهة الغربية من الحصن ، وفيها بقايا مياه أمطار ، وما زال (القضاض) موجوداً في بعض جوانب البرك الذي تطلى به برك المياه من الداخل لمنع تسرب الماء ، اما البركة التي تقع في الوسط فلها ميزة تختلف عن البركتين الأخريين وإن كانت أصغر منهما، فقد بنيت في أحدى جوانبها عتبات تتدرج من الأعلى وتحت كل عتبة (مسطبة) حوض صغير ، فعندما تسقط الأمطار فإنها ستتدرج على هذه العتبات لتستقر في حوض العتبة الثانية وحوضها وهكذا بحيث تصل المياه إلى البركة

نقية من الشوائب والطين ، بمعنى أن عملية تصفية مياه الامطار كانت تتمم بطريقة هندسية طبيعية ، وتسمى هذه المساطب (المناقص) أي التي تقوم بتنقيص الأطيان والشوائب وإزالتها من الماء، وربما كانت هذه البركة خاصة بمياه الشرب . وتقع البركة الثالثة في الجهة الشرقية من الحصن ، وما زالت جدرانها مغطاة بالقضاض ، وقد نبتت في قاعها الاعشاب البرية . أما المدافن فعددها سبعة منها ثلاثة متقاربة وعميقة جداً لدرجة أن أحدها يطلق عليه السكان المحليون أسم (مدفن جهنم) لعمقه ، ويمكن للناظر أن يرى من فتحة المدافن الدائرية سعة المدفن من الداخل تحت الارض، ويبدو أن هذه المدافن الثلاثة العميقة والواسعة جداً قد كانت غرفاً كبيرة تحت الارض تحفظ فيها مخزونات الصليحيين وذخائرهم ، وربما خصصت بقية المدافن الأربعة للحبوب والطعام وغيره. ولم تقتصر البرك والمدافن على الحصن وقمته وإنما توجد أخرى في قاعد قمة الحصن أي عند السور الأسفل الذي يحيط بالقمة .وبإمكانك عند الوقوف في أعلى قمة الحصن من جهة الغرب مشاهدة بركة وثلاثة مدافن في الأسفل منها أثنان من المدافن غير سليمة ومخربة وربما كانت البركة مخصصة للحراس أو من يكون معهم من الذين يحمون السور الأسفل. لقد كان من بين النباتات البرية في الحصن شجيرات صغيرة محدودة العدد يطلق عليها السكان المحليون أسم (العَشَقْ) وهي تتوزع هنا وهناك على الطريق عند نزولنا من الحصن إلى قاعدة قمته، و تحمل زهورا صغيرة بيضاء اللون ذات رائحة عطرة. المزارعون لا يعرفون تفسيراً لهذا الاسم وربما أحبته الملكة أروى فأطلقت علية هذا الاسم أو أطلقه غيرها عليه من الرعية لانها كانت تحبه.ولا يأتي تفسيرنا هذا من فراغ ففي كل الاماكن التي يسكنها السلاطين والملوك والرؤساء يتم زراعة الاشجار والزهور التي يحبونها في حدائق قصورهم او مداخلها أو بالقرب منها .

هذا هو حصن التعكر الذي لم يتبق منه شيء ظاهر على سطح الأرض لكي نعرف هندسته وطبيعة بنائه .. فهل صدق ما قاله عنه أبو محمد الحسن الهمداني في مخطوطه (الإكليل) نقلاً عن رواة معتمدين عن (كعب الأحبار) وهو تابعي جليل

قال إنه أدرك من عشيرته من لقي (سطيحاً)* وهو كاهن ذوصيت الذي ذكر بأن في اليمن بقاعاً منها أربع مقدسة وأربع مشؤومة أو محرومة وثمانية كنوز ، والبقاع المشؤومة أو المحرومة هي في (الجبل الأشهب) وهو من أشهر جبال اليمن الذي سيظهر فيه الخراب وتعوي فيه الذئاب .. والجبل الأشهب هذا عند الهمداني نقلاً عن أحد مشايخه اللبخي هو التعكر ...

* يقال أنه من بقايا التبابعة الحميريين وعندما يتحدث الأهالي عن بعد زمن أي شيء أو حادث أو ظاهرة أو موضوع يقول أحدهم (أنها من زمن السطيح)

الفصل الخامس

تأريخ التعليم في إبّ وجبلة

تأريخ التعليم في اليمن : -

يرى اكثر المؤرخين اليمنيين على ان ظهور المدارس التعليمية المستقلة في اليمن قد بدأ في أواخر القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي في عهد الايوبيين ،إلا أن ثمة باحثين يرون ان المدارس التعليمية المستقلة تعود الى مدة ماقبل الايوبيين وأن التعليم بشكل عام قد بدأ في اليمن مع بداية التعليم في العالم الاسلامي من خلال الكتاتيب (المعلامة) والمسجد . ويعتمد الرأي الاول على ما كتبه المؤرخ الجندي المتوفى عام 732هـ/1331م [1] والمؤرخ الخزرجي المتوفى عام 812هـ/1410م[2]، والذي يقول إن ظهور المدارس في اليمن يعود الى أيام الملك المعز اسماعيل بن طغتكين بن أيوب ثالث ملوك الايوبيين في اليمن عندما قام بإنشاء المدرسة المعزية في مدينة زبيد عام 594 هـ/ 1198 م، والتي عرفت فيما بعد بأسم مدرسة الميلين، والمعروفة في الوقت الحاضر بمدرسة الاسكندرية ، ويضيف ابن الديبع أن المعز إبتنى في السنة نفسها المدرسة السيفية في مدينة تعز [3] . ويشكك د. محمد علي العروسي في بحثه القيم عن مدارس العلوم الإسلامية في اليمن في هذا الرأي على أساس أن المنشأة التعليمية الدينية المستقلة في اليمن قد ظهرت في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي وأن

---

(1) أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف الجندي السكسكي الكندي ، السلوك في طبقات العلماء والملوك ، تحقيق محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي ، صنعاء ، 1983 م ، الجزء الأول ، ص ص 302 ، 393 . 394 .

(2) علي بن الحسن الخزرجي ، العقود اللؤلؤية في تأريخ الدولة الرسولية ، صححه محمد بن علي الأكوع الحوالي، جزأن ، مصر 1983م

(3) أبن الديبع ، قرة العيون ، ص 283.

التعليم في اليمن يشكل بشكل عام جزءً مهماً من التعليم في الدولة العربية الإسلامية حتى في عهد الدويلات المستقلة .

ويعزز العروسي رأيه بشأن ظهور المدرسة التعليمية الدينية المستقلة في اليمن قبل الأيوبيين بنصوص تأريخية من المؤرخ عمارة اليمني في كتابه ((تأريخ اليمن المسمى المفيد في تأريخ صنعاء وزبيد)) تبين أن المدارس تعود إلى أيام الصليحيين والنجاحيين في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، أي في المدة التي أهتم فيها السلاجقة بإنشاء المدارس في العراق ، وقبل دخول الأيوبيين لليمن . ويؤكد أن تلك المدارس لم تكن مجرد غرف الحقت بالمساجد كما يرى بعضهم وإنما مدارس مستقلة بذاتها. [4]

وفي كل الأحوال فأنه يمكن القول إن التعليم في اليمن قد بدأ مع الكتاتيب (المعلامة) منذ بداية العصر الإسلامي لأن الأطفال في اليمن من عمر ست سنوات إلى عشر سنوات كانوا يتعلمون القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم في غرفة صغيرة مربعة التخطيط وأحياناً مستطلية ملحقة بالمساجد . بينما كان الأولاد ممن تجاوزا العاشرة من العمر يدرسون العلوم الدينية المختلفة في حلقات الدرس التي كانت تعقد يومياً في المساجد وفي منازل الفقهاء وهو ما كان شائعا في العالم الإسلامي .

أما المدرسة وهي منشأة تعليمية مستقلة عن المسجد فقد ظهرت في اليمن في القرن الخامس الهجري ، وإن المعز الأيوبي لم يكن أول من أنشأ المدارس في اليمن ، بل هو أول من جعل منها مؤسسات تعليمية تابعة لدولته [5] وعليه فإنه يمكن تقسيم نشأة المدارس التعليمية المستقلة وانتشارها في اليمن إلى ثلاث مراحل ، الأولى : الجهود الشخصية في مدة حكم الصليحيين و النجاحيين والزريعيين والثانية مدارس الدولة في

---

(4) محمد علي العروسي ، "مدارس العلوم الإسلامية في اليمن – ج1. الأيوبيون والمدارس في اليمن" ، مجلة الإكليل ، أبريل – يونيو 2001 ، العدد25، ص ص 22-27.

(5) المصدر السابق ، ص ص 29 . 32.

العصر الأيوبي ، والثالثة مدارس ما بعد الأيوبيين ، ومن المدارس التي أنشأها في عهد الصليحيين شخصيات يمنية ، مدرسة أبي النهى في مخلاف الشوافي من أعمال إبّ ، بناها الحسين بن علي بن عمر بن أبي النواهي ، من أعيان أخر المائة الخامسة وأول السادسة للهجرة ، وكان معاصراً للملكة الصليحية السيدة أروى بنت أحمد ،و درس فيها أبو أيوب سلمان [6] بن فتح بن مفتاح الصليحي ، وكان مولده لنيف وعشرين وخمسمائة . وذكر لنا الباحث الإبِّيّ محمد صالح الصهباني ، أن أول مدرسة في مدينة إبّ ، وربما في اليمن ، قد بنيت أيضاً أوا خر أيام الصليحيين وهي مدرسة السني التي درس فيها الفقيه محمد بن حسن البريهي ، كذلك ابتنى الشيخ أبو الحسن علي بن أبراهيم أبي الامان عام558ه/1163م مدرسة ابن ابي الامان في مدينة جبلة [7] وهي المدة التي حكم فيها الزريعيون في المنطقة .

إن بناء هذه المدارس المستقلة قد تم بجهود شخصية ولم يكن للدولة علاقة بها كما كان في عهد الأيوبيين ومن جاء من بعدهم من الرسوليين . والطاهريين والعثمانيين والأمامية . ولا شك أن مرحلة بناء المدارس المستقلة في اليمن ، سواء أكانت بجهود شخصية أم بتبني الدولة لها ، تمثل مرحلة لاحقة للتعليم المستقل الذي ابتدأ بالكتاتيب (المعلامة) والتي كما ذكرنا أنفاً يتعلم فيها الصبية القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب. وكانت الكتاتيب منتشرة في القرى والمدن، ومنها مدينة إبّ بحيث يسهل على الصبية الإلتحاق بها لقربها من بيوتهم [8] وإذا ما أتم التلميذ حفظ القرآن الكريم ، فان مرحلة المعلامة تنتهي بالختمة ، أي إستكمال حفظ القرآن الكريم ويقام إحتفال أو وليمة بالمناسبة يغدق فيها أهل التلميذ وأقرباؤه العطايا على أستاذه ، وتعتمد نوعية الأحتفالية على حالة التلميذ المادية ، فقد يقتصر حفل الختمة على زملاء التلميذ واساتذتهم ، وقد يدعى إليها كثير من الناس[9] .

---

(6) الا كوع ، المدارس .

(7) المصدر السابق ، ص 15 .

(8) السروري ، المصد رالسابق ، ص 545 .

(9) المصدر السابق ، ص546 .

اقيمت الكتاتيب (المعلامة) بجانب المساجد [10] وعندما ظهرت المدرسة المستقلة أصبحت بناية الكتاتيب (المعلامة) جزءاً منها تؤدي وظيفة تعليمية لعدد من التلاميذ وخصوصاً الأيتام، وكثيرا ما تشغل المعلامة الأيوانين الصغيرين اللذين يقعان بدركاة المدخل الرئيسي أو أحد المداخل إذا كان للمدرسة أكثر من مدخل [11] .

كانت المساجد مقراً للتعليم إلى أن ظهرت المدرسة المستقلة ، وكان الطلاب في اليمن يدرسون في المساجد الكبيرة مثل الجامع الكبير في صنعاء وجامع الجند وجامع الأشاعر في زبيد . وفي الجامع الخطابي بمدينة إبّ(الجامع الكبير حالياً) قام الفقيه أبو عبد الله بن مضمون بالتدريس مدة سبع سنين [12].

وكانت بيوت بعض الفقهاء مكاناً للتدريس أيضاً أما بسبب تقدم السن والشيخوخة ومنهم الفقيه منصور بن علي بن عبد الله بن إسماعيل الذي كان يدرس بمنزله بدلال في بعدان [13] ، أو بسبب إزدحام أوقات المدرسين ، فكان المدرس عفيف الدين عبد الله بن عمر بن منصور الصراري يدرس ليلاً . وأشتهر في تدريس علوم الجبر والمقابلة جمال الدين محمد بن أبي اقاسم الغراسي وهو من أهل جبلة ، والذي سلمت أليه الرئاسة في هذا العلوم و توفي عام 886 هـ [14] كذلك كان عدد من الأغنياء يرتبون من يتولى التدريس لأبنائهم في بيوتهم ، وخاصة في مراحل التعليم الأولى [15]

---

(10) المصدر السابق ، ص 550.

(11) محمد سيف نصر ، "المدارس اليمنية ، تخطيطاتها وعناصرها المعمارية" ، مجلة الإكليل ، السنة الثالثة 1985م، العدد الأول ، ص 107

(12) السروري ، المصدر السابق ، ص 550 .

(13)السروري ، المصدر السابق ، صص 550 – 551

(14) رياض علي سعيد المشرقي ، التعليم في اليمن في عصر الدولة الطاهرية 858 . 923 هـ . 1454 . 1519 م ، صنعاء ، 2004 م ، س 249 .

(15) السروري ، المصدر السابق ، ص 550 .

كانت المدرسة في اليمن بسيطة في تكوينها المعماري ، فهي تشتمل على أماكن للعبادة وأداء الفرائض ، وأماكن للدراسة وأماكن لإيواء الدارسين وأعاشتهم ، بالإضافة إلى برك لخزن الماء وتوفيره مع الحمامات والمطاهر [16] وكانت مدارس مدينة إبّ تتزود بالماء من ساقية المدينة كما بنيت المنارات في كثير من المدارس فقد شيد السلطان الرسولي المجاهد علي بن داود بن يوسف منارة متميزة في مدرسته التي بناها في ناحية الجبيل حيث يذكر ابن الديبع أنها كانت (منارة عجيبة المنظر ظريفة طبقة منها مربعة وأخرى مثلثة الأركان وثالثة مسدسة الشكل) [17] كما شيد السلطان الأشرف إسماعيل بن العباس الرسولي منارتين في المدرسة التي بناها بمدينة عدينة ، ويقول عنها إسماعيل الأكوع إنها من أجمل ما أبقته الأيام من تراث الرسوليين[18] وكذلك تشابه التصميم المعماري لكل من المدرسة والمسجد إلى درجة أنه أصبح من الصعب تمييز بناء المدرسة من بناء المسجد ، إلا أنه روعي في تصميم المدرسة الإغراض التعليمية وإنشاء مساكن الطلبة والمدرسين وغيرهم من أصحاب الوظائف وكذلك الملحقات والقاعات [19] لإستقبال أبناء السبيل،وجبانة ، أي مقبرة لدفن منشيء المدرسة وأسرته. وتشتمل المدرسة أيضاً على معلامة للإيتام وماء سبيل بجوار المدرسة [20]

إن أفضل وصف تفصيلي دقيق يعطي فكرة واضحة عن الهندسة المعمارية للمدارس في اليمن هو ما ورد في الوقفة الغسانية لمدرسة السلطان الأفضل الرسولي ومدرسة سلامة ابنة الملك المجاهد [21]

---

(16) محمد سيف نصر ، المصدر السابق ، ص 103 .

(17) أبن الديبع ، قرة العيون ، ص 376 .

(18) المصدر السابق ، ص 386 والهامش رقم (2) من الصفحة تعليق الأكوع الحوالي .

(19) المشرقي ، المصدر السابق ، ص 239 .

(20) محمد سيف نصر ، المصدر السابق ، ص 117 .

(21) الأكوع ، المدارس الإسلامية ، ص ص 187 ، 191 .

وعند مقارنة المدارس في اليمن ، عما هي عليه في مناطق أخرى من العالم الإسلامي نلاحظ عدم وجود غرف مستقلة في المدارس اليمنية لإقامة كل طالب كما عرف في مدارس العالم الإسلامي الأخرى وإنما قاعات متسعة في الطابق الأرضي لإقامة الطلاب ، وأحياناً تكون قاعات الدرس هي نفسها إماكن الإقامة* ، وقد تكون القاعات على شكل رواق وايوان مقابل بيت الصلاة ، ولم تعرف المدارس في اليمن التخطيط المتعامد ذا الأواوين الأربعة الذي أشتهرت به بلاد الشام ومصر . كذلك فإن بيت الصلاة هو العنصر المعماري الرئيسي في المدرسة اليمنية . وعموماً فإن المعمار في اليمن قد أستثمر البناء بشكل افضل وبأقل المساحات المتاحة ووظفه لأكثر من عمل واحد [22].

إن التكوين الحقيقي للمدارس في اليمن قد كان في عهد الأيوبيين وإن كانت المدارس قد ظهرت قبلهم لأن الدولة تبنت رسمياً المدرسة في العهد الأيوبي ، ثم انتشرت إنتشاراً واسعاً في عهد خلفائهم بني رسول ، بحيث إن تشييد المدارس صار سمة من سمات دولة الرسوليين، فوقف أصحابها الأموال لها ووضعوا فيها خزائن كتبهم ومنها خزانة الملك المؤيد داود بن الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي الرسولي التي كانت تحتوي على مائة ألف كتاب [23] . ليس هذا فقط بل إن الرسوليين اتخذوا المدارس التي أنشأؤها مدافن ومنها المدرسة الاسدية في قرية (الخبالي)* من عزلة وراف من

---

* كان الرسوليون قد وسعوا نطاق المدارس (الكتاتيب) لتشمل إلى جانبها سكن الطلبة وبخاصة الوافدين من خارج المدينة ، ومنها على سبيل المثال في مدارس تعز ، والجند ، كما كان هناك سكن للطلبة على هيئة غرف صغيرة مجاورة للجوامع أو متصلة بها كما هو الحال في غرف الطلبة المجاورة لجامع جبلة الشهير بجامع الملكة أروى الصليحية. ولا ندري إن كان ذلك من زمن الصليحيين أم من بعدهم. (الهامش للدكتور عبدالله الفلاحي).

(22) محمد سيف نصير ، المصدر السابق ، ص 117 .

(23) المشرقي ، المصدر السابق ، ص 239 .

* لا توجد في عزلة وراف قرية الخبالي حالياً ، وإنما توجد قرية اسمها (الحكالي) مع نهاية عزلة وراف من جهة الشرق وبالقرب من مدينة جبلة ربما كان اسمها الخبالي السابق، ولربما كان هناك

أعمال ذي جبلة التي دفن فيها مؤسسها الامير اسد الدين محمد بن بدر الدين بن الحسن الرسولي عام 688 هـ / 1228 م . كما دفنت الحرة مريم زوج السلطان المظفر يوسف بن عمر بن رسول الرسولي بمدرستها في ذي عقيب شمال غربي جبلة [24] .

إن التعليم يحتاج إلى إنفاق الأموال من أجل ديمومته وإستمراره وتطوره فكان الصرف على التعليم في المسجد في إطار مصروفات المسجد من الوقف المخصص له ، وكان عدد من الأغنياء يقومون بالصرف على المدرسين في بعض المساجد أو الكتاتيب . كما كان الطلاب يدفعون للمدرسين قدراً معيناً من المال حسب إمكانيتهم المالية [25] . ولكن عدداً من المدرسين الميسورين كانوا هم الذين ينفقون على الطلاب وكسوتهم من مالهم الخاص ، في حين كان القليل منهم يرفض التدريس لغير المتمكنين مالياً [26] . من جانب أخر أهتم بعض الحكام بالإنفاق على الطلاب ، فكان بنو نجاح يصرفون المكافآت للفقهاء المدرسين ، ومنهم الوزير منً الله الفاتكي الذي قال عنه المؤرخ اليمني عمارة إنه كان يتصدق على مدارس الفقهاء الحنفية والشافعية (بما أغناهم عمن سواهم من الأراضي والمرافق والرباع) [27] .

مدرسة رسولية بها ، ولكن توجد قرية مطمورة أخرى تسمى قرية الجبابي من أعمال غزلة أنامر أعلى قريبة جداً من عزلة وراف من جهة الشمال الشرقي ، وهي القرية التي تحدث عنها المؤرخون بأن أحد أمراء بني رسول قد سكنها وأسس مدرسة فيها وسميت باسمه ، وكان الأمير من أساتذتها واسمه محمد بن حسن بن علي بن رسول ، وإذا حذفنا كلمة الأمير أسد الدين من الإسم الأول ، وحذفنا الأمير بدر الدين من الاسم الثاني فإنه الاسم نفسه الذي ذكر في صفحة 20، وقد سميت باسمه وبعدها سميت بمدرسة الجبابي. [د. عبدالله الفلاحي ، البنيان الاجتماعي والثقافي لمحافظة إب ، مجلة الباحث الجامعي (54) ، 2003م ، جامعة إب ، ص135]. (الهامش للدكتور عبدالله الفلاحي).

(24) محمد سيف نصر ، المصدر السابق ، ص 107 .

(25) السروي ، المصدر السابق ، ص 561

(26) المصدر السابق ، ص ص 562 . 563 .

(27) المصدر السابق ، صا 564 .

المدارس في العهد الأيوبي : -

أهتم الأيوبيون بالمدارس بشكل كبير جداً بحيث أصبح الإنفاق على المدارس من واجبات الدولة ، وصار التعليم أحد المهمات الأساسية لها فعملوا على بناء المدارس خصوصاً تلك التي تحتوي على مساكن للطلبة ومساكن للمدرسين ، وعينوا لكل مدرسة ناظراً خاصاً بها ، والتزمت دولة الأيوبيين بالإنفاق على المدرسين ، فكانت كل مدرسة تُبنى تُحدَّد لها أوقاف خاصة بها ، فقد أوقف السلطان المعز إسماعيل الأيوبي وادي الضباب للمدرسة السيفية بتعز ويقع إلى غربها وفيه مياه جارية تسقي المزروعات والأشجار ومنها شجرة البن [28] . كما أوقف لمدرستة المعزية (الميلين) في زبيد وقفاً جيداً [29] . علماً أن المعز اشترى دار سنقر الأتابك وجعل منها بناية للمدرسة السيفية وأظهر إعتزازه بالمدرسة عندما نقل رفاة والده إليها [30]

إن تبني الدولة تشييد المدارس يشكل ظاهرة حضارية في تأريخ اليمن الإسلامي ، وكان الأيوبيون أول من تبنى هذا المبدأ ، وان كان بناء المدارس قد بدأ قبلهم في اليمن أيام الصليحيين والنجاحيين ، واستمر الرسوليون والطاهريون والأمامية الزيدية وبعض الولاة العثمانيين على هذا النهج ، وخصصوا لها الأموال والأوقاف المجزية .

إن المصارد تشير إلى أن السلطان المعز إسماعيل الأيوبي كان أول من شيد مدرسة على هذا المبدأ ، ولا يوجد لدينا ما يشير الى أن والده الطغتكين قد أهتم ببناء المدارس ربما لأنه كان في حالة حرب مستمرة من أجل فرض سيطرة الأيوبين في اليمن ، ولكن المصادر تذكر أن بعضاً من حاشيتة قد ابتنى المدارس ومنهم الأمير سيف الدين الاتابك

---

(28) أبن الديبع ، قرة العيون ، ص 283 ؛ إسماعيل بن علي الأكوع ، المدارس الإسلامية في اليمن، صنعاء 1980 ، ص 20

(29) أبن الديبع ، قرة العيون ، ص 285 ؛الأكوع ، المدارس الإسلامية ، ص 18

(30) أبن الديبع قرة العيون ، ص ص 283 . 285 .

سنقر بن عبد الله الأيوبي ، وهو أحد مماليك السلطان طغتكين الايوبي ومربي اولاده الذي ابتنى اربع مدارس،وهي المدرسة الاتابكية في قرية ذي هزيم في الجنوب الغربي من تعز ، ودفن فيها عند وفاته عام 808هـ [31] والثانية بالأسم نفسه في مدينة أبين ، والثالثة المدرسة الدخمانية في زبيد ، إنشأها سيف الدين للفقيه محمد إبراهيم بن دخمان لتدريس فقه الأمام أبي حنيفة النعمان فسميت على اسم الفقيه . وقد قال بن الديبع عنها في بغية المستفيد إن سيف الدين الأتابك عقد فيها أواوين وتقع غربي رحبة الدار الكبير في زبيد [32] . أما المدرسة الرابعة فهي المدرسة العاصمية بناها أيضاً في زبيد في الجنوب الغربي من الدار الناصري ، وسميت بإسم الفقيه عمر بن عاصم بن محمد التغلبي الذي عينه سيف الدين الأتابك فيها لتدريس فقه الإمام الشافعي [33] . وقد خصص الأتابك لهذه المدارس وقفاً جيداً [34] .

كما بني خادم السلطان الطغتكين ، وأسمه مجبر الدين كافور التقوي المدرسة النجيرية في غربي مدينة تعز شمال قرية المحاريب [35] . وبنى خادم المعز إسماعل بن طغتكين المسمى فاتن بن عبد الله المعزي مدرستين الأولى في جبلة بإسم المدرسة الفاتنية ، والمدرسة الثانية المسانيف في قرية المسانيف إلى الشمال الغربي من جبلة في منتصف الطريق بينها وبين ذي عقيب وخصص لهما وقفاً [36] أما والي حصن تعز في عهد الطغتكين ، فقد بني بمغربة تعز المدرسة الاشرفية [37]

---

(31) الأكوع ، المدارس اليمنية ، ص 24 .
(32) المصدر السابق ، ص ص 27 . 31 .
(33) المصدر السابق ، ص 31 . 33 .
(34) المصدر السابق ، ص 24 .
(35) المصدر السابق ، ص 17
(36) المصدر السابق ، ص 22 .
(37) المصدر السابق ، ص 17 ,

المدارس في عهد الرسوليين : -

انتشرت المدارس في عهد بني رسول إنتشاراً واسعاً جداً ، ولكنه اقتصر على اليمن الأسفل ، بينما لا توجد لهم مدرسة واحدة في اليمن الأعلى ربما لأن نفوذهم هناك كان يعتريه المد والجزر ، فأقتصر التدريس في اليمن الأعلى على المساجد [38] .

لقد قام مؤسس الدولة الرسولية السلطان المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول ببناء سبع مدارس هي المدرسة المنصورية في الجند وأخرى بالاسم نفسه في حدً المنسكية من وادي سهام [39] ، والمدرسة الغرابية في مغربة تعز ، وقد سميت بهذا الإسم نسبة الى مؤذن المدرسة عبد الله بن غراب [40] . والمدرسة الوزيرية في مغربة تعز أيضاً باسفل حافة الملح بالقرب من حصن تعز ، وقد سميت بهذا الأسم نسبة إلى الإمام أحمد بن عبد الله الوزيري الذي درس فيها مدة طويلة [41] . والمدرسة المنصورية العليا والمدرسة المنصورية السفلى في زبيد ، الأولى لأصحاب مذهب الإمام الشافعي والثانية لأصحاب مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان المنذر [42] ومدرسة بالمنسكية بسهام [43] ومدرسة في عدن أو قف لها أوقافاً كثيرة في لحج وعدن [44] ووضع في كل مدرسة مدرساً ومعيداً ودرسه وإماماً ومؤذنين ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن وخصص لكل واحدة وقفاً [45] .

---

(38) محمد سيف نصر ، المصدر السابق ، ص 117 ؛ الأكوع ، المدارس الأسلامية ، ص 7 .

(39) الأكوع ، المدارس الإسلامية ، ص 40 .

(40) المصدر السابق ، ص ص 41 . 43 ؛ أبن الديبع ، قرة العيون ، ص 312 .

(41) المصدر السابق ، ص ص 43 . 46 ؛ أبن الديبع قرة العيون ، ص 312 .

(42) المصدر السابق ، ص ص 47 . 51 ؛ أبن الديبع ، قرة العيون ، ص 312 .

(43) أبن الديبع . قرة العيون ، ص 312 ،

(44) الأكوع ، المدارس الإسلامية ، ص ص 51 . 56 .

(45) أبن الديبع ، قرة العيون ، ص 312 .

ولم يقتصر إنشاء المدارس على السلطان المنصور عمر الرسولي ، بل أهتمت أخته خاتون الملقبة (الدار النجمي) ابنة علي بن رسول ، فاشترت داراً في مدينة جبلة وحولتها إلى مدرسة وسمتها بإسم زوجها الأمير نجم الدين بن أبي بكر بن زكريا ، أحد الأمراء الاكراد ممن قدموا إلى اليمن ، فعرفت بالمدرسة النجمية . يقول الجندي (ليس في جبلة رزق للطلبة غالباً ظاهر منذ عصرها إلى عصرنا (سنة 737) وأعني بالرزق الاسباب الظاهرة من المدارس والمساجد ، إلا منها ، أو من حاشيتها)) وقد ألحقت بالمدرسة مسجد الدار النجمي نسبة إليها ووقفت على المدرسة ((وقفاً عظيماً)) [46] . ثم قامت ببناء المدرسة الشهابية في جبلة ونسبتها إلى أخيها شهاب الدين محمد بن علي بن رسول ، وكان يتولى هذه المدرسة القضاة[47] . كما بنت في جبلة أيضاً المدرسة الشرفية وسمتها بهذا الاسم نسبة إلى اخيها الأمير شرف الدين موسى بن علي بن رسول المتوفى في مصر. [48]

لقد كانت الدار النجمي خاتون قدوة لمن حولها في تشييد المدارس ، وربما كانت تشجعهم على ذلك ، فقد ابتنت وصيفتها (زات دارها) مدرسة في جبلة ، سميت المدرسة الزاتية نسبة إليها ، وتقع في حارة المحكمة ، كما ابتنى خادم الدار النجمي ، واسمه فاخر مدرسة في ذي سفال وأوقف عليها وقفاً جيداً ، وأطلق عليها إسم مدرسة خادم الدار النجمي . كذلك قامت حاشية الدار النجمي ببناء مدرسة في قرية البرخة في عزلة النقيلين [49] وكانت زوج والد الدار النجمي الأمير علي بن رسول ، واسمها الحرة اللؤلؤة قد ابتنت هي أيضاً مدرسة أطلقت عليها اسم المدرسة الغومانية ، لأنها إبتنتها بجوار قصر غومان في الشمال الغربي من جبلة [50] وفي مدينة الجند أوصت (ماشطة) الحرة ابنة جوزة بنت الأتابك سنقر وزوج الملك المنصور عمر بن علي بن رسول ، أوصت

---

(46) الأكوع ، المدارس الاسلامية ، ص ص 58 . 59 .

(47) المصدر السابق ، ص 61 .

(48) المصدر السابق ، ص ص 61 . 62

(49) المصدر السابق ، ص ص 64 -66

(50) المصدر السابق ، ص ص 56 . 58 .

هذه الماشطة بدارها وأرضٍ كانت تمتلكها لأولاد مولاتها الحرة ابنة جوزة لأنه لم يكن لها ذرية ، لكن ابنة جوزة رفضت ذلك وأمرت أن تحول دار المرأة الماشطة إلى مدرسة ، وأن تكون الأرض وقفاً لها وسميت المدرسة الشقيرية [51] .

ومن الأمراء الرسوليين الذين أهتموا بتشييد المدارس الأمير أسد الدين محمد ابن الأمير بدر الدين الحسن علي الرسولي ، والذي عينه عمه السلطان المنصور والياً على صنعاء ، فقام ببناء مدرستين ، الأولى في مدينة إبّ إسمها المدرسة الاسدية [52] والثانية في قرية الخبالي من عزلة وراف من أعمال جبلة ، واسمها مدرسة أسد الدين[53] . كما قامت شقيقة اسد الدين الحرة حبيبة بدر الدين ببناء مدرسة النجمية في قرية المعين من عزلة الأسلاف إلى الغرب من مدينة جبلة ، كذلك شيدت شقيقتها زهراء مدرسة في قرية الخبالي ، أطلقت عليها اسم مدرسة بني خضر نسبة الى ولدها محمد بن أحمد بن خضر بن الحسام الذي سجنه الملك المظفر لاحقاً عندما سجن عمَّيه الأمير بد الدين والأمير فخر الدين [54] .

ومن المدارس التي ابتناها المقربون من الرسوليين مدرسة علي بن يحيى العنسي، وهي باسم صاحبها الأمير شمس الدين علي بن يحيى العنسي ، وكانت له مكانه عالية لدى السلطان المنصور فأقطعه إقطاعاً كبيرا وقام العنسي بتخصيص أوقاف للمدرسة تكفيها [55] .كذلك قامت محظية الأمير بن يحيى العنسي ، الحرة جلل ، بإنشاء مدرسة في قرية الظهرة في رأس وادي نخلان أمام قرية السياني من جهة الشرق و اسمها (مدرسة جلل) ، بعد أن حولت دارها التي كانت تسكنها إلى مدرسة

---

(51) المصدر السابق ، ص ص 73 . 77 ..

(52) الأكوع ، المدارس الأسلامية ، ص 96

(53) المصدر السابق ، ص 99

(54) المصدر السابق ،ص 100

(55) المصدر السابق ، ص ص 111 . 112 .

وانتقلت إلى بيت أخر ابتنته بقرب المدرسة وخصصت للمدرسة أوقافاً وعينت فيها مدرساً ودرسه [56] .

أما وزير المنصور القاضي الرشيد ذي النون بن محمد بن ذي النون المصري ، فقد اقتدى بسيده السلطان المنصور وابتنى في أحد أحياء مدينة تعز ، وهو حي ذي غدينة ، المدرسة الرشدية ، وخصص لها وقفاً جيداً ، كما أقف عليه كتباً كثيرة في العلوم المعقولة والمنقولة[57].

أما السلطان المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي الرسولي الذي أعقب والده نور الدين المنصور عمر بن علي في الحكم ، فقد أنشأ المدرسة المظفرية في أعلى مغربة تعز ، وخصص لها مدرساً ومعيداً وعشرة من الطلبة ، وأماماً ومؤذناً ومعلماً وعشرة إيتام يتعلمون القرآن الكريم وقيِّماً . وقد أمر السلطان المظفر أن تجمع الجزية من كل أنحاء اليمن ليبني بها مدرسة ، وتعويض القضاه الذين كانوا يتقاضون أرزاقهم من الجزية ، من مال الخراج ، مما خلق له مشكلة مع قاضي القضاة عباس بن منصور ا بن عباس البريهي ، الذي أحتج على ذلك وترك عمله وجلس في بيته . كما أنشأ السلطان المظفر مدرسة في ظفار الحبوضي وجعل لها وقفاً يكفيها ويكفي العاملين فيها [58] .

كان اهتمام السلطان المظفر بالعلم والتعليم كبير اً جداً ، فقد أمر وزيره قاضي القضاة بهاء الدين العمراني أن يعين في المدرسة المظفرية مدرساً يكون من أعلم فقهاء العصر ، فأختار الفقيه علي بن أحمد الأصبحي .و كان للسلطان المظفر مؤلفات علمية نسبت إليه [59]. وقام وزيره بهاء الدين العمراني ببناء مدرسة أقتداءً

---

(56) المصدر السابق ، ص 114

(57) المصدر السابق ، ص 33

(58) الأكوع ، المدارس الإسلامية ، ص ص 65 ، 85 .

(59) المصدر السابق ، ص ص 86 ، 87 ،.

بسيده السلطان المظفر وأطلق عليها أسم مدرسة البهاء العمراني في مصنعة سير في مخلاف صهبان [60] .

كما قام جليس السلطان المظفر ، الفقيه سراج الدين أبو بكر بن عمر ببناء مدرسة في زبيد بين سوق المنجارة والسوق الكبير أسماها المدرسة الدغاسية [61].

وقد حذا خادم المظفر ، تاج الدين بدر الدين المظفر ، حذو سيده فقام ببناء مدرسة في مدينة زبيد بإسم المدرسة التاجية ، وتسمى أيضاً مدرسة المبردعين لأن المبردعين كانوا يعملون البرادع في جوارها ، وخصصها للفقه الشافعي [62] وجعل فيها مدرساً ومعيداً وعشرة طلاب وإماماً و مؤذناً وقيماً وأوقف لها وقفاً جيداً يغطي جميع تكاليفها[63].وشيد أيضاً المدرسة التاجية في قرية الوجيز من أرباض مدينة تعز إلى الغرب منها ، وتقع بالقرب من ذي هزيم وصينة [64] .

كما شيد الخادم تاج الدين مدرسة القرّاء والحديث في زبيد ، وجعلها مدرستين : أحداهما للقرّاء بالقراءات السبع والأخرى لأهل الحديث ((وأوقف لها وقفاً عظيماً))[65].

أما خادم المظفر الأخر الملقب نظام الدين فقد بنى أربع مدارس اطلق عليها أسم النظامية وخصص لها وقفاً جيداً [66] ، وهي المدرسة النظامية في زبيد التي لم يكن في مدارس زبيد أفضل منها وقفاً [67] . والمدرسة النظامية في ذي هزيم في الجنوب الغربي من

---

(60) المصدر السابق ، ص 113 .

(61) المصدر السابق ، ص 115 .

(62) ابن الديبع ، قرة العيون ، ص 335 .

(63) الأكوع ، المدارس الإسلامية ، ص 135 .

(64) المصدر السابق ، ص 137 .

(65) المصدر السابق ، ص 137 ,

(66) أبن الديبع ، قرة العيون ، ص 335 .

(67) الأكوع ، المدارس الإسلامية ، ص 79 ؛ أبن الديبع ، قرة العيون ، ص 335 .

مدينة تعز وتسمى مدرسة ذي هزيم [68] . والمدرسة النظامية في مدينة جبلة [69] ، والمدرسة النظامية في قرية الوحص من أعمال ناحية ذي السفال ، وتقع جنوب حصن بحرانة في الغرب من ذي سفال على بعد ساعتين مشياً على الأقدام ، وقام نظام الدين ببناء ساقية ماء من جبل الفرع إلى المدرسة والقرية ، وقد كلفة ذلك اموالاً كثيرة [70] ، ولم يكتف نظام الدين بإنشاء المدارس ، بل قام بتخصيص الأموال لدعم الكتاتيب (المعلامة) ، فقد أشترى ارضاً ممتازة في وادي نخلان وجعلها وقفاً لمعلامة في مسجد عمر بذي أشرق ومعلامة أخرى في مسجد سعيد بن اسعد في قرية سهفنة [71].

كذلك شيد خادم السلطان المظفر الطواشي إفتخار الدين ياقوت بن عبد الله المظفري، المدرسة الإفتخارية ، وتسمى أيضاً المدرسة الياقوتية ، بناها في منصورة الدملوة في مخلاف الصلو في أعمال الحجرية (المعافر) [72].

ومثلما كان لحريم السلطان المنصور والد السلطان المظفر مساهمة كبيرة في بناء المدارس ، فقد كان أيضاً لحريم السلطان المظفر مثل هذا الإتجاه . فقد شيدت زوج الملك المظفر وهي أم ولده الواثق وابنة الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول ، المدرسة الاسدية في الميهال في مغربة تعز ، وتسمى مدرسة دار الأسد ، وخصصت لها وقفاً جيداً[73] .

وقامت زوجات السلطان المظفر الإخريات ببناء المدارس ، مثل الحرة مريم بنت الشيخ الشمس ابن العفيف التي شيدت ثلاث مدارس وهي المدرسة السابقية في مدينة زبيد ، وتسمى أيضاً المدرسة العفيفية ويطلق عليها كذلك مدرسة مريم ، وقد أهتمت

---

(68) الأكوع ، المدارس الإسلامية ، ص 77 ؛ أبن الديبع ، قرة العيون ، ص 335 ,

(69) الأكوع ، المدارس الإسلامية ، ص 84 .

(70) الأكوع ، المدار الإسلامية ، ص 84 .

(71) المصدر السابق، ص 77

(72) المصدر السابق، ص 101.

(73) المصدر السابق، ص 106,

بأن يكون في المدرسة افضل الفقهاء المدرسين فأختارت الفقيه الشرعبي الذي كان أكبر فقهاء زمانه ، فاستدعاه السلطان المظفر إلى تعز وسأله أن ينتقل إلى مدينة تعز للتدريس في المدرسة السابقية ، فوافق بشرط أن يبقى ولده في قضاء موزع نائباً عنه ، فأستجاب السلطان المظفر لطلبه وأصبح أول مدرس فيها [74] . كما إبتنت الحرة / مريم المدرسة الجديدة في حافة الحميراء من مغربة تعز وتدعى مدرسة الدار الجديدة وتسمى أيضا مدرسةالحميراء والمدرسة السابقية [75] . وشيدت الحرة مريم كذلك مدرسة في قرية ذي عقيب سميت باسم القرية وهي في عزلة وراف غرب جبلة ، وبنت في جوارها داراً للضيافة ، وخصصت لها وقفاً جيداً [76].

أما زوج السلطان المظفر عائشة بنت محمد بن علي بن رسول وأم ولده المؤيد فقد أنشأت مدرسة في قرية مرية في أعلى وادي ظبا في الشمال الشرقي من ذي السفال عند السفح الجنوبي لجبل التعكر المشهور بعد أن كانت تسكن في حصن حب ، ثم نقلها ولدها المؤيد إلى وادي ظبا فاشترت أراضي كثيرة وبنت في مدية قصراً لها ومدرسة أمام القصر هي مدرسة مدية ، ، واوقفت على المدرسة من تلك الأراضي التي اشترتها ويذكر إسماعيل الأكوع أنه زار هذه المدرسة في شعبان من عام 1934 هـ / 17 أيلول 1974 م ، فوجدها في حالة جيدة لكن سقفها كان يتساقط بسبب إهمال ولاة الوقف ، ويوجد على باب المدرسة حجارة في البناء كتبت عليها آية الكرسي وتحتها اسم المدرسة واسم البنّاء الذي قام ببنائها . ولكن الكتابة لم يعد بالإمكان قراءتها لعدم وضوحها[77] .

ولم تفت ابنة السلطان المظفر ، نبيلة فرصة المساهمة في بناء المدارس ، فابتنت ثلاث مدارس هي المدرسة الاشرفية في زبيد ، وتسمى أيضاً مدرسة (جهة دار الدملوة) وتقع جنوب مدرسة الميلين ، وخصصت لها أوقافاً تغطي جميع نفقات المدرسة والقائمين بها ،

---

(74) المصدر السابق، ص ص 123 . 124.

(75) المصدر السابق، ص 126.

(76) المصدر السابق، ص 128.

(77) المصدر السابق، ص 129.

ورتبت فيها مدرّساً في الفقه ومعيداً وأماماً ومؤذناً وقيماً وطلبة وعلماء وإيتاماً يتعلمون القرآن الكريم ، كما ابتنت مدرسة في ظفار الحبوضي ومدرسة في تعز ، وخصصت لهما أوقافاً تغطي جميع النفقات [78] . أما ابنة السلطان المظفر الأخرى ماء السماء فقد ابتنت في مدينة زبيد بجوار منزل أخيها الواثق ، المدرسة الواثقية ، وابنت في تغرف ايضاً المدرسة النورية وجعلت فيها مدرساً وطلبة يقرأون العلم ، ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن الكريم وإماماً ومؤذناً وقيماً وخصصت للمدرسة من أملاكها أوقافاً تغطي جميع نفقات المدرسة والقائمين عليها[79] .

كما شيدت شقيقة السلطان المظفر ، واسمها الدار الشمسي ابنة عمر بن علي بن رسول ، المدرسة الشمسية في ذي عدينة من مدينة تعز بالقرب من جامع المظفر ، وخصصت لها وقفاً جيداً [80] . كما أنشأت مدرسة أخرى بالاسم نفسه في مدينة زبيد ، وعينت فيها مدرساً يدرس الحديث النبوي ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن الكريم ، وإماماً ومؤذناً وقيماً ، وخصصت لها وقفاً جيداً في وادي زبيد يغطي تكاليفها وأرزاق القائمين عليها [81] .

ومن عائلة السلطان المظفر الذين قاموا بتشييد المدارس الأمير نجم الدين عمر بن سيف الدين أخو السلطان المظفر من أمه ، الذي شيد المدرسة العمرية في حافة الملح في مغربة تعز [82] . وهناك مدرستان سمِّيتا باسم والدة السلطان المظفر دون أن يعرف بانيهما ، وهما مدرسة أم السلطان في تعز ويقال لها المدرسة العليا [83] . ومدرسة

---

(78) الأكوع ، المدارس الإسلامية ، ص 149 .

(79) المصدر السابق، ص 153.

(80) الأكوع ، المدارس الإسلامية ، ص 117 .

(81) المصدر السابق، ص 122.

(82) المصدر السابق، ص 92.

(83) المصدر اسابق ، ص 68.

أم السلطان في زبيد وتسمى المدرسة السيفية الكبرى وتقع جنوب مسجد الجبري [84] كذلك قام أحد أمراء السلطان المظفر وهو الأمير محمد بن نجاح بانشاء مدرسة النجاح في مغربة تعز الشرقية ، وكانت تمسى أيضاً المدرسة النجاحية وخصص لها وعلى مدرسته الثانية في الجند أوقافاً كافية [85] .

إن إنشاء المدراس في عهد السلطان المظفر يوسف ابن السلطان المظفر عمر ا بن علي الرسولي قد بلغ ذروته ، فقد ابتنى هو وأفراد عائلته وحاشيته وحدهم (31) أحدى وثلاثين مدرسة ، بينما كان والده السلطان المنصور وعائلته وحاشيته قد أبتنوا (22) اثنتين وعشرين مدرسة ولكن عدد إنشاء المدارس بعد السلطان المظفر كان أقل منه في عهده بكثير ، ففي زمن ولده وخليفتة السلطان الأشرف الأول عمر بن يوسف الرسولي لم يتم تشييد مدارس سوى المدرسة الأشرفية ابتناها في حافة الملح من حي الحميراء في مغربة تعز [86] في زمن حكم والده السلطان المظفر ، شيدها باسم والدته وأجرى لها الماء من جبل صبر ، وجعل فيه بركة ومطاهير ، وعين فيها مدرساً للفقه الشافعي وطلبة يدرسون لديه ، ومعلماً يعلم الإيتام القرآن الكريم وإماماً ومؤذناً وقيماً ً وخصص لها أوقافاً تكفيها [87] إلا أن عهد السلطان المؤيد أبن الملك المظفر 696 هـ قد شهد ابتناء عدة مدارس وفي مقدمتها المدرسة المؤيدية في مغربة تعز ، حافة القماطين ، وعين فيها مدرساً ودرسة ومعيداً وإماماً ومؤذناً ومعلماً وإيتاماً يتعلمون القرآن الكريم ، ومقريء يقريء القرآن الكريم بالسبعة الأحرف ، وخصص لها أوقافاً من أحسن الأراضي والكروم في مخلاف جعفر ، وبساتينا في وادي ظبا والوحص ، ووضع فيها خزانة من الكتب النفسية وقفاً للمدرسة ودفن فيها [88] . وابتنى السلطان المؤيد مدرسة أم عفيف في

---

(84) المصدر السابق، ص 71.

(85) المصدر السابق ، ص ص 133 . 134 .

(86) أبن الديبع ، قرة العيون ، ص 398 .

(87) الأكوع ، المدارس ، ص ص 140 . 141 .

(88) أبن الديبع ، قرة العيون ، ص 348 ؛ الأكوع المدارس، ص 154 ؛ المشرقي ، ص 239 .

(89) الأكوع ، المدارس ، ص161.

مدينة زبيد ، والمدرسة المظفرية في حي المحاريب في الطرف الشرقي من مدينة تعز ، وتسمى أيضاً مدرسة المحاريب ابتناها السلطان المؤيد بناء على طلب من ولده المظفر حسن بن دواد ، وقد مات في حياة أبيه ، ومع أنه أوصى ان يدفن في مقابر عامة المسلمين ، دفنه والده السلطان المؤيد في مدرسته المؤيدية[89] التي دفن فيها هو أيضاً.

أما عائلة السلطان المؤيد ، فقد ابتنت ابنته جهة فاتن ماء السماء المدرسة الفاتنية في مدينة زبيد ، وشيدت قبالتها السبيل الفاتني ، وعينت في المدرسة معلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن الكريم ، وأماماً ومؤذناً وقيماً ونزاحاً للماء [90] . كما ابتنت ابنة السلطان المؤيد المسماة دار الدملوة مدرسة في زبيد وأخرى في ظفار الحبوظي ، كذلك ابتنت ابنته المسماة دار الأسد مدرسة في تعز وأخرى في ظفار الحبوظي ، وأبتنى استاذ دار السلطان الأمير محمد ميكائيل مدرسة في زبيد [91] .

و استمر السلطان المجاهد علي بن داود بن يوسف الرسولي على سيرة والده السلطان المؤيد في إنشاء المدارس ، فابتنى مدرستين الأولى هي المدرسة المجاهدية في رأس راحة الشريف في خبيل المجلية شرق مدينة تعز وخصص لها مدرساً وطلبة يقرأون الفقه ومحدثاً وطلبه يقرأون الحديث ، ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن وشيخاً ونقيباً وفقراء وطعاماً للواردين ووقف عليها وقفاً جيداً يغطي تكاليفها ويزيد ، كما بنى فيها جامعاًوخانقاه ، وعين أماماً وخطيباً ومؤذناً وقيماً [92] . أما المدرسة الأخرى فهي مدرسة دار العدل ، وتسمى أيضاً (دار الوعد) في سوق الأحد في حي ذي عدينة من مدينة تعز وأوقف لها وقفاً جيداً [93] أما و الدة السلطان المجاهد الأدر الكريمة جهة الطواشي شهاب الدين صلاح بن عبد الله المؤيدي ، فقد ابتنت أربع مدارس هي المدرسة الصلاحية في مدينة زبيد ، وتسمى أيضاً (مدرسة أم السلطان) وعينت فيها مدرساً

---

(90) الأكوع ، المدارس ، ص 178 .

(91) أبن الديبع ، قرة العيون ، ص 348 .

(92) الأكوع ، المدارس ، ص 173 .

(93) ابن الديبع ، قرة العيون ، ص 368 ؛ الأكوع ، المدارس ، ص ص 177 . 178 .

للفقه الشافعي ، ومعيداً وعشرة طلاب ومدرساً في الحديث النبوي وعشرة من الطلبة ومدرساً في النحو ومعلماً وعشرة أيتام يتعلمون القرآن الكريم ، إضافة إلى الإمـــــام والمؤذن والقيم و نازحاً للماء إلى المطاهير وخصصت لها وقفاً من أفضل ما تمتلكه ليغطي جميع متطلبات المدرسة [94] . أما المدرسة الثانية واسمها ايضاً المدرسة الصلاحية فقد ابتنتها في قرية المُسلب في ضواحي مدينة زبيد ، وعينت لها مدرساً للفقه الشافعي وآخر للفقه الحنفي وطلاباً يدرسون الفقهين ومعلماً وأيتاماً يتعلمون منه القرآن الكريم . وخصصت للمدرسة وقفاً يكفيها [95] . وبالاسم نفسه (المدرسة الصلاحية) ابتنت مدرسة ثالثة في قرية السلامة في وادي نخلة شرق مدينة خيس وتسمى أيضا (مدرسة السلامة) وجاءت المدرسة الرابعة بالاسم ذاته (المدرسة الصـــالحية) في قريـــة التريبـــة ، وتـــدعى أيضـــاً (مدرســـة التريبـــة) أو (المدرسة) [96] .

كما ساهمت ابنة السلطان المجاهد ، جهة مرشد سلامة ، ببناء مدرسة في مغربة تعز ، وتسمى مدرسة سلامة أو المدرسة المؤيدية ، وكانت واسعة وكبيرة وفيها العديد من المرافق حسبما ورد في وقفيتها [97] . ومن أمراء السلطان المجاهد الذي ابتنى مدرسة هو الأمير نور الدين محمد بن ميكائيل المجاهد الذي أنشأ مدرسة ابن ميكائيل [98] . كما أنشأ الفقيه جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الريمي الملقب جمال الدين النزاري وهو من خاصة السلطان المجاهد والمقربين إليه، مدرسة جمال الدين الريمي في مدينة زبيد ، درس فيها الطلبة ، وكان يقوم بإطعام المنقطعين منهم

---

(94) الأكوع ، المدارس ، ص 166 .

(95) المصدر السابق ، ص 171 .

(96) المصدر السابق ، ص 172.

(97) الأكوع ، المدارس ، ص ص 190 . 191 .

(98) الأكوع ، المدارس ، ص ص 188 . 12 .

وكذلك الغرباء ، وخصص لفقهاء المدرسة نفقة وكسوة ليزودهم بما يحتاجونه من ورق ومداد [99] .

وعندما استلم السلطان الأفضل العباس الحكم بعد وفاة والده السلطان المجاهد (764 - 778 هـ) استمر على سيرة أجداده في الرسوليين في بناء المدارس ولكن بشكل محدود ،فلم ينشىء سوى مدرسة واحدة هي المدرسة الافضلية في جبيل المجلية شرقي مدينة تعز ، ابتناها بجانب مدرسة والده المجاهد ، وكانت من أجمل المدارس . وقال عنها ابن الديبع في بغية المستفيد إنها لم يكن لها نظير في البلاد ، وقد اشرنا إليها في موضع سابق ، حيث كانت منارتها غريبة الشكل وعلى ثلاث طبقات الأولى مربعة الشكل صحيحة الأركان والثانية مثلثة الأركان قائمة الحروف والثالثة مسدسة الشكل ((عجيبة المنظر وهي عجيبة من عجائب الزمن))[100] . وقد أوقف لها السلطان الأفضل أراضي جليلة في وادي ظبا والاجناد ، ونخيلاً في موزع ، وبقيت المدرسة عامرة إلى ما بعد قدوم بعثة نيبور إلى اليمن عام 1761 م الذي حدد مكان المدرسة في مخطط رسمه لمدينة تعز وضواحيها وجبل صبر . وكان للمدرسة مدرس في الشريعة ومعيد وعشرة طلبة ، ومحدث ومعلم وأيتام يتعلمون القرآن الكريم ، إضافة إلى الأمام والقيم وشيخ صوفٍ ونقيب وطعام للفقراء [101] . وعندما توفى السلطان الأفضل دفن في مدرسته الأفضلية [102] .

وقام وزير السلطان الأفضل أبو حفص عمر معيبد الأشعري الملقب تقي الدين ببناء مدرسة بجوار باب بيته اسمها (مدرسة تقي الدين معيبد) في المحاريب من مدينة تعز ، وجعل فيه بركة ومطاهير وأجرى إليها ساقية للماء وعين مدرساً للفقه

---

(99) المصدر السابق ، ص 194 .

(100) أبن الديبع ، قرة العيون ، ص 376 ؛ الأكوع ، المدارس ، ص 183 .

(101) الأكوع ، المدارس ، ص 183 .

(102) المصدر السابق ، ص 185 .

الشافعي وطلبة يدرسون ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن ، ومؤذناَ ومقيماً ، وخصص لها وقفاً. يكفيها وقد أعتنى الوزير تقي الدين بزخرفة المدرسة وتزويقها.[103]

ومن القضاة المقربين إلى السلطان الأفضل القاضي جمال الدين محمد بن إبراهيم بن يوسف الجلاد ، حيث ابتنى مدرسة في زبيد ، وخصصها لتدريس الفقه الحنفي ، و أوقف لها كتباً كثيره ونفيسة ، وتسمى مدرسة الجلاد [104] .

ويبدو أن انشغال السلطان الأفضل بالأوضاع السياسية المضطربة خصوصاً في السنوات الأخيرة من عهده قد منعته من التفرغ لبناء المدارس وتشجيع الاخرين عليها , ولكن ولده الأشرف الثاني إسماعيل ، ابتنى وشجع على إبتناء العديد من المدارس على الرغم من أنه ورث عن والده أوضاعاً مضطربة داخل العائلة أو في الصراع مع الأمامية الزيدية والقبائل المتمردة مما اضطره إلى خوض المعارك ضدهم ، فقد ابتنى المدرسة الأشرفية الكبرى في تعز لتدريس الفقه الشافعي وعلوم أخرى وعين فيها مدرساً ومعيداً وطلبة ، فضلاً عن مدرس في النحو والأدب مع طلبته وعيَّن مدرساً في الحديث النبوي الشريف ،ومعلما وايتاما يتعلمون القرآن الكريم ، كذلك أماماً ومؤذناً وقيماً وخصص لها مكتبة نفيسة فيها كتب (من كل فن) وأوقف على المدرسة وقفاً جيداً[105] . كما كان بناؤها مميزاً وصفها المؤرخون المعاصرون لها بانها حسنة الشكل لها بابان شرقي وغربي وباب يماني ، ومقدم فسيح وشمسية رحبة ((وتكوين عجيب وابتنى فيها مطهراً نفيساً .)) . أما تخطيط المدرسة وعمارتها فتمثل تطوراً في بناء المدارس في سعتها وعقودها وأثاثها وقناديلها ومكتبتها وفنون عملها ووسائل الخدمات التي تقدم فيها من إطعام وإسقاء وضيافة [106] .

---

(103) المصدر السابق ، ص 196 .

(104) المصدر السابق، ص 190 .

(105) الأكوع ، المدارس ، ص ص 197 . 206 .

(106) المصدر السابق ، ص ص 197 . 202 .

ويضيف ابن الديبع أن الأشرف إسماعيل قد أبتنى مدرسة الزيادة الشرقية في جامع مدينة تعز ، ويؤكد إسماعيل الأكوع أن هذه المدرسة كانت عامرة في أيامه وتقع في لحف قلعة تعز القاهرة ولها منارتان هما من أجمل ما أبقته الأيام من تراث ا لدولة الرسولية حسب وصفه [107] .

أما زوجة السلطان الأشرف الثاني إسماعيل الرسولي , الحرة جهة الطواشي جمال الدين فرحان وأم ولده السلطان الظاهر يحيى ، فقد أبتنت مدرسة ام السلطان في زبيد ، وبعد وفاتها قام ابنها الظاهر ببناء مدرسة كبيرة في مكان ضريحها أسماها (المدرسة الفرحانية) في ظاهر زبيد [108] . فضلاً على ذلك فقد قامت زوجته الأخرى جهة الطواشي الأجل جمال الدين مُعتب بن عبد الله الأشرف ، أم أولاده عبد الرحمن الفائز وأحمد الناصر والعباس الأفضل وعلي المجاهد ، بإنشاء المدرسة المعتبة في تعز ، وكانت مثل الاشرفية الكبرى تمثل تطوراً في عمارة المدارس وبنائها وسحبت لها الماء عبر ساقية من عيون مائية [109] .

ومن المدارس التي أنشأتها حاشية السلطان الأشرف الثاني ، مدرسة وجيه الدين العلوي في زبيد ، عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن عمر الذي تقلد عدة مناصب ، ومدرسة الجبرتي ابتناها الشيخ / إسماعيل بن عبد الصمد الجبرتي وساعده السلطان الأشرف الثاني في بنائها وقال عنهاابن الديبع ((وعمرت عمارة حسنة متقنة في غاية الحسن والهيئة)) [110] . ومن المدارس الأخرى ، مدرسة المزجاجة ابتناها الشيخ / محمد بن محمد بن ابي القاسم المزجاجي بجوار داره وكان من أصحاب السلطان الأشرف الثاني [111] .

---

(107) أبن الديبع ، قرة العيون ، ص 386 .

(108) الصدر السابق ، ص 213 .

(109) المصدر السابق ، ص ص 208 . 211 .

(110) الأكوع ، المدارس الإسلامية ، ص 212 .

(111) المصدر السابق ، ص 239

لقد توارث الرسوليون الإهتمام ببناء المدارس ، ولذلك اهتم السلطان الظاهر يحيى حفيد السلطان الأشرف إسماعيل ، عند إستلامه الحكم ببناء المدرسة الظاهرية في مدينة تعز بتصميم معماري متميز وجعل لها منارتين أحداهما بدرجتين يقول عنها المؤرخون اليمنيون إنه لا يوجد لها نظير في اليمن وأوقف للمدرسة أوقافاً جليلة ، ومكتبة غنية بالكتب [112] . وتُظهر وقفية المدرسة أنها لم تكن تقل شأناً في عمارتها وأثاثها وخدمتها والعلوم التي تدرس فيها عن المدرسة الأشرفية الكبرى [113] .

كما ابتنى السلطان الظاهر مدرسة أخرى بالأسم نفسه في مدينة عدن .و ابتنت زوجتة الحرة جهة الطواشي إختيار الدين ياقوت ، المدرسة الياقوتية في رباط البريهي من ذي السفال[114] . وبالإسم نفسه ابتنت مدارس أخرى في زبيد ومدينة خيس ومدينة عدن [115] .

إنّ الإكتفاء بذكر هذا العدد من المدارس التي شيدها الرسوليون وحاشيتهم وأمراؤهم ووزراؤهم وفقهاؤم قد يبخس حقهم ، فهناك العديد من المدارس التي شيدت في زمنهم دون معرفة من ابتناها ويبلغ عددها أكثر من أربع عشرة مدرسة .

أن الخط البياني لإنشاء المدارس في عهد الرسوليين يظهر أن أكثر عدد من المدارس كان قد ابتنى في عهد السلطان المظفر يوسف بن السلطان المؤسس المنصور عمر الرسولي ، حيث بلغ عددها أحدى وثلاثين مدرسة ، إلا أن هذا العدد بدأ بالتناقص في عهود السلاطين الرسوليين الذين أعقبوه . فولده السلطان الأشرف الأول لم يشيد سوى مدرسة واحدة ابتناها في زمن حاكم والده المظفر , ولكن ولده السلطان المؤيد ابتنى وعائلته ثماني مدارس و ارتفع العدد إلى تسع مدارس في عهد ولده السلطان المجاهد وانخفض العدد الى ثلاث مدارس في عهدولده السلطانالأفضل ، ربما لانشغاله

---

(112) المصدر السابق ، ص ص 220 . 221 .

(113) المصدر السابق ، ص ص 221 . 225 .

(114) المصدر السابق ، ص ص 228 . 229 .

(115) المصدر السابق ، ص ص 229 . 231 .

بوضع حد للاوضاع السياسية المضطربة ، ومع ذلك فان ولده السلطان الأشرف الثاني الذي ورث عنه تلك الأوضاع وعانى من صراع السلطة بعد إستلامه الحكم مع أخوته وأولادهم وكذلك مع الزيدية الإمامية ومن تحالف معهم من القبائل ، لم تقف في وجهه هذه الأحداث ، فبنيت في عهده سبع مدارس ، وفي عهد حفيده السلطان الظاهر ست مدارس .

إن تناقص عدد المدارس التي بنيت في عهد الرسوليين بعد السلطان المظفر ، لا يعني تباطؤاً في العملية التعليمية بل على العكس فقد تطورت المدارس من الناحية النوعية سواء في تدريس العلوم وتنوعها أو في التصميم والبناء المعماري لهذه المدارس فضلاً عن محتوياتها ومكوناتها من مكتبات نفيسة ووسائل للراحة والإضائه والسكن والضيافة وسقاية الماء والنظافة .

المدارس في عهد الطاهريين : -

كان إهتمام الطاهريين ببناء المدارس لا يقل شأناً عن إهتمام الرسوليين بها ، ولكن المدة التي حكم فيها الطاهريون هي (65) خمسة وستون عاماً ، وهي أقصر بكثير من مدة حكم الرسوليين التي بلغت (230) مائتين وثلاثين عاماً . ولذلك جاء عدد المدارس في عهد الطاهريين أقل بكثير من عهد الرسوليين ، لكن عمارة المدارس تطورت في زمن الطاهريين .

لم يتأخر مؤسس دولة الطاهريين الملك المجاهد شمس الدين علي بن طاهر بن معوضة في تشيد مدرسته المدرسة المجاهدية في مدينة جبن والثانية في مدينة تعز ، كما قام بتجديد المدرسة في عدن ، وأقام صهريجاً من الماء فيها وجعله سبيلاً للناس[116] . ونهج خليفته وابن أخيه الملك المنصور عبد الوهاب بن داود بن طاهر النهج نفسه في تشييد المدارس ، فابتنى المدرسة المنصورية في مدينة زبيد وتسمى أيضاً ،

---

(116) أبن الديبع ، قرة العيون ، ص 422 ؛ الأكوع ، المدارس ، ص ص 243 . 244 .

المدرسة الوهابية[117]. كما ابتنى مدرسة ثانية بالاسم نفسه في مدين جبن [118] . ويضيف ابن الديبع مدرسة أخرى للملك المنصور في المقرانة. ويقول انه ابتنى أيضاً مدرسة بخبان [119] ويشكك الأكوع بوجود هذه المدرسة الأخيرة[120] .

ومن الشخصيات التي عملت مع الملك المجاهد ومع خليفته الملك المنصور عبد الوهاب بن داود ، الشيخ علي بن سفيان ، الذي ابتنى المدرسة السفيانية ، وقد وصفت بالعظيمة ، و أوقف لها وقفاً جيداً ولكنها احترقت في حريق مدينة عدن عام 908 هـ [121]

أما السلطان الظافر عامر بن عبد الوهاب بن داود ، فقد اعتنى كثيراً ببناء مدرسته ، المدرسة العامرية في مدينة رداع وهي مكونه من ثلاثة أدوار ، الدور الأرضي لسكن الطلبة وحلقات الدرس والدور الثاني مصلى ومقصورات للوضوء والإغتسال في الأيوان الشمالي وحوله أواوين من جميع الجهات ، أما الدور الثالث ففيه مسجد تعلوه قبة كبيرة وحولها قباب صغيرة متناسقة ، وأمامه من جهة القبلة ساقية مياه [122] . ومن المدارس الأخرى التي ابتناها الظافر عامر بن عبد الوهاب وأعجب بها ابن الديبع المدرسة الظافرية في زبيد ، قال عنها إنها ابتنيت قبالة باب الدار الكبير بمدينة زبيد ، ووصفها بالمدرسة العظيمة ((بديعة الشكل كاملة الوصف)) . ويضيف ابن الديبع أن للظافر مدرسة أخرى في تعز وأخرى في برداع وصفها ايضاً بالعظيمة [123] .

---

(117) الأكوع ، المدارس ، ص 245 ؛ أبن الديبع ، قرة العيون ، ص 430 .

(118) الأكوع ، المدراس ، ص ص 247 . 248 .

(119) أبن الديبع ، قرة العيون ، ص 430 .

(120) الأكوع ، المدارس ، ص 245 .

(121) الأكوع ، المدارس ، ص 249 .

(122) المصدر السابق ، ص ص 250 . 251 .

(123) أبن الديبع ، قرة العيون ، ص 470 ؛ الأكوع ، ص 253 .

وفي زمن الظافر عبد الوهاب بنى أقرباؤه أيضاً مدارس مثل مدرستي أخيه الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب في رداع والمقرانة وكان من أعمال الظافر أيضاً أنه أمر بعمارة جسر لمخرج ماء مغتسلات مدرسة والده المنصور لأن جيران المدرسة اشتكوا من المصب القريب منهم[124] .

وهناك مدارس أخرى بنيت في مدينة إبّ في عهده سنتناولها لاحقاً .

التعليم في عهد الامام شرف الدين والعثمانيين :

عندما زالت الدولة الطاهرية وبرزت سلطة الإمام شرف الدين استمر هذا الأخير على نهج الرسوليين والطاهريين في بناء المدارس ، إلا أن المصادر تذكر انه قد أبتنى مدارس بالاسم فقط ، لان ما ابتناه كان مساجد أطلق عليها أسم مدارس مجاراة لما ألفه الناس في عصري بني رسول وبني طاهر ومع ذلك كانت مدارس الإمام شرف الدين مدارس مهمة لتدريس العلوم الاسلامية ومنها مدرسة الامام شرف الدين في كوكبان [125] . ومدرسة أخرى في صنعاء [126] .وتسمى أيضاً (المدرسة) اضافة إلى تسميتها باسمه . أما المدرسة الرابعة فقد ابتناها في ذمار في حي الجراحيش واسمها (المدرسة الشمسية) نسبة الى الأمير شمس الدين أحد أبنائه، وبنيت فيها منارة ومطاهير،وحفر بئرها الوالي العثماني محمد علي باشا لاحقاً . وكانت في المدرسة الشمسية مكتبة نفيسة وغرف مخصصة لإقامة الطلبة ملحقه بالمدرسة تحيط بها من جميع الجهات ، وكان بعض هذه الغرف (المنازل) معروفة باسماء أسر تتوارث الأمامة منها لطلبة العلم وتذكر المصادر أن الإمام المطهر ابن الإمام شرف الدين قد ابتنى هو أيضاً مدرسة باسمه في عدن لتدريس الفقه الزيدي [127] .

---

(124) أبن الديبع ، قرة العيون ، ص 472 ؛ الأكوع ، المدارس ، ص 249 .

(125) الأكوع ، المدارس ، ص ص 80 ، 262 .

(126) المصدر السابق ، ص 264 .

(127) المصدر السابق ، ص ص 279 . 280 .

وأخيراً فإنه من الملاحظ أن تشييد المدارس قد توسع ليشمل شمال اليمن ايضاً في عهد الإمام شرف الدين ولكن بأعداد قليلة.

وفي عهد العثمانيين اهتم بعض الولاة ببناء المدارس ، خاصة في صنعاء وزبيد لكنه لم يكن كما كان عليه أيام الرسوليين والطاهريين ، ولكنه أنتعش نسبياً في المدة الثانية من حكم العثمانيين لليمن التي سبقت قيام الحرب العالمية الأولى خلا ل المدة (1289 هـ / 1872 م -1337 هـ / 1918 م) والتي أصبحت فيها اليمن ولاية عثمانية لمدة خمسة وأربعين عاماً ، حيث تم تأسيس بعض المؤسسات التعليمية وهي جزء من محاولة الإصلاح التي قامت بها الدولة العثمانية لتدارك التدهور التي عاشته في سنواتها الأخيرة .

أما المدارس التي تم تشييدها في مدة إحتلال العثمانيين الأولى لليمن (945 هـ / 1538 م . 1045 هـ / 1636 م) فهي المدرسة الكمالية في زبيد ، ابتناها كمال بك وكان من أمراءحبش السلطان سليم الأول عند دخوله مصر [128] . كما ابتنى الوالي مصطفى باشا الملقب بالنشار مدرسة باسمه في مدينة زبيد وجعل لها وقفاً كافياً ، يدرس فيها الفقه الشافعي وفقه أبي حنيفة كما يدرس القرآن الكريم وتلاوته . وكانت له مدارس أخرى ومساجد في اليمن ومنها مدرسته المسماة باسمه في صنعاء [129] . ومن الولاة الذين اهتموا بالتعليم الوالي مراد باشا الذي ابتنى المدرسة العادلية في صنعاء ، والوزير حسن باشا الذي ابتنى المدرسة البكيرية في صنعاء وقد اعتنى بعمارتها بشكل كبير ، وصرف عليها أموالاً كثيرة ، وقام الفقيه عبد الله المحرقي بزخرفة محرابها وسميت بالبكيرية نسبة إلى بكير بك مولى الوزير حسن وقد دفنه في شرقي المدرسة و أقام له ضريحاً بعد وفاته ، ثم جدد المدرسة السلطان عبد

---

(128) الأكوع ، المدارس ، ص 280 .

(129) المصدر السابق ص 281

الحميد بن عبد المجيد وفرشها بالسجاجيد الفارسية وأقام فيها منبراً من الرخام [130] .

وفي المدة الثانية من حكم العثمانيين لليمن ظهرت بعض المؤسسات التعليمية فكانت النواة لظهور التعليم الحديث في اليمن ففي ولاية الوالي حسين حلمي باشا لليمن أسست عام 1895 م . إدارة للمعارف ومدارس إبتدائية ودار للمعلمين ومدرسة الصنائع، وعمل الوالي على تقريب أهل العلم وتشجيعهم ، كذلك أنشئت مدرسة للتعليم العسكري الإعدادي التي تؤهل الطالب للدخول في المدرسة الحربية في إسطنبول. وفي ولاية الوالي حسن تحسين باشا افتتحت المدرسة الرشيدية لتخريج الموظفين ومن يرغب في الإلتحاق بدار المعلمين ، لأن الولاة العثمانيين أرادوا من تأسيس المدارس الإبتدائية أن تتخذ بديلاً عن حلقات الجوامع[131].

وبعد خروج الأتراك من اليمن وإستلام الإمام يحيى بن حميد الدين لزمام الأمور تم في عهده تأسيس المدرسة العلمية عام 1344 هـ / 1925 م [132] . كما اهتم الأمام أحمد بن يحيى بالتعليم . ولكن التعليم في اليمن لم يشهد قفزة نوعية حقيقية إلا بعد قيام الثورة فيه عام 1962م.

تأريخ التعليم في مدينة إب : -

أصبحت مدينة إبّ مركز علمياً وتعليمياً مهماً عبر تأريخ اليمن الإسلامي والحديث ، بالرغم من أنها لم تكن مدينة ذات أهمية سياسية ولعل للعوامل الامنية ا والجغرافية والاقتصادية أثرها في ذلك ، فالمناطق الخصبة والتجارية كانت أكثر أمناً من العواصم والمركز السياسية ،ولذلك أصبحت منطقة جذب للإستقرار والسكن فيها، وينطبق هذا الامر على مدينة إبّ ومدينة جبلة وبعدان وذي إشرق وغيرها من المدن

---

(130) المصدر السابق ، ص ص 282 . 283 .

(131) بدر سعيد علي الاغبري ، التربية والتعليم في اليمن ، صنعاء ، 2004 ، ص 25 .

(132) الأكوع، المدارس ، ص ص 284. 287 ؛ الأغبري ، المصدر السابق، ص ص 28- 31.

المعروفة بخصوبة تربتها وتوفر المياه فيها . ولذلك استقبلت مدينة إبّ كثيراً من الفقهاء المدرسين والطلبة والعلماء بمختلف إختصاصاتهم . أما العامل الجغرافي فإنه فعل فعله أيضاً حيث إن صعوبة المواصلات في المناطق ا لجبلية جعلت المراكز العلمية تتجمع في المدن الرئيسية مثل إبّ وجبلة، بينما لا نجد مثل هذه الظاهرة في المناطق السهلية من اليمن .

لقد بدأ التعليم في مدنية إبّ ، شأنه شأن المناطق اليمنية الأخرى من خلال الكتاتيب (المعلامة) والمساجد وكانت حلقات ا لتدريس تعقد في الجامع الكبير (الخطابي) قبل إنشاء ا لمدارس في المدينة وكذلك في المساجد الأخرى، وكان الفقهاء يقيمون فيها لسنوات يدرسون طلبتهم ومنهم الفقيه أبو عبد الله بن مضمون حيث قام بالتدريس في الجامع الكبير لمدينة إبّ لمدة سبع سنوات [133] . وقد أنشئت في مدينة إبّ مساجد عديدة بالإضافة إلى الجامع الكبير ومنها مسجد العقيم ومسجد الشيخ موسى ومسجد الحمضي ومسجد بني مفضل ومسجد الخطيب ومسجد الأسطولي العليا ومسجد النمي ومسجد ابن شيخ ومسجد الغريقة ومسجد السنف ومسجد الصامت ومسجد الحباني ومسجد الجاءة ومسجد علي عمر الأزهري ومسجد البيحاني ومسجد المعطارة .

وكانت الدارسة في المسجد أو الجامع على شكل حلقات دراسية حيث يلتف الطلاب حول الأستاذ في حلقة يكون هو رأسها، وحلقات التدريس هذه تقسم عادة إلى ثلاث أنواع: -

الحلقة الأولى : حلقة العلم : وهي جلسة علمية تضم الفقهاء للمناقشة في الأمور العلمية والدينية أو استذكارها . وربما تدار في هذه الحلقة الفتوى فيحضرها الطلاب أيضاً .

---

(133) الجندي ، السلوك ، حـ1 ، ص 459 .

الحلقة الثانية : وتسمى مجلس العلم : وهي عملية تدريس الطلاب حيث يجلس الأستاذ على كرسي مرتفع أو على الأرض متكئاً بظهره على جدار المسجد بجانب المنبر أومتكئاً على المنبر نفسه أو على أعمدة المسجد أو الجامع أما الطلاب فيتحلقون حوله .

الحلقة الثالثة : هي مجلس السماع : وتختص عادة بسماع الحديث الذي يتحدث فيه الأستاذ لطلابه . وممن تحدث في مجلس السماع شيخ المحدثين الفقيه الحافظ علي بن أبي بكر بن حمير العرشاني المتوفى عام (557 هـ / 1161 م) الذي كان مجلسه خاصاً بشرح(صحيح البخاري) في مدينة إبّ والذي بدأ بعقده قبل عشر سنوات من وفاته. وقد روى عنه جماعة من المشايخ منهم يحيى بن أبي الخير . كذلك عقد هذا المجلس الفقيه أحمد بن محمد بن عبد الله البريهي السكسكي المتوفى عام (585هـ / 1189 م) الذي ارتحل من مدينة إبّ إلى مكة المكرمة فسمع فيها (صحيح مسلم) ثم عاد الى إبّ وبدأ بعقد مجلس سماع في جامعها الكبير . وقد التزم الفقيه أبو عبد الله محمد بن مضمون بن الفقيه عمر بن محمد المولود عام 559 هـ /، 1163 م) الحضور إلى مجلس الفقيه أحمد البريهي مدة تقدر بعشر سنوات أقام فيها في جامع إبّ، كما ذكرنا، سبع سنوات. إضافة إلى هذه المجالس الثلاث كانت تعقد مجالس المذاكرة بعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء وتختص بمذاكرة الفقه أو ذكر الله تعالى (134).

أما عن طرق التدريس في مساجد ومدارس مدينة إبّ ، وغيرها من المساجد والمدارس في اليمن ، فيمكن تقسيمها إلى خمس طرق وهي :

الأولى : طريقة السماع ، وهي أولى الطرق التعليمية في الكتاتيب (المعلامة) أو المسجد أو المدرسة ففي الكتاتيب كان الطالب يسمع نطق الحرف والكلمات ثم يعيد نطقها كما سمعها من الأستاذ ثم يحفظها واستمر هذا الاسلوب في المسجد ، حيث يسمع الطالب ما يقرأه أستاذه من الكتاب سواء كتاب فقه أو حديث أو لغة . وأصبحت

---

(134) السروري ، المصدر السابق ، ص ص 552 . 554 .

كلمة (السماع) مصطلحاً يطلق غالباً على من يسمع الحديث ويقرأه . ولذلك عندما ارتحل البريهي من إبّ إلى مكة المكرمة قيل (سمع بها صحيح مسلم) .. وبعد السماع تبدأ الطريقة الثانية في التعليم وهي طريقة القراءة ، حيث يقوم الطالب بقراءة ماسمعه من أستاذه ، ويقوم الأستاذ بمراقبة سلامة نطق الطالب للكلمات وتصحيح الخطأ . ثم تأتي الطريقة الثالثة وهي طريقة الحفظ ، وخاصة حفظ القرآن الكريم والحديث الشريف وقد تمتد عملية الحفظ إلى كتب الفقه وكتب اللغة . وكان الفقيه الذي يحفظ كثيراً يطلقون عليه إسم (الشيخ الحافظ) فمثلاً كان علي بن أبي بكر العرشاني مشهوراً في مدينة إبّ بالحفظ وقد قال عنه تلميذه الإمام يحيى بن أبي الخير ((ما رأيت أحفظ من هذا الشيخ في الحديث ولا أعرف منه))[135] . ثم تأتي الطريقة الرابعة وهي طريقة الكتابة والإملاء وهي النقل من الكتب أو الإملاء ، وتعد من أهم طرق التعليم ومتطلباته . والحقيقة أن الطالب يبدأ بتعلم الكتابة منذ مرحلة الكتاتيب ويستمر في تعلمها بشكل أوسع في مراحل الدراسة في المسجد والمدرسة . وغالباً ما يقوم الطلاب بنقل الكتب التي يدرسونها ، ثم يقوم الأستاذ بمطابقة النسخة المنقولة من النسخة المنقول عنها ، وقد يضع هوامش وتعليقات للتوضيح، وكانت عملية الكتابة هذه تسمى (استنساخاً) أو (نسخا) [136] . اما الطريقة الخامسة: فهي طريقة المناظرة ، وهي من أهم طرق التفقه وآخر مراحل عملية التفقه العلمي . وعادة ما كانت تجري بين علماء وفقهاء أو بين فقهاء كبار وفقهاء جدد أو بين أصحاب مذهبين مختلفين .

من جانب آخر كانت للمدرسين درجات علمية متدرجة فمرتبة (رئاسة التدريس) هي أرفع المراتب الوظيفية التدريسية ، وغالباً ما تضم هذه الوظيفة رئاسة الفتوى [137] . وكان ممن تولى هذه الوظيفة في مدينة إبّ أبو العباس أحمد أبن

---

(135) السروري ، المصدر السابق ، ص ص 554 . 555 .

(136) المصدر السابق ، ص ص 555 . 556 .

(137) السروري ، المصدر السابق ، ص 558 .

الفقيه محمد بن عبد الله البريهي السكسكي ، وكان يطلق عليه لقب (رئيس الفقه والحديث في إبّ) [138] . كما تولى الفقيه محمد بن سالم بن زيد الأصبحي البعداني المتوفى عام (597 هـ / 1200 م) . (رئاسة التدريس والفتوى) في الملحمة ببعدان [139] . أما المرتبة التي تلي مرتبة رئاسة التدريس فهي (فقيه مدرس) ويتولى شاغل هذه الوظيفة تدريس العلوم الدينية واللغوية ، وفي هذه المرتبة قد يتخصص الفقيه المدرس بتدريس علم واحد فيسمى بإسم العلم الذي يدرسه مثل (محدث) لمن يدرس الحديث و(مقريء) لمن يقريء القرآن الكريم . وقد يجمع بين تدريس عدد من العلوم مثل الفقه والحديث واللغة . والمرتبة الثالثة هي (المعيد) ومهمته أعادة الدرس الذي يلقيه المدرس وقد ظهرت هذه المرتبة مع ظهور المدارس في اليمن بشكل عام.[140] .

أما عن (الإجازة) التي تثبت إلمام الشخص الممتحن بالعلم الذي تفقه به ، فإنها لم تكن مثل وقتنا الحاضر شهادة مكتوبة مستقلة وإنما هي إقرار وشهادة شفوية من علماء وفقهاء مشهورين يشهدون شفاهاً بعد مناظرة الممتحن بأنه عالم في الفقه إذا وجدوا أنه قد ألم فعلاً بعمله وأصبحت له القدرة على العطاء فيه . وبموجب هذه الإجازة الشفوية التي تعلن في المجتمع وتصبح عرفاً يمكن للعالم الفقيه الحاصل على الإجازة التوظف في التدريس أو القضاء [141] ..

كما أن هناك طريقة أخرى لإثبات منح الإجازة ، وهي كتابة شهادة الأستاذ المانح على المخطوط أو الكتاب الذي تفقه به الطالب ، علماً أن الإجازات أنواع ، فغالباً ما تطلق عبارة (إجازة سماع) على الإجازة في كتب الحديث ، فعندما ينتهي الطالب من سماع كتب الحديث وقراءتها يمنحه أستاذه أجازة في الكتاب الذي اسمعه أياه . ومن الأمثلة على ذلك حصول الفقيه أحمد بن محمد البريهي وهو من فقهاء مدينة إبّ ،

---

(138) المصدر السابق ، ص 575.

(139) المصدر السابق ، ص 558 .

(140) المصدر السابق ، ص 557.

(141) المصدر السابق ،ص 565 .

على إجازة سماع عندما ذهب إلى مكة المكرمة وسمع عن الهروي كتاب (صحيح مسلم) في الحديث ، فدون الهروي نص منح الإجازة بالقول ((سمع على الشيخ الإمام السيد الفقيه الزاهد العابد سيف السنة أبي العباس أحمد بن محمد وأرخ ذلك أنه كان سنة أحدى وثمانين في شهر المحرم بعد الخمسمائة)) [142] . أم النوع الأخر من الإجازة منح (إجازة كتاب) وذلك بأن يدون الأستاذ على الكتاب الذي تفقه به الطالب ، بأنه قد درسه على يديه ، ومن خلال ذلك الكتاب وأستاذه يستطيع الفقهاء الأخرون تقويم الطالب علمياً ، مثل إجازة الشيخ أبي السعود بن خيران الممنوحة له من الإمام يحيى بن أبي الخير في الفقه والقراءات حيث أجازه في كتاب (الملخص) في الجدل لأبن عبد ربه[143] .

وهناك نوع آخر من الإجازة وهو (إجازة عالم) وتمنح لعالم في مؤلفاته والكتب التي درسها وسمعها وأجيز بها ، وكانت تكتب على إحدى هذه الكتب . وقد حصل فقيه مدينة إب ورئيس التدريس فيه أحمد البريهي و أولاده على هذه الاجازة ايضا من الشيخ عبدالله بن عمر بن احمد بن الحسين بن إبراهيم الوراق جاء فيها ((إستخرت الله العلي العظيم وأجزت الشيخ الإمام الأجل السيد الفقيه ناصر السنة أبا العباس أحمد بن محمد ولأولاده الكرام يحيى وعيسى وإسماعيل ومحمد وعلي أن يرووا عني مسموعاتي وإجازاتي وأرخ كون ذلك في ذي الحجة سنة ثمانين وخمسمائة)) هجرية الموافق1184م[144] .

فضلاً عن هذا كله ، هناك (إجازة عامة) تمنح من فقيه لأخر بكتبه وإجازاته في جميع العلوم التي تفقه بها . وقد تمنح الإجازة الفقهية بشكل جماعي لفقيه يمنحها إياه مجموعة من الفقهاء مثلما حصل مع الفقيه طاهر بيّن يحيى بن أبي الخير العمراني ، عندما رحل إلى مكة المكرمة وسكن فيها هرباً من ابن مهدي في اليمن ،

---

(142) السروري ، المصدر السابق ، ص 565 .

(143) المصدر السابق ، ص 566 .

(144) المصدر السابق ، ص 567 .

فوصلته الإجازات من الفقهاء في اليمن . كذلك كانت الإجازات تمنح من الفقيه المدرس إلى طلابه بعد تدريسهم كتابه ، وقد فعل مثل هذا الفقيه الأبي أحمد بن محمد البريهي [145] .

وأخيراً فأن العلوم التي كانت تدرس في المدارس لم تقتصر على العلوم الدينية واللغوية ، وإنما أضيفت إليها علوم أخرى مع تطور التعليم في مدارس اليمن ، ومنها مدارس مدينتي إبّ وجبلة ، حيث كان يدرس الجبر والمقابلة وعلم الرياضيات والطب والهندسة وعلم الكلام والمنطق [146] .

نشأة المدارس في مدينة إب :

إن من أهم المصادر التي تناولت بشكل تفصيلي دقيق المدارس المستقلة في اليمن كتاب المؤرخ اليمني إسماعيل الأكوع الذي انفرد في كتابه المدارس الإسلامية في اليمن ،بدراسة نشأة هذه المدارس وتطورها بشكل لم يسبقه إليه الباحثون في هذا المجال، ولم نجد مصدراً أفضل منه عن المدارس في اليمن إلى الآن ، ومع ذلك فهناك مدارس مستقلة نشأت في مدينة إبّ لم يتطرق إليها المؤرخ الأكوع مع أنها ظهرت قبل الأيوبيين ومنها مدرسة السني ، التي يقول الباحث الأبي محمد علي صالح الصهباني إنها تأسست في أواخر عهد الصليحيين في مدينة إبّ على مذهب الحنابلة ، وهي أقدم مدرسة في إبّ ، وقد أوصى محمد البريهي بمكتبتة وقفا لها ، ومازالت بناية هذه المدرسة موجودة حيث تحولت إلى مسجد للصلاة فقط . ولا بد من الإشارة أيضاً إلى مدرسة ابن أبي النهى ، وإن كانت خارج مدينة إبّ في مخلاف الشوافي من أعمال إبّ ، والتي أبتناها الحسين بن علي بن عمر بن أبي النهى خلال عهد الملكة الصليحية السيدة أروى [147] .

---

(145) السروري ، المصدر السابق ، ص 567 .

(146) المشرقي ، المصدر السابق ، ص 241 .

(147) الأكوع ، المدارس ، ص 15 .

وهاتان المدرستان تمثلان الجهد الشخصي لبناء المدارس المستقلة والذي يسبق تبني الدولة لبناء المدارس في العهود اللاحقة .

مدارس مدينة إب في العهدين الرسولي والطاهري : -

إستمرت عملية التعليم في مدينة إبّ من خلال الكتاتيب (المعلامة) والمساجد إلى أن أضيف إليها مدرسة السني في عهد الصلحيين ثم تبنى الرسوليون بناء المدارس المستقلة حيث شهد عهد هم بناء عديد من المدارس في مدينة إبّ واستمرت هذه الظاهرة الحضارية في عهد الطاهريين ومن يتبعهم . وقد بلغ عدد المدارس التي ابتنيت في عهد الرسولين بمدينة إب (11) إحدى عشرة مدرسة وبنيت في عهد الطاهريين (2) مدرستان إذا أضفنا مدرسة حب، فيكون عدد المدارس التي أنشئت في مدينة إبّ مع مدرسة السني (14) أربع عشرة مدرسة .

أما المدارس التي أنشئت في زمن الرسوليين فهي :

1 -المدرسة الأسدية :

وهي أول مدرسة مستقلة شيدتها الدولة في مدينة إبّ ، ابتناها الامير الرسولي أسد الدين محمد ابن الأمير الكبير بدر الدين الحسن بن الأمير الكبير شمس الدين بن علي بن رسول . وقد وصفه الخزرجي بأنه (من أكمل بني رسول)[147] . أصبح والياً على صنعاء حتى وفاة عمه مؤسس الدولة الرسولية السلطان المنصور. وعندما استلم السلطان المظفر الحكم ، سجن والد أسد الدين واخاه وعمه وابن عمه ، ثم سجن بعد ذلك الأمير اسد الدين وبقي في السجن إلى أن توفي عام 677 هـ وقام أسد الدين وهو في السجن بالتفقه على يد فقهاء كانوا يأتون إليه ومنهم الفقيه أحمد بن علي السردي ، رأس المحدثين في تعز ، حيث قرأ على يده مسموعات من الحديث ، كما نسخ عدة

---

(147) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، حـ 1 ، ص 179 .

مخطوطات ومصاحف ومقدمات ووقفها إلى مدرسته الأسدية في مدنية إبّ ، ولمدرسته الأخرى في الخبالي [138] .

قام بالتدريس في المدرسة الأسدية الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن محمد بن مضمون ، وكان فقيهاً محققاً ومدرساً للنحو. أنتقل من تعز إلى مدينة إبّ عام 848 هـ ودرس في الأسدية وكذلك المدرسة الجلالية إلى أن توفي في مدينة إبّ [149] .

يقول الأكوع الحوالي إن للمدرسة الأسدية وقفاً مخصصاً لها مؤكداً ما ذكره الجندي من قبل ، من أن الوقف الذي أوقفه لها الأمير أسد الدين كان مجزياً لتغطية نفقات التدريس والأطعام لأنه كان كريماً [150] .

لقد قمنا بزيارة المدرسة الأسدية في مدينة إبّ القديمة المسورة يوم 30 / 9 / 2004 م وقد وجدناها قائمة لم تتهدم ، تعلوها قبة كبيرة تغطي صالة المحراب ، وعلى جاني هذه الصالة توجد صالتان صغيرتان في كل جانب تغطيها قباب صغيرة ، كانت مخصصة للدراسة . ويذكر المعاصرون أن حريقاً شب في مخزن للخشب يقع تحت الصالة الكبيرة ، فاتى الحريق عليها وعلى نقوش القبة التي جددت عام 1400 هـ 1979 م . إلا أن جميع نقوشها قد أتى عليها الحريق ولم يبق منها سوى زخرفة بسيطة في الجهة الجنوبية الغربية من القبة مع بقاء كتابة في أعلاها هي (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله) . وعندما أعيد ترميم القبة ، اكتفى المرمم بتبييضها دون العناية بالنقوش والزخرفة .

---

(138) الجندي ، السلوك ، جـ 1 ، ص 467 ؛ الاكوع ، المدارس ، ص ص 96- 97 .

(149) الجندي ، السلوك ، حـ 1 ، ص 469 ؛ الأكوع ، المدارس ، ص 98 .

(150) الجندي ، السلوك ، حـ 1 ، ص 467 .

2 -مدرسة بني سنقر (مدرستان) : -

لا يوجد في المصادر ما يشير الى من شيدها ولا تأريخ تشييدها ويقول الأكوع إن هناك إحتمال أن يكون أحد أولاد الأتابك سنقر ابتناها وكان والدهم الأتابك سنقر قد أتخذ من مدينة إبّ مركزاً له عند صراع المعز الأيوبي مع الإمام شرف الدين [151] ويبدو أن أولاده استقروا في مدينة إبّ وعاصروا الرسوليين . وتوجد في مدينة إبّ مدرستان بهذا الأسم ، أحداهما تسمى السنقرية العليا ، وهي التي تعرف باسم الحُثاني ،وتدعى حديثاً المخلطة بعد أن جمعت بالمدرسة التي كانت خاصة بالنساء ، حيث قام أمير لواء إبّ بالنيابة القاضي أحمد بن أحمد السياغي بدمجهما . أما الثانية فتسمى السنقرية السفلى وتعرف حديثاً الصامت ، وتقع المدرستان في الجنوب الغربي من الجامع [152] .

قام بالتدريس فيها الفقيه أبو محمد القاسم بن علي بن موسى الرواني ((فانتفع به الناس أنتفاعاً عظيماً لا سيما أهل إبّ)) [153] .

3 -المدرسة الشمسية : -

ابتناها الامير شمس الدين أبو بكر بن فيروز . يقول الجندي في السلوك إن بني فيروز أكراد في الاصل وإنهم سكنوا مدينة إبّ منذ زمن طويل ، وقد نالوا من السلطان المظفر الرسولي كل التكريم والعناية ، لأنهم قاموا بنقل جثة والده السلطان المنصور من الجند إلى تعز ودفنوه في الأتابكية بذي هزيم ، بعد أن قتله مماليكه ولم يكن معه أحد من أولاده [154] . ولذلك بقي السلطان المظفر يتذكر فضلهم هذا فاقطع الامير شمس الدين ابو بكر بن فيروز ، اقطاعاً نفيساً ، قال عنه ابن الديبع ((اقطاعاً

---

(151) السروري ، المصدر السابق ، ص 324 .

(152) الأكوع ، المدارس ، ص 109 .

(153) المصدر السابق ، ص ص 109 . 110

(154) الجندي ، السلوك ، حـ 1 ، ص 164 ؛ أبن الديبع ، قرة العيون ، ص ص 311 . 312 .

جليلة))[155] . ووصفه الجندي (أقطاعاً حسناً جاملاً))[156]. كما أقطع أبا بكر بن فيروز وأخاه فخر الدين ، وجعلهم جميعاً من الأمراء المقربين [157] . وابتنى آل فيروز عدة مدارس في إبّ ومنها المدرسة الشمسية هذه ، وخصصوا لها أوقافاً مجزية . ومازال أحفادهم يسكنون مدينة إبّ وبعدان وجبل حبيش . ويصف الأكوع المدرسة الشمسية بأنها مازالت عامرة ، تقع قبالة الجامع الكبير ، واتجاه بابها الخارجي إلى الشرق , وتوجد على يمين هذ الباب (معلامة) يحفظ الصبيان فيها القرآن الكريم ، والاخرى عن شمال الباب لتدريس العلوم [158] .

كان الفقيه عثمان بن أحمد فيروز مختصاً بأمامة المدرسة والتدريس فيها بناء على وثيقة صادرة من الإمام المتوكل إسماعيل ابن الأمام القاسم بن محمد يعود تأريخها إلى 1076 هـ / 1655 م . وتفيد بعض الوثائق أن حسام الدين عثمان فيروز وهو من أعيان المائة الثانية عشرة للهجرة كان مدرساً وأماماً فيها [159]

4 -**مدرسة حسن فيروز :**

ابتناها ابن مؤسس المدرسة الشمسية ، حسن بن أبي بكر توفي في بداية حكم السلطان المؤيد داود بن السلطان المظفر ووصفها الجندي بأنها من أحسن مدارس إبّ[160] .

ويقول الأكوع ان القاضي أحمد بن محمد الحداد مفتي إبّ قد حوّل الجزء الشمالي من المدرسة إلى دكاكين وكان يوجد في هذا الجزء مقبرة لبعض الفقهاء ،

---

(155) أبن الديبع ، قرة العيون ، ص312 .
(156) الجندي ، السلوك ، حـ 1 ، ص 164 .
(157) الأكوع ، المدارس ، ص ص 110 . 111 .
(158) المصدر السابق ، ص 110 .
(159) المصدر السابق ، ص 111 .
(160) الجندي ، السلوك ، حـ 1 ، ص 164 .

ولعلهم من الذين كانوا يدرسون في هذه المدرسة أما الجزء الغربي منها فقد حوله إلى مخزن لعلف الماشية ، وابتنى بيتاً وسط المطاهير [161] .

وتعرف مدرسة حسن فيروز هذه ، بالمدرسة الحسنية ، ومن الفقهاء الذين قاموا بالتدريس فيها أيام الامام المتوكل اسماعيل ابن الامام القاسم بن محمد،الفقيه محيي الدين بن عبد الرحمن فيروز. وممن درسوا فيها أيضاً أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن محمد الدوالي المتوفى سنة 796 هـ و الفقيه أبو الحسن علي بن عبد الله الزيلعي المعروف بالفرصي المتوفى سنة 714 هـ وخلفه التدريس بالمدرسة ابن أخيه محمد بن منير الزيلعي المتوفى سنة 749 هـ [162]

5 -**مدرسة محمد فيروز: -**

ابتناها محمد بن حسن بن فيروز الملقب بالاسد ويقول عنها الأكوع إنها من أحسن مدارس بني فيروز [163] .

6 - **مدرسة داود فيروز :**

وهو شقيق محمد بن حسن فيروز ، وقد ابتنى داود مدرسته عند بيته ، وعين فيها معلماً يدرس اليتامى وأجرى لهم معاشاً ورزقاً [164] . ووصفها الجندي بأنها كانت (مدرسة جيدة) [165].

---

(161) الأكوع ، المدارس ، هامش رقم (2) في صفحة 143 .

(162) المصدر السابق ، ص ص 139 . 140 .

(163) المصدر السابق ، ص 165 .

(164) الجندي ، السلوك ، حـ 1 ، ص 547 .

(165) المصدر السابق ، ص 165 .

7 – **المدرسة البدرية :** -

وهي من مدارس إبّ التي لم يبق سوى جزء منها بعد أن هدم أمير لواء إبّ القاضي أحمد بن أحمد السياغي المتوفى سنة 1384 هـ جزءاً منها وبنى مكانه بيتاً لرجل هُدم بيته من أجل توسيع الجامع الكبير في مدينة إبّ بعد أن ضاق بالمصلين، ويضيف الأكوع أنّ المدرسة كانت عامرة إلى ما قبل نحو سنة 1378 هـ وموقعها شمال الجامع الكبير[166].

8 - **مدرسة جرن الشريف :** -

وهي مدرسة لا نمتلك عنها معلومات كافية ، غير ما أورده الاكوع من أنها ذكرت في ترجمة الفقيه محمد بن حسن البريهي ، الذي ولى نيابه المدرسة فعمّرها وكان يتسلم راتب الناظر من الوقف المخصص لها ويقال إنه ندم على ذلك فباع نصف بيته الذي يسكنه وصرف ثمنه لعمارة المدرسة وإصلاحها تعويضاً عن الراتب . ولي الفقيه البريهي نيابة جامع مدينة إبّ لسنين كثيرة فعمره عمارة جيدة [167] . ويعتقد بعضهم أنها هي نفسها مسجد عقيل القائم حاليا في مدينة إبّ .

9 - **مدرسة الجلالية العليا :**

تقع في قلب مدينة إبّ المسورة وفي أعلى مكان فيها ابتناها شيخ مملكة بعدان جلال الدين الجلال بن محمد السيري ، والسيري هي العائلة التي استقلت عن الرسوليين في حكم منطقة إبّ وبعدان واتخذت من حصن حب مقراً لها ، وقد أوردنا شرحاً عنها في الفصل المخصص لحصن حب . ويذكر الأكوع أن منارة المدرسة قد بنيت لاحقاً وهي مئذنة جميلة [168] .وقد قمنا بزيارة المدرسة يوم 30 / 9 / 2004 م ووجدنا

---

(166) الاكوع ، المدارس ، ص 237 .

(167) الاكوع ، المدارس ، ص ص 218 – 219 .

(168) المصدر السابق ، ص 231 .

أن جزءاً من سقف المدرسة في صالة المحراب قد تهدم وأعيد بناؤه بالأسمنت ، بينما بقي الجزء الآخر مبنياً بالخشب الذي ما زالت النقوش والزخرفة مرسومة عليه . وكان في المدرسة رباط للمتصوفة مسؤول عنه الشيخ عبد الرحمن الضمري [169] .

ومن الفقهاء الذين درّسوا بها ، القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد الجواتي وكان أماماً وخطيباً لجامع مدينة إبّ الكبير ، والفقيه عثمان بن عمر بن أبي بكر الناشري ، والقاضي تقي الدين عمر بن محمد بن علي المسلمي المشهور باليريمي [170] .

10 – المدرسة الجلالية السفلى : -

وتقع شرقي الجامع الكبير على مسافة قصيرة منه [171] . وكانت تسمى مدرسة الأمير غازي .

11- المدرسة الناصرية : -

لا تتوافر عن هذه المدرسة معلومات عن مؤسسها وتأريخه ، وورد ذكرها في ترجمة تقي الدين عمر بن أبي بكر الحارثي الذي كان مدرساً فيها ، ,دأب على الإعتكاف في المدرسة وتدريس طلاب مدينة إبّ. توفي بمدينة إبّ سنة 833 هـ ودفن بجوار قبر الشيخ حسام الدين بن عثمان بن فيروز من أعلام المائة الثانية عشرة [172] .

أما المدارس التي شيدت في عهد الطاهريين فهي : –

12 – المدرسة النظارية :

ابتناها الأمير جمال الدين محمد بن محمد بن معان النظاري ، وخصص لها وقفاً يكفي لتغطية نفقاتها ، مع مكتبة احتوت مجموعة من الكتب النفيسة . ولا تقع هذه المدرسة داخل المدينة وإنما خارجها وبمقابلها في سفح ريمان من جبل بعدان في المشنة.وقد نقش على بابها عبارة ((بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذه المدرسة

---

(169) الاكوع ، المدارس ، ص 234 .

المباركة الفقيه الأجل جمال الدين محمد بن محمد النظاري تقبل الله منه .)) [173] . ومازال بناء المدرسة قائماً .

إن عائلة النظاري هي من العوائل المشهورة في مدينة إبّ ومناطقها وكانوا أمراء بارزين في عهد الطاهريين ويمثلونهم في مدينة إبّ ونواحيها [174].

وبعد إنتهاء حكم الطاهريين تحصن شمس الدين محمد النظاري في حصن حب وأقام ما عرف بمملكة بعدان التي ضمت مدينة إبّ وبعدان وحصن حب وما حوله إلى أن قضى على حكم النظاري الوالي العثماني محمود باشا عندما غدر بعلي عبد الرحمن النظاري ، حفيد شمس الدين النظاري ، علماً أن شقيق علي وهو شجاع الدين عمر بن عبد الرحمن النظاري هو الذي أنشأ الساقية المشهورة في مدينة إبّ وأكملها بعد موته أخوه شمس الدين [175] .

13- مدرسة حب :

ابتناها الأمير علي بن عبد الرحمن بن محمد النظاري في حصن حب أي خارج مدينة إبّ[176] .

مدارس لم تذكرها المصادر : -

---

(170) المصدر السابق ، ص 234

(171) المصدر السابق .

(172) المصدر السابق ، ص 238 .

(173) الأكوع ، المدارس ، ص ص 253 ، 255 .

(174) المصدر السابق ، ص 255 .

(175) أنظر موضوع النظاري في الفصل الثالث ، والساقية ، في الفصل الأول .

(176) الأكوع ، المدارس ، ص ص 260 ، 261 .

توجد في مدينة إبّ مدارس مستقلة قديمة لم تتطرق إليها المصادر ، وقد اطلعنا عليها ميدانياً ، ومن خلال شروح عنها قدمها لنا مكتوبة الباحث الأبِّيّ محمد علي صالح الصهباني وهي : -

1- مدرسة السني :

وتنسب إلى الفقيه محمد حسن البريهي الذي كان يلقب بسيف السنة ، وهي أقدم مدرسة في مدينة إبّ تعود إلى عهد الصليحيين، وأوقف البريهي لها مكتبة وما تزال بنايتها قائمة مسجداً للصلاة .

2 - مدرسة عقيل بن عمر السقاف :

وتقع شمال مدينة إبّ ، ملاصقة لسورها وأصبحت في مدة معينة مقراً للصوفية وهي الآن عبارة عن مسجد و قد أزال السياغي عام 1370 هـ / 1952 م الغرفة التي كانت مخصصة فيها للطلبة القادمين من الريف (المهاجرين) ويعتقد أنها هي نفسها مدرسة (جرن الشريف) المار ذكرها .

3- مدرسة العقيم :

وكان يدرس فيها عبد الرحمن عقيم مؤلف تفسير القرآن الكريم على مذهب المعتزلة . ومع مرور الزمن أصبحت مسجداً حتى قطع مرتب مقيمها بحجة تعدد المساجد في إبّ ، فأتخذت مكاناً لتعليم الأطفال مبادئ القرآن الكريم من قبل معلم متطوع (معلامة) . وأصبحت في زمن ما سكناً .

4- مدرسة الكاظمي :

وتقع قرب الباب الكبير ، وهي ما زالت مسجداً قائماً بقبته البيضاء بناها الأمير عمر بن عبد الرحمن النظاري المتوفى سنة 965 هـ واسمه مكتوب على المدرسة وسميت بإسم سادنها المدفون فيها .

5- مدرسة ابن علون :

تقع جنوب الجامع الكبير وتم تغيير اسمها الى المخلطة وهي نفسها مدرسة الأمير سنقر. أصبحت مسجداً للنساء ثم أهملت .

6- مدرسة جرافة :

تقع شمال غرب مدينة إبّ كانت رباطاً صوفياً ومدرسة علمية قديمة أوقف لها علي عبد الرحمن النظاري أوقافاً جيده ، وكذلك الأمير عبد القادر الصهباني ، وتسمى ايضاً هجرة جرافة .

7- هجرة الحزر :

وهي مدرسة ابتناها الشيخ محمد بن عبد الله محمد الصباحي عام 1324 هـ/ 1906 م . ويقصد بـ(الحزر) الغرف التي كانت في مؤخرة الجامع الكبير من جهة الجنوب والشرق والغرب ، وهي منازل للطلبة المهاجرين من الريف فيها يبيتون و في حلقات الجامع يدرسون، وعندما هدمت هذه الغرف لتوسيع الجامع قام الصباحي ببناء هذه المدرسة وأطلق عليها هجرة الحزر وهي الآن عبارة عن مسجد يقع في الجنوب الغربي من الجامع الكبير .

8- مدرسة الحليب :

وتقع غربي الجامع الكبير وكان القاضي أبو بكر بن علي بن ناجي الحداد يقوم بالتدريس فيها ومن بعده القاضي حسن المقلمي ، وهي الآن مسجد للصلاة .

إن هذه الإضافة تعني أن عدد المدارس التي ابتنيت في مدينة إبّ حتى الحرب العالمية الأولى (20) عشرون مدرسة إذا استثنينا مدرستي ابن علوان وعقيل لأنهما أنفسهما مدرستا الأمير سنقر وجرن الشريف بالتتابع .

إن جميع هذه المدارس المارة الذكر لا تعدّ من المدارس الحديثة لأن هذه الأخيرة لم تظهر في مدينة إبّ إلا في زمن الإمام أحمد بن يحيى في الخمسينات من القرن العشرين حين تم افتتاح مدارس إبتدائية ومتوسطة في المدينة [177] .

ويبدو أن تدهور التعليم قد وصل مداه في مدينة إبّ بعد الحرب العالمية الأولى ،

---

(177) الأغبري ، المصدر السابق ، ص 32 .

حيث إن الثعالبي الذي زار مدينة إبّ عام 1924 م ، قال إن معاهد التعليم في مدينة إبّ لم يبق منها سوى سبعة كتاتيب للصبيان فيها (700) سبعمائة تلميذ ، ومدرسة علمية واحده لتعليم النحو والفقه و ما إليها من الفنون . وكانت أوقات التعليم في كل يوم تبدأ من صلاة الصبح إلى الضحى على الطريقة القديمة وقدر عدد سكان المدينة بستة آلاف نسمة بينهم خمسة وعشرون يهودياً [178] . والغريب أن أمين الريحاني الذي زار مدينة إبّ قبل الثعالبي بعام واحد قال إنه ((ليس في المدينة مدرسة غير ما في المساجد لتعليم القرآن)) [179] . وربما لم يفرق الريحاني بين المساجد والمدارس في إبّ لتشابه العمارة بين المسجد والمدرسة ، ولان الفرق بينهما لم يعد واضحاً بعد إنتهاء حكم الطاهريين ومجيئ حكم الإمام شرف الدين ، ومما يؤكد ذلك أن الصنعاني عندما ذكر مدينة إب في القرن الرابع عشر الهجري ، مطلع القرن العشرين لم يأت على ذكر المدارس ، وإنما ذكرها ضمن المساجد فقال ((وقدرت البيوت في مدينة إبّ في أول هذا القرن بخمسمائة بيت وسكانها بألفين وخمسمائة نسمة ومساجدها بأحد عشر مسجداً ويقال إن بعض جامعها الكبير عُمِّر بأمر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه)) [180] .

المدرسون الفقهاء في مدينة إبّ : -

يصعب على الباحث الإلمام بجميع من قاموا بالتدريس في الجامع الكبير ومدارس مدينة إبّ عبر مئات السنين ، لذلك من سيرد ذكره من المدرسين الفقهاء هم الذين وردت اسماؤهم وسيرهم في المراجع والمصادر التي توافرت لنا .

---

(178) الثعالبي ، الرحلة اليمانية ، ص 62 .

(179) أمين الريحاني ، ملوك العرب ، ص 108 .

(180) محمد بن محمد بن يحيى أبن عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن الحسين ابن أحمد زبارة الحسني الصنعاني ، تقاريظ نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف إلى1357 هجرية ، صنعاء ، بلا، ص 204 .

ولكي لا نقلل من شأن أي واحد منهم أثرنا تناولهم حسب تسلسل السنين آملين أن يكمل الباحثون من بعدنا من فاتنا ذكرهم من المدرسين الفقهاء في مدينة إبّ .

ولا بد من الإشارة الى أن سلاطين بني رسول قد كانوا يختارون أفضل المدرسين الفقهاء وأوسعهم معرفة وعلماً ، وخصصوا لهم رواتب مجزية من الأوقاف المدرسية الخاصة بها ، ومثلهم فعل الطاهريون [181] .

وكان المدرس يعين بأمر مكتوب من السلطان ، مما يدلل على المكانة الرفيعة والمنزلة العالية التي خص بها الرسوليون والطاهريون المدرّسين في مدارسهم . وقد اختلف الحال في مدارس الإمام شرف الدين ، حيث كان المدرّسون يتطوعون اختياراً ومن ذات أنفسهم للتدريس في المدارس من دون أجر ولا أمر بالتعيين [182] .

ومن هؤلاء المدرسين الفقهاء: -

1 - **الفقيه ابو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله البريهي :**

الملقب بسيف السنة المتوفى عام (585هـ / 1189 م) وذكر في موضع آخر أنه توفي بعد عام من هذا التأريخ [183] . بدأت دراسته في مدينة إبّ وسافر إلى مكة المكرمة وسمع عن الهروي كتاب (صحيح مسلم) في الحديث [184] . فمنحه الهروي إجازة سماع أورد الجندي في السلوك نصها وهو ((سمع على الشيخ الإمام السيد الفقيه الزاهد العابد سيف السنة أبي العباس أحمد بن محمد وأرخ ذلك أنه كان سنة أحدى

---

(181) الأكوع ، المدارس ، ص ص 11-12 .

(182) المصدر السابق ، ص 12.

(183) السروري ، المصدر السابق ، ص 553 .

(184) عمر بن علي بن سُمرة الجعدي ، طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق فؤاد سيد ، بيروت ، 1981م، ص 190

وثمانين في شهر المحرم)) [185] . بعد الخمسمائة. وقد بلغت مكانة الفقيه أحمد البريهي العلمية ، أنه منح وأولاده إجازة عالم عن الكتب التي درسها وسمعها ، قبل عام من سفره إلى مكة المكرمة . وقد ورد في نص هذه الإجازة التي منحها له الشيخ عبد الله بن عمر بن أحمد بن الحسين بن إبراهيم الوراق ((أستخرت الله العلي العظيم وأجزت الشيخ الإمام الأجل السيد الفقيه ناصر السنة أبا العباس أحمد بن محمد ولأولاده الكرام يحيى وعيسى وإسماعيل ومحمد وعلي أن يرووا عني مسموعاتي وإجازاتي وأرخ كون ذلك في ذي الحجة سنة ثمانين وخمسمائة))[186]

وعندما عاد الفقيه أحمد البريهي إلى مدينته إبّ عقد فيها مجلس سماع عن (صحيح مسلم) في الحديث , واصبح مدرّساً فيها ثم تولى رئاسة الفقه والحديث في المدينة [187] . وكان عالماً بالنحو واللغة وأصول الدين ايضاً . وكان الفقيه أبو عبد الله محمد بن مضمون بن الفقيه عمر بن محمد المولود عام 559 هـ /1163 م . قد انظم إلى مجلس أحمد البريهي مدة تقدر بأحدى عشرة سنة يدرس على يديه ، أقام منها في جامع إبّ الكبير (الخطابي) مدة سبع سنين ، كما ارتحل إلى البريهي في مدينة إبّ أبو الحسن علي بن أبي بكر بن حمير العرشاني المتوفى عام 557 هـ / 1161 م ، وأخذ عنه الحديث ا لشريف [188] .

2 - الفقيه عمر بن حسين بن أبي النهى :

وصفه الجعدي بأنه ماهر في الحساب والمواريث ، وتفقه به جماعة في الفرائض منهم عبد الرحمن بن يحيى بن أحمد الخليدي [189] . والفقيه عمر هو ابن الفقيه الحسين بن علي بن عمر بن أبي النهى الذي ابتنى مدرسة في الشوافي من أعمال إبّ أيام

---

(185) السروري ، المصدر السابق ، ص 565 .

(186) السروري ، المصدر السابق ، ص ص 566 – 567 .

(187) الجعدي ، فقهاء اليمن ، ص 109 ؛ السروري ، المصد رالسابق ، ص 575 .

(188) الأكوع ، المدارس ، ص 553 ؛ السروري ، المصدر السابق ، ص 577 .

الملكة الصليحية السيدة أروى وقد أهتدينا إلى ذلك من هامش إسماعيل الأكوع في كتابه المدارس الإسلامية في اليمن ، حين تطرق إلى (مدرسة ابن أبي النهى) وذكر أن الأهدل في تحفة الزمن قال إن مؤسس المدرسة الفقيه الحسين علي بن عمر له ولد اسمه عمر توفى عام 567 هـ [190] . وهو تأريخ وفاة الفقيه عمر بن حسن في ليلة عيد الفطر بمدينته إبّ، وللفقيه عمر ولد اسمه علي مات قبله بسنتين ودفنا في مقابر محطة مدينة إبّ [191] .

3 - الفقيه أسعد بن يعفر بن سالم بن عيسى العُريقي

تفقه على يد الحاشدي ، وحضر سماع (صحيح البخاري) في مدينة إبّ توفي سنة 567هـ [192] .

4 - الفقيه عبد الرحمن ابن الفقيه حسن أبن القاضي علي بن عمر بن محمد بن علي بن أبي القاسم الرياحي الحميري :

نقل الجندي عن الفقيه عثمان قوله عن الفقيه عبد الرحمن إنه كان من الرجال المعدودين في أهل الفقه والدين، درس الفقه على يد أبيه الفقيه حسن الرياحي الحميري والإمام إسماعيل الحضرمي والقاضي عياش من جبلة . ثم أصبح معيداً في المدرسة المظفرية ، وانتقل إلى مدرسة ذي هزيم الاتابكية ثم إلى النجاحية ، توفي في القرن السابع الهجري ، حيث لم تذكر المراجع تأريخ وفاته ، لكن تأريخ ولادة أبيه في سنة 611هـ [193] . يجعلنا نرجح أنه من فقهاء ذلك القرن في مدينة إبّ .

---

(190) الأكوع ، المدارس ، ص 15.

(191) الجعدي ، فقهاء اليمن ، 213 .

(192) الجعدي ، فقهاء اليمن ، ص ص 217 . 218 .

(193) الجندي ، السلوك ، حـ 1 ، ص ص 156 . 157 ، 160 .161 .

5 - **الفقيه أبو بكر بن علي الرضي بن جعفر :**

كان قارئاً للحديث في الجامع الكبير بمدينة إبّ وله مؤلفات أو قفها إلى الجامع . وكان مولد ه عام 652 هـ في جبلة [194] .

6 - **الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن محمد بن منصور الأصبحي :**

كانت حلقته الدارسية تجمع أكثر من مئة فقيه في غالب الأوقات وقد يصل عددهم أحياناً إلى مائتين . انتقل من مصنعة سير إلى مدينة إبّ فتلقاه أهلها بالأجلال والاكرام، هو ومن معه من الطلبة ، وتكفلوا بهم . توفي في يوم الجمعة السادس من شوال عام 690هـ. وعمره تسع وخمسون سنة ودفن إلى جانب قبر الفقيه سيف السنة أحمد البريهي [195] .

7 - **الفقيه أبو القاسم بن علي بن موسى الرواني الجبرتي لقباً والزيلعي بلداً :**

تفقه في تهامة ، ثم ذهب إلى مدينة إبّ وأصبح مدرساً في مدرسة بني سنقر ، ويقول الخزرجي و الجندي إن الناس انتفعوا به انتفاعاً عظيماً لا سيما أهل مدينة إبّ وما حولها . توفي في مدينة إب عام 702 هـ دفن فيها إلى جانب قبر سيف السنة أحمد البريهي وقبر أبي عبد الله محمد الأصبحي [196]

8 - **الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى ين مضمون :**

وصفه من عاصره من المؤرخين أنه كان فقيهاً عارفاً نحوياً بارعاً . ولي قضاء صنعاء ، فاصطدم بالاسماعليين وتمكنوا من عزله ، فعينه بعض أولاد اسد الدين

---

(194) المصدر السابق ، ص 165.

(195) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، حـ 2 ، ص 224 .

(196) الجندي ، السلوك، حـ 2، ص ص 162 . 163؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية حـ، ص ص 285-28

الرسولي مدرساً في المدرسة الأسدية بمدينة إبّ ، واستمر فيها إلى أن توفي عام 715هـ[197].

9 – الفقيه أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن سليمان الكندي نسباً والعتمي بلداً :

درس الفقه على يد أبي القاسم الأصبحي وابن عمر السفالي وكان إماماً لمدرسة حسن بن فيروز بمدينة إبّ . وصف بأنه كان فقيهاً فاضلاً عارفاً توفي عام723هـ[198]

10 – الفقيه أبو العباس أحمد بن سليمان بن أحمد بن صبرة الحميري :

قال عنه الجندي المتوفى عام 732 هـ إنه(فقيه مدينة إبّ الآن) في قرية مشرعة من معشار حصن أنور بوادي السحول ، وتفقه على يد أبي القاسم ومحمد الأصبحي ، كما قرأ الفرائض على طاهر . وأصبح إمام الجامع الكبير في مدينة إبّ وقام بالتدريس في بعض مدارس بني فيروز . توفي في شهر شوال لنيف وثلاثين وسبعمائة ، وقال الجندي عام 729 هـ[199]) .

11 - الفقيه أبو العباس أحمد بن يحيى بن ابي بكر محمد الكندي :

كان مدرساً حسن التدريس في مدرسة حسن فيروز بمدينة إبّ، تفقه علي يد أحمد بن سليمان بن صبرة ، وصفه الجندي أنه كان حازماً وباحثاً مرضياً عنه في الفقه . نقل من مدرسة حسن فيروز إلى التدريس في المدرسة المؤيدية بمدينة تعز . وعندما توفي عام 740 هـ نقل جثمانه إلى مدينة إبّ ودفن فيها [200]

---

(197) الجندي ، السلوك ، حـ 1 ، ص 469 ؛ الاكوع،المدرس،ص98.

(198) الجندي ، السلوك ، حـ 1 ، ص 164 ؛ الأكوع ، المدارس ، ص 144 .

(199) الأكوع ، المدارس ، ص 143 ، الجندي السلوك ، حـ 1 ، ص ص 163 . 164 .

(200) الجندي ، السلوك ، حـ 1 ، ص 164 ؛ الاكوع المدارس ، ص ص 143 –144 .

12 - **الفقيه الإمام صفي الدين أحمد بن حسن بن إبراهيم بن يحيى البريهي :**

دَرَسَ الفقيه على يد الفقيه جمال الدين محمد بن عبد الله الريمي في تعز وعلى المقرى أحمد بن محمد في مدينة إبّ , وعلى غيرهما . وسكن في بيت سيف السنة تحت التربة المباركة والمسجد المبارك وأحيا آثار سيف السنة الفقيه أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الله البريهي ، حيث قام بحفظ كتبه من الضياع وجدد ما شعث منها وصانها . ودرس في المسجد الجامع وفي الجامع المبارك وفي غيرها من المدارس وقرأ على الفقيه نفيس الدين العلوي البخاري وضبط نسخته من لفظه وقرأ عليه صحيح البخاري ومسلم والترمذي أيضاً في مدينة تعز . اشتغل في التدريس بمدينة إبّ وانتفع به الطلبه انتفاعاً كبيراً ((وما قرأ عليه أحد إلا انتفع بقراءته عليه ، وكانت له معرفة جيدة في معرفة كتب الفقهاء المسلمين من الخراسانيين كالوجيز والوسيط . وكان دأبة الإقراء بهما وبالمناهج للنووي والحاوي . وكان كثير التلاوة للقرآن ، وكان من أحسن الناس ضبطاً للكتب ، وكان كثير النسخ وكتبه مضبوطة محشاة أوقفها على ذريته ثم أقربائه . ولا يوجد نظير لها في ضبطها وحسنها .)) كذلك كان موفقاً في الاقراء والتدريس ، وله قصائد كثيرة في الزهد . توفي يوم الأحد السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة احدى وثمانمائة (801 هـ /) ودفن إلى جانب الفقيه سيف السنة أحمد البريهي في مدينة إبّ [201] .

13 - **الفقيه جمال الدين محمد بن محمد بن حسن البريهي :**

دأب في الإعتكاف في الجامع الكبير بمدينة إبّ وولي نيابته سنين طويلة ، وتولي نيابة مدرسة جرن الشريف في مدينة إبّ وعمّرها . وكان يتسلم راتب ناظر المدرسة المخصص من الوقف . وعندما قربت وفاته باع نصف بيته الذي يسكنه وصرف ثمنه

---

(201) البريهي ، صلحاء اليمن ، ص ص 85 . 86 .

لعمارة المدرسة وإصلاحها توفي عام 803 هـ ودفن عند قبر الفقيه سيف السنة أحمد البريهي [202] .

14 - **الفقيه عبد الله بن محمد بن علي بن عمر بن منصور الصراري :**

انتقل من قرية شنين في عزلة السحول إلى مدينة إبّ ، فأضيف اليه إمامة الجامع الكبير والتدريس فيه وفي بعض مدارسها . وكان قد قرأ في مواضع متفرقه من اليمن على أيدي أئمة الفقه منهم الحافظ رضي الدين أبو بكر الحضرمي الذي اجاز له بجميع ((فنون العلم))[203] .

15 - **الفقيه عفيف الدين عبد الله بن محمد الكاهلي :**

درس الفقه في مدينة زبيد , وكانت له معرفة جيدة في (التذبية) و ((المهذب)) ، عمل في التدريس والفتوى بمدينة إبّ ، وهو أصلاً من بلدة ريمة الاشابط ، لكنه ارتحل منها في صغره وأستقر وتزوج في مدينة إبّ . توفي فيها يوم الاحد السادس عشر من ربيع الأخر من سنة عشر وثمانمائة (810 هـ [204] .

16 - **المقرئ تقي الدين عمر بن أبي بكر الكلالي :**

أقام في الجامع الكبير بمدينة إبّ ، وأصله من قرية مطاية بنواحي جبل بعدان ، ثم انتقل إلى مدينة إبّ ، فقرأ على يد المقرئ عفيف الدين عبد الله الشنيني وأجاز له ، فكان جيد القراءة حسن الصوت، بذل جهداً في تدريس القراءات السبع للطلبة توفي عام 817 هـ / [205] .

---

(202) الأكوع ، المدارس ، ص ص 218 – 319 ، 87 . 88

(203) الاكوع،المدارس، ص 146 .

(204) عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي السكسكي اليمني ، طبقات صلحاء اليمن المعروف بتأريخ البريهي ، تحقيق عبد الله محمد الحبشي ، صنعاء ، بلا ، ص ص 86 . 87 .

(205) البريهي ، صلحاء اليمن ، ص 105 .

17 - **المقرئ البصير تقي الدين معوضة بن حسن العنسي :**

كان ملماً بكثير من العلوم اصله من بلد العنسيين في العدين ، ثم انتقل إلى ذي جبلة وأقام بها مدة ثم انتقل إلى مدينة إبّ ، وأصبح إماماً في المدرسة الجلالية العليا ((وسلك الطريق المحمودة في التدريس والعبادة)) توفي عام 820هـ [206]

18 - **القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد النحواني** (207) **:**

أصله من مدينة وصاب ، تفقه على يد عدد من الفقهاء في وصاب وشنين من ناحية السحول وتعز وذي السفال . وتفقه أيضاً على يد الفقيه صفي الدين أحمد بن حسن البريهي في مدينة إبّ . أصبح مدرساً في المدرسة السيفية بذبحان ، ثم عمل بالقضاء في جبلة ، مع التدريس والخطبة في المدرسة الفرحانية ، حصلت له مشاكل في القضاء والأوقاف في قضاء الدملوة الذي عمل فيه ، فاستدعاه الشيخ جمال الدين الجلال بن محمد السيري إلى مدينة إبّ ، وعّينه أماماً ومدرّساً في مدرسته بالمدينة ، الجلالية العليا ، وأضاف إليه خطبة الجامع الكبير (الخطابي) ، وولاه القضاء على السحول ، ثم استقام بوظيفة القضاء بمدينة إبّ ، ولم يشغله القضاء عن التدريس وتحصيل العلم ، فكانت له عدة مؤلفات ، كما كان له ميل إلى التصوف . توفي عام 823 هـ [208].

19 – **صفي الدين أبو العباس أحمد بن بكر بن أحمد بن محمد بن يحيى البريهي :**

تفقه على خاله و ابن عمه الفقيه صفي الدين أحمد بن حسن البريهي . والفقيه عفيف الدين عبد الله بن محمد الكاهلي في مدينة إبّ ، وعدد أ خر من الفقهاء.

---

(206) البريهي ، صلحاء اليمن ، ص 105 ؛ الأكوع ،المدارس،ص233.

(207) جاء ذكره لدى الأكوع في المدارس بإسم الجواتي ، ويبدو أن عدم وجود التنقيط للحروف في المخطوط أدى إلى هذا الإختلاف . أنظر البريهي ، صلحاء اليمن ، هامش صفحة 2 .

(208) البريهي ، صلحاء اليمن ، ص ص 89 . 91 .

سافر إلى مكة المكرمة فأجاز له جماعة من الفقهاء والمحدثين فيها . كرّس جهوده العلمية للطلبة ولتأليف الكتب ، فصارت له عدة مؤلفات . ابتدأ بالتدريس بعد وفاة خاله الفقيه صفي الدين أحمد بن حسن البريهي واستمر بالتدريس محل خاله المتوفى مدة ثلاثين سنة . ويقول البريهي إنه عمر المساجد والمدارس في مدينة إبّ عمارة جيدة وتولى القضاء فيها أيضاً [209]

20 - **القاضي تقي الدين عمر بن محمد بن علي المسلمي المشهور باليريمي :**

قرأ الفقه على والده بمدينة يريم ، ثم انتقل إلى تعز وقرأ على يد بعض الفقهاء فيها . ثم ذهب إلى إبّ وتزوج منها ، وعينه الشيخ الجلال السيري في مدرسته ، المدرسة الجلالية العليا، فقضى فيها مدة يقرئ ويدرس ويفتي . ثم عاد إلى تعز . وتوفي في الجند في 19 صفر 828 هـ [210] .

21 – **الفقيه شهاب الدين أحمد بن مطهر بن موسى الحميري الموسوي :**

وصل إلى مدينة إبّ للدراسة فيها ، فاجتهد حتى حفظ القرآن الكريم ثم حفظ منظومة الحاوي ، وهو كتاب شهير في الفقه الشافعي وبعض كتب النحو . درس الفقه على يد الفقهاء صفي الدين أحمد بن بكر البريهي وجمال الدين محمد بن عبد الله الكاهلي وفي النحو على يد القاضي محمد بن أبي بكر البريهي . والفرائض علي يد صفي الدين أحمد بن محمد البريهي في مدينة إبّ . ثم ذهب إلى صنعاء ، فدرس النحو، وحصل على إجازة من الفقهاء هناك ثم عاد إلى مدينة إبّ وقام بالتدريس فيها ، ثم درس في الشماحي ثم في حقلة ثم انتقل إلى وصاب يدرس ويفتي إلى أن توفى عام 830 هـ و أوصى أن تخصص كتبه وقفاً في مدينة إبّ للفقهاء من بني البريهي [211].

---

(209) المصدر السابق ، ص ص 96 . 98 .

(210) الأكوع ، المدارس، ص ص 233– 234 .

(211) البريهي ، صلحاء اليمن ، ص ص 36 – 37 .

22 -**الفقيه تقي الدين عمر بن ابي بكر الحارثي :**

كان مدرسا في المدرسة الناصرية بمدينة ابّ ،اختص في النحو والوعظ .تفقه بالفرائض على ابن عمه الفقيه ابراهيم بن ابي بكر الحارثي والفقيه احمدبن حسين البريهي والفقيه عبد الله الكاهلي في مدينة إب .دأب في الاعتكاف بالمدرسة الناصرية والتدريس فيها ،وقد انتفع منه العديد من الطلبة في مدينة إبّ .توفي عام 833هـ ودفن فيها.[212]

23 - **الفقيه صفي الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر البريهي :**

هو فقيه ونحوي درس الفقه على يد عمه صفي الدين أحمد بن أبي بكر البريهي، وجمال الدين محمد بن عبدالله الكالهي . ودرس النحو على يد والده جمال الدين محمد بن أبي بكر البريهي والفقيه أحمد بن مطهر الوصابي . ودرس القراءات السبع على يد المقرئ عبد الرحمن الملحاني والمقرئ عثماني النجراني . ودرس الحديث على يد الإمام نفيس الدين العلوي وتقي الدين المالكي ودرس الفرائض على يد الفقيه صفي الدين النجدي. وتولى نيابة القضاء عن والده بمدينة إبّ ، ثم انتقل إلى التدريس والإفتاء فيها فأفاد العديد من الطلبة وكانت له معرفة جيدة في كتاب (بهجة الحاوي) وشرع في تأليف شرح له سماه (التعليق) لكنه توفي قبل انجازه وله (الكلام البديع في النسبة والتقطيع) ودرس شرح الجبر للمزيحفي . كان يعين طلبته في التعليم والتدريس .توفي عام 833 هـ[213] .

24 - **الفقيه موفق الدين علي بن عطية الدملوي :**

وهو من مدينة الدملوة ثم انتقل منها إلى مدينة إبّ ، واشتغل في تعليم تلاوة القرآن الكريم ، تفقه على يد الفقيهين عفيف الدين الكاهلي و أحمد بن حسن البريهي وغيرهما من فقهاء مدينة إبّ .انتقل إلى مدينة جبلة ومدينة تعز ثم اشتغل بالتجارة ،

---

(213) البريهي ، صلحاء اليمن ، ص ص 99 –102 .

وعاد إلى مدينة إبّ ليعمل في التدريس وأخذ عنه العلم جماعة من الطلبة. توفي عام 836 هـ [214] .

25 - **القاضي جمال الدين محمد بن أبي بكر البريهي :**

كان ضليعاً في علم النحو وعلم الحديث والفقه .تفقه على يد عمه وخاله الفقيه أحمد بن الحسن البريهي والفقيه عبد الله بن محمد الكاهلي والأمير شمس الدين فيروز . ودرس الحديث عن الإمام نفيس الدين العلوي والشيخ محي الدين الفيروز أبادي. وأصبح قاضياً في إبّ بعد وفاة أخيه . وكان قبل توليه القضاء ملازماً لطلب العلم ((درساً على من هو أفقه منه وتدريساً لمن هو دونه)) توفي في شهر رمضان عام 838 هـ [215] .

26 – **الفقيه جمال الدين محمد بن عبد الله الكاهلي :**

سلمت إليه رئاسة الفقه في مدينة إبّ . درس الفقه على يد والده عفيف الدين عبد الله بن محمد الكاهلي ، وخاله صفي الدين أحمد بن حسن البريهي ، والفقيه رضي الدين الشنيني ورضي الدين الخياط . ثم سافر إلى مكة المكرمة ودرس فيها لمدة سنة على يد الفقهاء هناك وقد أثنوا عليه وطلبوا بقاءه ، ولكنه عاد إلى مدينة إبّ((تصدى للتدريس والفتوى وانتفع به الطلبة وقصدوه من البلدان الشاسعة)) واستمر في التدريس لأكثر من أربعين عاماً . كان يحضر مجلس تدريسه ((نيف واربعون رجلاً من الفقهاء والقضاة)) . توفي عام 839 هـ ودفن في مدينة إبّ [216] .

---

(214) البريهي ، صلحاء اليمن ، ص ص 102 . 103 .

(215) المصدر السابق ، ص ص 98 . 99 .

(216) البريهي ، صلحاء اليمن ، ص ص 93 . 94 .

27 - الفقية صفي الدين أحمد بن عبد الله الكاهلي :

درس الفقه على يد والده عفيف الدين وخاله صفي الدين أحمد بن حسن البريهي . وسمع من الإمام جمال الدين الريمي والإمام نفيس الدين العلوي بعض كتب الحديث . ويضيف البريهي ((انتفع على يده جماعة من الطلبة قل من قرأ عليه إلا انتفع وكان يقرأ عنده أو يقرأ هو صحيح الإمام البخاري في كل سنة بشهر رمضان)) . توفي في ذي الحجة عام 839 هـ بمرض الطاعون بمدينة إبّ [217]

28 – المقري تقي الدين عمر بن عيسى الخطيب :

كان خطيباً في جامع مدينة إبّ . له إطلاع في الفقه ((وانتفع عليه جماعة من الدرسة في النحو والقراءآت السبع ، وكان كثير الإعتكاف في الجامع المبارك باذلاً نفسه للطلبة ودام على ذلك سنين طويلة)) توفي بمرض الطاعون في مدينة إبّ سنة 839 هـ [218].

29 – <u>الفقيه المقرئ عفيف الدين عثمان بن عمر الناشري</u> :

حفظ القرآن الكريم وجمع القراءات السبع عند المقرئ شهاب الدين بن أحمد بن محمد الأشعري قبل بلوغه عشرين عاماً . وقرأ النحو على يد الشيخ إسماعيل بن إبراهيم البومة . والإمام المقدسي وغيرهما . وقرأ الحديث والفقه على يد العديد من الفقهاء وأجازوا له .عينه السلطان الظاهر مدرساً في مدرستي الظاهرية والمرشدية في تعز فعمل حوالي عشر سنوات وعندما أضطربت الأحوال في تعز انتقل إلى مدينة إبّ ، فتلقاه الشيخ شهاب الدين أحمد بن الليث السيري وعينه مدرساً في مدرسته الأسدية ، وخصص له راتباً . توفي في يوم الأحد تاسع عشر من شهر ذي الحجة عام 848 هـ [219].

---

(217) البريهي ، صلحاء اليمن ، ص ص 94 . 95 .

(218) المصدر السابق ، ص ص 110 . 111 .

(219) المصدر السابق ، ص ص 113 . 116 ؛ الأكوع ، المدارس ، ص 98 .

30 – **المقرئ الفقيه شمس الدين علي بن أبي بكر السحولي :**

طلب العلم في تعز وصنعاء ، ثم انتقل من تعز إلى مدينة إبّ وإقام فيها حوالي أربع سنوات يدرس ويفتي إلى أن توفي يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر ذي الحجة عام 852هـ.

***

وهناك فقهاء ومدرسون في مدينة إبّ ورد ذكرهم في التأريخ الحديث المعاصر وقد كتب لنا الباحث الإبِّيّ محمد علي صالح الصهباني سيرةالبعض منهم وهم :

1 - **شيخ الاسلام ومفتي إب محمد بن علي بن محسن الحبيشي الوصابي :**

مؤلف كتاب(فتح المنان شرح زيد بن رسلان) طبع عام 1267 هـ / 1859 م وكتاب (نصيحة الطلاب في اقتناص العلم بالاداب) وكان طلاب هجرة الحزر يحفظونها عن ظهر قلب . وحفظها شرط لازم على الطالب . وكان الحبيشي مدرساً في مدرسة (هجرة الحزر) توفي عام 1283 هـ بمدينة إبّ .

2 -**الفقيه قاسم بن علي بن شجاع الدين :**

بدأ التدريس في مدرسة هجرة الحزر عام 1340 هـ حتى 1371 هـ . وكان يدرس المتون وشروحها ، ومنه ينتقل الطلاب إلى حلقات الفقيه قاسم بن ناجي الضراسي . وفي سنة 1371 هـ فصل الفقيه شجاع الدين من المدرسة بأمر الأمير أحمد السياغي ، ولكنه أبقى على مرتَّبه وألزمه سكن مدرسة هجرة جرافة دون أن يدرس . وفي عام 1373 هـ عُين مدرساً بالمدرسة التي أنشأها السياغي في الجامع الكبير . توفي عام 1381 هـ . ويضيف الباحث الإبِّيّ الصهباني أن الأجيال جميعها التي تخرجت من مدرسة هجرة الحزر قد درست على يد العامل الفقيه قاسم شجاع الدين ويصفه بمربي الأجيال والعالم الفاضل في علوم الشرع والفقه والفرائض و النحو والصرف . ويعود

نسبه إلى عبد الرحمن بن عمر ان الحبيشي الأصابي . وتعود هذه الأسرة إلى أسرة المفتي الحبيشي التي أنجبت الفقهاء والمدرسين والقضاه في عصر الرسوليين .

3 -**الفقيه قاسم بن ناجي الضراسي :**

هو من قرية ضراس إحدى قرى عزلة نخلان في قضاء ذي السفال ، درس في قريته ، وتعلم في زبيد ، ثم رحل إلى مكة المكرمة . قدم إلى مدينة جبلة للتدريس في جامعها . فلما سمع الأمير إسماعيل بن محمد بن عبد الله باسلامه بقدومه إلى جبلة، دعاه إلى مدينة إبّ ، وعندما وصل إليها أكرمه وعيّنه مدرساً في هجرة الحزر ، فكان قدومه إلى مدينة إبّ حجر الأساس لنشر العلم وبث المعارف . كان من معاصري المؤرخ اليمني محمد علي الأكوع الذي ذكر أنه نشأ في مدرسة الضراسي ، وقررت الحكومة المتوكلية صرف مرتب له من وقف مدرسة هجرة الحزر بمسعى من الأمير إسماعيل ، يضاف إلى هذا ما كان يقدمه الأمير إسماعيل نفسه من مساعدات لتغطية نفقات التدريس ومستلزماتها . وقد قام الضراسي بالتدريس بمدرسة الأمير غازي المسماة الجلالية السفلى ، ثم في الجامع الكبير ثم بغرفة في هجرة الحزر حتى توفاه الاجل عام 1363 هـ وقد رثاه عدد من الفقهاء والقضاة

4 -**الفقيه أحمد بن قاسم بن ناجي الضراسي :**

حل محل والده قاسم الضراسي بعد وفاته عام 1363 هـ في التدريس بمدرسة هجرة الحزر ، إلى أن أقاله الأمير أحمد السياغي نائب الإمام عن وظيفة التدريس وتوفي عام 1393 هـ.

5 -**الفقيه محمد أحمد قاسم الضراسي :**

وهو ابن الفقيه أحمد بن قاسم الضراسي . كان بصيراً لا يرى النور ، استمر بالتدريس في الجامع الكبير صباحاً، وفي مدرسة هجرة الحزر ، وكان ينوب في حلقات الجامع عن والده في حياته.

6 -القاضيان الشقيقان أحمد وعبد الله :

ولدا القاضي علي بن صالح العنسي ، قاما بمهمة التدريس في مدينة إب ، في عهد والدهما ومن بعده في عصر الدولة المتوكلية أيام الإمام يحيى بن حميد الدين.

7 -الفقيه محمد الناهي :

كان يدرس بمدرسة الحصن المعروفة الآن بمسجد صبان . توفي عام 1344 هـ

8 - -القاضي أحمد بن قاسم بن حفظ الدين الشعبي :

هو من أسرة علم ومعرفة في مدينة إبّ ، ومركزهم الأصلي قُرَينْ طبيع في بعدان. وقد استقر القاضي أحمد في مدينة إبّ لأن والدته من آل الخباني في إبّ . وقد نشأ ودرس وترعرع في هذه المدينة ، وكان يقوم بتدريس العلوم الشرعية في الجامع الكبير. توفي عام 1385 هـ .

9 -الفقيه أحمد بن علي بن سعيد البصير :

كان يوثق العقود الشرعية في مدينة إبّ ، ويقوم بالتدريس في حلقات تعقد في الجامع الكبير . توفي في العقد التاسع من القرن الرابع عشر الهجري .

10 -الفقيه محمد بن ناجي بن سعيد وهابي الصباحي :

قام بالتدريس في مدرسة هجرة الحزر ومدرسة الأمير غازي (سنقر السفلى) ومدرسة هجرة جرافة . توفي عام 1413 هـ .

9 -الفقيهان علي بن علي مطيع وعبد الله بن يحيى العنسي :

كلاهما هاجر من قرى غرب إبّ إلى مدينة إبّ ، ودرسا في مدرسة هجرة الحزر ، وقد استمرا بالتدريس تطوعاً حتى وفاتهما دون أن يتزوجا .

10 -**الفقيه علي فالح البعداني :**

هاجرمن قرية السرمدة ريمان إلى مدينة إبّ وقام بالتدريس في مدرسة هجرة الحزر.

مدارس مدينة جبلة : -

كانت مدينة جبلة مثلها مثل مدينة إبّ من أوليات المدن اليمنية التي أنشئت فيها مدرسة مستقلة قبل الأيوبيين . وقد شهدت في العهود الأيوبية والرسولية والطاهرية تشييد مدارس مستقلة فيها ، بالرغم من أنها ليست مدينة قديمةلأنها بنيت في عهد الصليحيين لتكون عاصمة لهم ، وقد فقدت أهميتها السياسية بعد زوال حكم الملكة الصليحية السيدة أروى بنت أحمد عند وفاتها عام 532 هـ ومع ذلك أنشئت فيها مدارس في المدة الزمنية التي أعقبتهم . ويمكن أن نحدد أبرز مدارس مدينة جبلة وأهمها على النحو الآتي : -

1 - **مدرسة ابن أبي الأمان :**

أنشأها الشيخ أبو الحسن علي بن أبراهيم بن أبي الأمان عام 558 هـ / 1062 م في مدينة جبلة ، وهي أو ل مدرسة مستقلة في اليمن مثل مدرسة السني في إبّ ، قام بالتدريس فيها أبو عبد الله محمد بن عيس بن سالم الميتمي ، وكان الميتمي قد سكن في جبل الجبابي عزلة أنامر أعلى وهو قريب من جبلة إلى أن استدعاه أبو الأمان للتدريس في مدرسته بجبلة ، ولم تعرف وفاته ولكن مولده كان عام 532 هـ [221] .

2 - **المدرسة الفاتنية :**

ابتناها الخادم الحبشي فاتن بن عبدالله المعزي ، وهو من موالي المعز إسماعيل بن طغتكين الأيوبي ، وكان هذا الخادم متعلقاً بالعلم وأهله . ولم يعرف تأريخ وفاته[222].

---

(221) الأكوع ، المدارس ، ص ص 15 . 16 .

(222) المصدر السابق ، ص 22 .

3 - **المدرسة الغومانية :**

وهي أولى المدارس التي بنيت في جبلة في عهد الرسوليين ، ويقال لها (مدرسة غومان) وتقع في الشمال الغربي من جبلة . نسبة إلى قصر غومان الذي لم يبق له أثر هو والمدرسة .ابتنتها الحرة لؤلؤة زوج الأمير علي بن رسول ، وقد دفنت في المدرسة بعد وفاتها .

كان أمر التدريس فيها إلى الفقهاء بني شها ب ، وممن قام بالتدريس فيها يحيى بن سالم بن سليمان بن الفضل بن محمد عبدالله الشهابي الكندي ، وكان والده قد انتقل من بلد بني شهاب وسكن في مدينة جبلة ، وتفقه ولده يحيى بفقيه كان يسكن الجبال ، فكان أول من قام بالتدريس في المدرسة الغومانية ، توفي في المدرسة في أواخر شهر ربيع الاخر من عام 670 هـ . وقام بالتدريس بعد وفاته ابنه الفقيه عبد الرحمن بن يحيى بن سالم الشهابي . وقد انتهت إلية رئاسة الفقه والفتوى في مدينة جبلة ، قام بالتدريس في المدرسة الشرفية عندما ابتنتها السيدة الدار النجمي ، وكان أول مدرس يقوم بالتدريس فيها ، ولما توفي والده انتقل من التدريس في المدرسة الشرفية إلى المدرسة الغومانية . وتوفي في جمادي الأول من سمنة 688 هـ. ومن الذي درّسوا في المدرسة ايضاً أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بين سالم حيث استمر بالتدريس فيها بعد وفاة ابن أخيه حتى وفاته في شوال من عام 732 هـ . ومن المدرسين الأخرين في المدرسة الغومانية أبو عبدالله الحسين بن علي بن عمر بن محمد بن أبي القاسم المتوفى عام 680 هـ [223] .

4 - **المدرسة النجمية :**

كانت في الأصل داراً ، فاشترته خاتون الملقبة (الدار النجمي) وهي أخت السلطان الرسولي المنصور عمر بن علي بن رسول ، وابنة علي بن رسول ، وحولت الدار

---

(223) الأكوع ، المدارس ، ص ص 57 –58 .

إلى مدرسة سمتها بإسم زوجها الأمير نجم الدين بن أبي بكر بن زكريا ، أحد أمراء الأكراد الذين قدموا إلى اليمن ، وقتل عندما أرسله السلطان المنصور إلى حضرموت للإستيلاء عليها . وقد ألحقت الدار النجمي بالمدرسة مسجداً سمي الدار النجمي .

قام بالتدريس في المدرسة الفقيه أبو الحسن علي بن أبي السعود بن الحسن ، وهو أول مدرس في المدرسة النجمية ، وقام بالتدريس فيها ايضاً أبو المعالي سعيد بن منصور بين علي بن عبدالله بن إسماعيل بن أحمد بن أبي الخير بن مسيكين . توفي عام 660 هـ. كذلك قام بالتدريس في هذه المدرسة الفقيه أبو عبدالله محمد بن غانم الذي حصل على رئاسة الفتوى . توفي عام 730 هـ . وقام بالتدريس فيها أحمد بن عمر من بني العسيل من فقهاء حبيش ، والفقيه أبو محمد عبد الله بن علي بن أحمد بن علي بن أبي بكر العوشاني ، ووصف هذا الأخير بأنه كان صبوراً على التدريس وذا مسموعات وإجازات من الشيوخ الأكابر وتوفي عام 676 هـ . ودرس في المدرسة النجمية أيضاً أبو الفضل عباس بن منصور بن عباس البريهي السكسكي وعمر بن محمد بن سليمان بن حميرة الصهباني و أبو محمد عبد الله بن عمر بن سالم الفائشي ، وهذا الأخير استمر مدرسا في النجمية حتى وفاته عام 695 هـ . ولم تكن المدرسة وحدها مكانا للتدريس، بل المسجد المجاور لها الذي قام بالتدريس فيه أبو عبد الله محمد بن مصباح بن عبد الرحيم الأحولي العنسي [224] .

5 - المدرسة الشهابية :

ابتنتها الدار النجمي ، وأسمتها باسم أخ لها هو شهاب الدين محمد بن علي بن رسول . ويقول الأكوع أن هذه المدرسة هي التي كان القضاة يتولونها . وكلما جاء حاكم إلى مدينة جبلة سكن فيها . حتى كان آخر ايام السلطان المؤيد ، عندما طلب الفقيه عمر التباعي من المؤيد أن يهب له المدرسة الشهابية فوهبها له [225] .

---

(224) الأكوع ، المدارس ، ص ص 58 . 61 .

(225) الأكوع ، المدارس ، ص 61.

6 - **المدرسة الشُرفية :**

ابتنتها الدار النجمي بنت علي بن رسول ، وأطلقت عليها إسم الشرفية نسب إلى أخيها الأمير شرف الدين موسى بن علي بن رسول المتوفى في سجنه بمصر ، حيث أن السلطان المسعود الرسولي قد سجنه هو وأخويه ، وأرسلهم إلى مصر فسجنوا فيها ومات شرف الدين في مصر .

أُلحِق بالمدرسة مسجد صغير في مدخلها كان يدرس فيه صحيح البخاري وصحيح مسلم . ومن الفقهاء الذين قاموا بالتدريس فيها أبو الفرج عبد الرحمن بن يحيى بن سالم بن سليمان الشهابي ، وهو أول مدرّس فيها. وقام بالتدريس فيها أيضاً ابنه محمد بن عبد الرحمن بن يحيى الشهابي . وكذلك الفقيه أبو عبد الله محمد بن ينال الدين ، واضب على التدريس في الشرفية حتى وفاته عام 691 هـ . ومن مدرسيها الفقيه يحيى بن عثمان بن يحيى بن فضل بن أسعد بن حمير بن جعفر بن أبي سالم المليكي ثم الحميري كان يأتي من قريته الملحمة ليدرس في الشرفية . وكان يصرف ما يستلمه من مرتب التدريس على المحتاجين من طلبة العلم . توفي عام 698 هـ . وقام بالتدريس فيها أيضاً الفقيه أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن عمر المعروف بالأحنف المتوفى عام 717 هـ وله مصنفات في التفسير والحديث واللغة . ومن مدرّسي المدرسة الشرفية الفقيه أبو بكر بن محمد بن أبي الرجاء في الفتوى والتدريس [226]

7 - **المدرسة الزاتية :**

ابتنتها إحدى وصيفات الدار النجمي ، واسمها زات دارها ، فسميت المدرسة نسبة اليها . وتقع في حارة المحكمة بمديرية جبلة . قام بالتدريس فيها الفقيه أبو الفضل عباس بن منصور بن عباس البريهي السكسكي وقد انتفع من علمه كثيراً طلبة مدينة جبلة ، توفي عام 683 هـ . كما قام بالتدريس فيها الفقيه أبو بكر محمد بن سعيد بن

---

(226) المصدر السابق ، ص ص 62 –64 .

علي الحفصي الأزدي المشهور بأبي العراف ، والفقيه حسين بن علي بن أبي بكر بن الوليد المعروف بأبن أبي دهش الغريقي ، المتوفى عام 739 هـ ، والفقيه الخضر من ناحية المشيرق [227] .

8 - **المدرسة النظامية :**

بناها في مدينة جبلة خادم السلطان المظفر الرسولي ، نظام الدين مختص بن عبد الله المظفري [228] .

9 - **مدرسة ذرا :**

يقول الأكوع ، إنها بنيت في أرباض مدينة جبلة من جهة الغرب وإنه قد زارها ، فلم يجدها حيث أصبح مكانها مقبرة لأهل جبلة [229] .

10 – **المدرسة الفتحية :**

جاء ذكر هذه المدرسة في طبقات صلحاء اليمن للمؤرخ البريهي ، من خلال سيرة الفقيه رضي الدين أبي بكر محمد بن عمران المعروف بالطابة والذي تولى التدريس فيها بعد وفاة شيخه المأربي . قرأ الفقيه رضي الدين في مدينة جبلة النحو والحديث والقراءات السبع والتفسير على جماعة من الفقهاء وقرأ على الإمام الفرضي يوسف المأربي الفرائض وعلى الإمام محمد بن عبد الله أبن سليم مصنف شرح الهندي ، وتوفي في أواخر عام 800 هـ . وقام بالتدريس في هذه المدرسة بمدينة جبلة الفقيه جمال الدين محمد بن عبد الله بن سالم الخولاني قرأ الفرائض على الإمام شمس الدين

---

(227) الأكوع ، المدارس ، ص ص 64 –65 .

(228) المصدر السابق ، ص 84.

(229) المصدر السابق ، ص 172 .

يوسف المأربي والإمام الفرضي علي بن عمر بن سعيد العقيبي الذي أفتى وقام بالتدريس أيضاً بمسجد الدار . وتوفي عام 805 هـ [230] .

11 - **المدرسة الوزيرية :**

لا تتوافر عنها معلومات سوى أنها بنيت في مدينة جبلة [231] .

إن إنشاء المدارس في مدينة جبلة كان أقل في العدد من مدينة إبّ ، بل نلاحظ أنه لم يتم إنشاء المدارس في جبلة أيام الطاهريين . من جانب أخر فأن السلاطين الأيوبين والرسوليين والطاهريين الذين اهتموا بتشييد المدارس في مدينة إبّ ، لم يقوموا بتشييد المدارس في مدينة جبلة بأنفسهم ولم نجد مدرسة تنسب إليهم في المدينة ، وانما قام بذلك أقرباؤهم أو خدمهم . ومن الواضح أنّ النساء ولاسيما الدار النجمي كان لها إهتمام بتشييد المدارس في مدينة جبلة ، وهي أخت السلطان الرسولي المنصور عمر بن رسول فعلت مثلها زوج علي بن رسول في بناء مدرسة واحدة في جبلة ، ولم نعثر على ما يدلنا عن تشييد مدارس مستقلة أيام الصليحيين في عاصمتهم جبلة ، ومع ذلك يبقى السبق لمدينة جبلة في بناء المدارس المستقلة في اليمن ، عندما شيد فيها ابن أبي الأمان أول مدرسة مستقلة بمبادرة منه قبل دخول الأيوبيين إلى اليمن .

المدرسون الفقهاء في جبلة :

1 - **الفقيه أبو محمد سعيد بن أسعد بن علي الحرازي :**

كان حسن الصوت والخط ، فاستدعته الدار النجمي إلى ذي جبلة فصار معلماً عندهم . وتعرف السلطان الملك المظفر عند زيارته مدرسة الدار النجمي ، فجعله معلماً لولده الأشرف . توفي عام 678 هـ [232] .

---

(230) البريهي ، صلحا ء اليمن ، ص 121 ؛ الأكوع ، المدارس ، ص ص 236 . 237 .

(231) الأكوع ، المدارس ، ص 243 .

(232) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، حـ 1 ، ص 188 .

2 - **الفقيه أبو زكريا يحيى بن عثمان بن يحيى بن فضل بن أسعد بن حمير بن جعفر بن أبي سالم المليكي:**

إليه انتهت رئاسة التدريس . قام بالتدريس في المدرسة الشرفية في جبلة . توفي عام 678 هـ[233]

3 - **الإمام رضي الدين أبو بكر بن محمد بن عمران المعروف بالكآبة :**

قرأ في مدينة جبلة النحو والحديث والقراءات السبع والتفسير على يد جماعة من فقهائها ، ثم تولى التدريس بالمدرسة الفتحية بعد موت شيخه المأربي ، وصفه البريهي بأنه كان إماماً جليلاً عالماً وله قريحة حسنة وشعر جيد ، وكان يؤلف الختم والشعر المسجوع . توفي في اواخر المائة الثامنة للهجرة [234] .

4 - **الإمام رضي الدين أبو بكر بن محمد بن صالح بن أبي بكر بن عمر الهمداني المشهور بابن الخياط :**

قرأ على الأئمة ومنهم : الإمام خطيب الخطباء محمد بن عبد الرحمن بن الرخا الذي انتهت إليه الرئاسة في التدريس والفتوى بمدينة جبلة ونواحيها ، والقاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن عباس والإمام جمال الدين الريمي . وكان ابن الخياط من أشهر تلامذة هذا الأخير الريمي الذي أثنى عليه لذكائه فعينه معيداً للطلبة في مدينة تعز . وقد أجاز هؤلاء جميعاً وغيرهم لأبن الخياط في سائر فنون العلم ، فقام بالتدريس والفتوى ((وانتفع به الطلبة في البلدين [جبلة وتعز])) وكانت له إعتراضات وتصويبات لكلام بعض الائمة ممن سبقوه . وجمع فصلاً في معرفة ما يحل أكله من الطيور وما لا يحل ، قبل دخول كتاب (حياة الحيوان) للدميري إلى اليمن ، توفي عام 801 هـ في مدينة جبلة [235] .

---

(233) المصدر السابق ، ص ص 188 . 189 .

(234) البريهي ، صلحاء اليمن ، ص 121 .

(235) المصدر السابق ، ص ص 117 . 119 .

5 - **الإمام جمال الدين محمد بن عبد الله بن سلم :**

قرأ الفرائض على يد الإمام شمس الدين يوسف المأربي والإمام الفرضي علي بن عمر بن سعيد العقيبي . قام بالتدريس والفتوى بالمدرسة الفتحية ومسجد الدار ، وصنف شرحاً للهنداوي أسماه (طوالع السعدي في شرح الهندي) وله مصنف أيضاً في ضوابط الحساب . توفي عام 805 هـ [236] .

6 - **الإمام العلامة جمال الدين محمد بن أبي القاسم الضراسي :**

هو من أهالي قرية جلبة اشتهر بكونه محققاً لجميع أنواع علم الفرائض والحساب والجبر والمقابلة والأقدار المتناسبة والخطائن ، وهذه الأخير فرع من فروع علم الحساب يختص بإستخراج المجهولات العديدة . كما كان عالماً بعلم الطب والتشريح ، وكان مشاركاً في الفقه والنحو الحديث .

ومن مشايخه في علم الفرئض الامام جمالِ الدين محمد بن عبد الله بن سلم مصنف شرح الهندي . وفي الطب الأمير صارم الدين داود بن قايماز والأمير رضي الدين بن حسن بن صلاح الدين الغساني . ومن شيوخه في الفقه الإمام رضي الدين بن خياط وغيره . وقد أجاز له نفيس الدين سليمان العلوي والشيخ مجد الدين الشيرازي في علم الحديث .

قصده مدرسون بعلم الفرا ئض والطب من اليمن ، وسلمت له الرئاسة في علم الفر ائض وعلم الطب ((وانتفع به الشيوخ والأولاد)) وقام بالتدريس في هذين العلمين لأكثر من ستين عاماً ((باذلاً نفسه للطلبة .. وله قواعد وضوابط قررها للمستفيدين يعظم قدرها ويجل نفعها وله اليد الطولى في حل المشكلات وإيضاح الغامضات . وكان

---

(236) البريهي ، صلحاء اليمن ، ص ص 121 . 122 .

يكتب الشعر بشكل ألغاز يمتحن به الطلبة .)) توفي في شهر جمادي الأخر عام 806هـ . وقيل في رثائه شعر كثير [237].

7 -**الفقيه شهاب الدين أحمد بن أبي بكر النجدي :**

كان إماماً في علم الفرائض والجبر والمقابلة . قرأ على جماعة من مدينة جبلة . ثم ذهب إلى تهامة فقرأ على يد ابن الحداد علم الجبر والمقابلة ، ويقول البريهي انه كان من أجل العلماء في هذا الإختصاص . وقد تخرج على يده جماعة في هذا العلم ، فانتفعوا به وأجاز لهم . توفي عام 830 هـ [238] .

8 -**القاضي العلامة جمال الدين محمد بن عمر الحريري :**

وهو من أهالي جبلة تفقه على يد الإمام رضي الدين بن الخياط فأجاز له ، وقام بالتدريس والفتوى وتولى القضاء بمدينة جبلة ، عاصر السلطان الرسولي الناصر ولكن خليفته السلطان المنصور عزله عن ولاية القضاء بفعل بعض الوشاة . توفي في جبلة عام 850 هـ [239] .

9 - **الإمام المفتي جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يحيى :**

تخرج على يد الإمام رضي الدين ابن الخياط قبل قراءته على يد الإمام الريمي والوزير ابن عياش . انتهت إليه الرئاسة في التدريس بمدينة جبلة ونواحيها توفي عام 881 هـ [240].

---

(237) المصدر السابق ، ص ص 127 . 128 .

(238) البريهي ، صلحاء اليمن ، ص 124 .

(239) المصدر السابق ، ص ص 124 . 126 .

(240) المصدر السابق ، ص 131 .

10 -**الفقيه عفيف الدين عطية بن عبد الرزاق بن علي النجدي :**

وهو من أهالي جبلة . قرأ عل يد الإمام رضي الدين ابن الخياط والفقيه يوسف ابن المنتشر الوصابي الشهابي والإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن سعيد بن حماده، وأخذ الحديث عن شيخ المحدثين سليمان بن إبراهيم العلوي . سافر إلى الحج فقرأ في مكة على يد الإمام محمد بن موسى المراكشي وابن ظهيرة ، وأخذ النحو والأصول عن الإمام صالح ابن الحضار واللغة على الأمير إسماعيل بن محمد بن حسن الغساني . وأ جاز له جميع هؤلاء الائمة وأثنوا عليه . وعندما عاد قام بالتدريس والفتوى والخطابة والإمامة في جامع جبلة ، فقصده الطلبة وقام بتدريسهم ((وانتفع به كل من وصل إليه فدام على ذلك يدرس ويفتي مدة طويلة)) إلى ان توفي في شهر ربيع الأول عام 888 هـ [241] .

11 - **الفقيه صفي الدين أحمد بن محمد بن حمادة :**

قرأعلى الفقيه رض الدين ابن الخياط وأجاز له ، فاضيف له التدريس في مسجد السنة فدرس وأفتى . توفي بمدينة جبلة في مطلع المائة التاسعة للهجرة [242] .

12 - **الفقيه موفق الدين علي حسين بن شمعون :**

كان أماماً محققاً في علم النحو ، وقرأ الفقه على يد الإمام رضي الدين بن الخياط ، ثم على يد الفقيه رضي الدين بن الكآبة الذي زوّجه ابنته . قام بالتدريس في مسجد السنة وتوفي في مطلع المائة التاسعة للهجرة [243] .

---

(241) المصدر السابق ، ص ص 123 . 124 .

(242) البريهي ، صلحاء اليمن ، ص 122 .

(243) المصدر السابق ، ص 123 .

إستنتاجات

إن التعليم في اليمن قد بدأ ، شأنه شأن بقية العالم الإسلامي ، من خلال الكتاتيب (المعلامة) والمساجد والجوامع الرئيسية في المدن ,وأضيفت إليها المدارس المستقلة التي ظهرت في القرن الخامس الهجري أيام الصلحيين والنجاحيين والزريعيين بفضل جهود شخصية لا علاقة للسلطة الحاكمة بها ، إلى أن جاء الأيوبيون فأصبحت رعاية المدارس المستقلة مادياً ومعنوياً جزءً من مهامات السلاطين والحكام أيام الأيوبيين والرسوليين والطاهريين . وعلى الرغم من أن الإهتمام بإنشاء المدارس قد انخفض كثيراً أيام الامامية القاسميين والعثمانيين ، استمرت المدرسة المستقلة في إحتلال مكانتها في التعليم في اليمن . ولم تزدهر حركة التعليم و تشييد المدارس من جديد إلا بعد قيام ثورة 26 سبتمبر 1962 حينما تبنت الثورة هذا المرفق المهم في حياة المجتمع اليمني فازدهر التعليم ليعيد أمجاد الأجداد

من جانب آخر ظهر إنشاء المدارس المستقلة في اليمن الأسفل ، أي منطقة إبّ وجبلة وتعز وزبيد ، دون غيرها من المناطق اليمنية . ولعل الإستقرار الأمني والإقتصادي لمنطقة الجبال في اليمن قد ساعد على أن تظهر أول المدارس المستقلة في مدينتي إبّ وجبلة ، عندما انشئت مدرسة السني في مدينة إبّ ومدرسة ابن أبي النهى في مدينة جبلة أواخر أيام الصليحيين وبجهود شخصية .وهذا يعني أن مدينتي إبّ وجبلة هما أول المدن التي شهدت ظهور المدارسة المستقلة في اليمن.

وإذا ما أحصينا عدد المدارس التي أنشئت في مدينة إبّ ، نجد أن عهد الرسوليين هو الذي شهد بناء أكبر عدد من المدارس المستقلة في المدينة ، حيث وصلت إلى (11) إحدى عشرة مدرسة ، يضاف إليها مدرستان فيها وفي حصن حب أيام الطاهريين ، أي أن مجموع المدارس المستقلة التي أنشئت في مدينة إبّ منذ تأسيس مدرسة السنى وحتى أواخر عهد الطاهريين قد بلغ (14) اربع عشرة مدرسة و (20) عشرين مدرسة حتى الحرب العالمية الأولى ،وبرز فيها42 مدرسا فقيهاً،عدا الجامع

الكبير والمساجد والكتاتيب ، في مدينة لا تتجاوز مساحتها كيلومتر مربع واحد وربع الكيلومتر . ثم تدهور التعليم المستقل بعد ذلك وانحسر إلى أن قامت ثورة 1962م

لقد كان الجامع الكبير (الخطابي) في مدينة إبّ مركزاً تعليمياً مهماً وفد إليه كثير من الباحثين عن العلم والمعرفة ، واستمرت مكانة هذا الجامع على ماهو عليه حتى بعد تأسيس المدارس المستقلة في مدينة إبّ . ولا بد من الإشارة إلى أن التصميم المعماري للمدارس لم يكن يختلف عن تصميم الجوامع والمساجد في إطاره العام سوى أن المدرسة كانت تشتمل على مستلزمات التعليم من غرف وقاعات لإقامة الطلبة القادمين من خارج المدينة أو بعض المدرسين وغيرها من مستلزمات التدريس . واشتهرت في مدينة إبّ مدارس مهمة مثل المدرسة الأسدية والمدرسة الجلالية العليا ومدارس بني فيروز وغيرها من المدارس التي ورد ذكرها في هذا البحث . كذلك أنجبت هذه المدارس والجامع الكبير العديد من الفقهاء المدرسين في علوم الدين والعلوم الأخرى مثل الفقيه الشهير أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الله البريهي الملقب (سيف السنة) ومن أعقبه من الفقهاء المدرسين والقضاة من عائلته. والفقيه عفيف الدين عبد الله بن محمد الكاهلي . وشيخ الإسلام ومفتي إبّ المدرس محمد بن علي بن محسن الحبيشي الوصابي والفقيه قاسم بن علي بن شجاع الدين ،والفقيه قاسم ناجي الضراسي وغيرهم .

ولا بد من الإشارة إلى أنّ مجتمع مدينة إبّ كان يشجع ويحترم المدرسين الفقهاء ، فعندما انتقل المدرس الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن محمد بن منصور الأصبحي من مصنعة سير إلى مدينة إبّ تلقاه أهلها بالإجلال والإكرام هو ومن معه من الطلبة وتكفّلوا بإقامتهم ومعيشتهم . ولما اضطربت الأحوال بمدينة تعز في احدى السنين ، واضطر المدرس الفقيه المقرئ عفيف الدين عثمان الناشري إلى الإنتقال إلى مدينة إبّ ، تلقاه الشيخ شهاب الدين أحمد بن الليث السيري وعيّنه في مدرسة الأسدية وخصص له راتباً. وعندما سمع الأمير إسماعيل بن محمد بن عبد الله باسلامة بقدوم المدرس الفقيه قاسم ناجي الضراسي إلى مدينة جبلة ، دعاه إلى مدينة

إبّ وأكرمه وعيّنه مدرساً في هجرة الحزر ، وهناك العديد من الامثلة التي تدلل على تقدير المجتمع الإبّي واحترامه للمدرسين الفقهاء .

أما عن مدينة جبلة ، فبالرغم من أنها مدينة حديثة التكوين بنيت في عهد الصليحيين لتكون عاصمة لهم ، أنشئت فيها (11) إحدى عشرة مدرسة منذ تأسيس مدرسة ابن أبي النهى حتى نهاية حكم الرسوليين وبرز فيها(12) مدرسا فقيها . ومن الملاحظ أنه لم يتم تشييد مدارس فيها أيام الطاهريين ، بل إن السلاطين الأيوبيين والرسوليين الذين اهتموا ببناء مدارس في مدينة إبّ لم يقوموا بتشييد المدارس في مدينة جبلة،وانما شيدها أقرباؤهم او خدمهم مثل الشرفية والمدرسة النظامية والمدرسة الزاتية. واشتهر في هذه المدارس مدرسون فقهاء تميز بعضهم من مدرسي إبّ ، فالعلامة جمال الدين الضراسي كان يقوم بتدريس علم الفرائض والحساب والجبر والمقابلة والأقدار المتناسبة والخطائن ، وهذا الأخير فرع من فروع الحساب ، كما كان الضراسي يدرس الطب ، وحصل على أجازة في هذين العلمين . كذلك اشتهر شهاب الدين النجدي بتخصصه بعلم الفرائض والجبر والمقابلة . يضاف إليهما علماء في النحو والصرف والشريعة مثل رضي الدين الهمداني المعروف بابن الخياط ، والقاضي جمال الدين الحريري ، والفقيه عفيف الدين النجدي وغيرهم .

إن هذه الظاهرة التعليمية التي تميزت بها مدينتا إبّ وجبلة ، تعكس مدى إهتمام المجتمع في هاتين المدينتين بالعلم والمعرفة ، بحيث قصدهما العديد من طلبة العلم والدارسة ، فتعلموا وتفقهوا علي أيدي أساتذتها الكبار ، وشكل الجميع حالة حضارية عكست جانباً مهماً من عطاءات الحضارة العربية الإسلامية .

الخاتمـــة

تعد مدينة إبّ واحدة من المدن العريقة في اليمن والتي كان لسكانها وقبائل منطقتها الجبلية الوعرة دور مهم في تاريخها. ولاشك أن الكتابات والآثار الحميرية الموجودة علي كثير من حجارها وأبوابها وبناياتها تؤكد أنها قديمة العهد، وهي تحمل اسم أحد ملوك اليمن قبل الإسلام التي تبدأ بعبارة (أب) . علما أن أهل اليمن كما قال الحموي في معجمه يلفظونها بالكسر ولا يعرفون الفتح. كما أن هناك مدنا يمنية ليست ببعيدة عنها يبدأ اسمها بعبارة (أب) مثل (أبين) و (أُبلان) . ومهما يكن من أمر و مهما اختلفت الآراء في أصل تسمية مدينة إبّ ومدة تأسيسها فأن التجمعات السكانية الأولى في التاريخ القديم قد ظهرت في المناطق الخصبة ذات المياه الوفيرة والتربة الصالحة للزراعة ، ومدينة إبّ ومنطقتها تمتلك هذه الميزة التي أكسبتها تسمية البساط الأخضر أو اللواء الأخضر مما يعزز وجهة نظرنا بأنها مدينة قديمة عريقة .

لم تكن مدينة إبّ عاصمة سياسية لأي من الدويلات الإسلامية في اليمن ولذلك خضعت لمن كان هو الأقوى من هذه الدويلات منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، لكنها كانت مركزا لمخلاف جعفر , وهو التقسيم الإداري القديم الذي كان يضم إلى جانبها جبل بعدان ومدينة جبلة.

لقد شهدت مدينة إبّ ومنطقتها استقراراً حقيقياً في العصر الإسلامي وظهر هذا الاستقرار واضحا خلال مدة حكم الصليحيين حوالي قرن من الزمن . وعندما سيطر الأيوبيون علي اليمن وقضوا علي القوى المتنازعة فيه لم تقع في مدينة إبّ أحداث أو معارك مهمة طيلة مدة حكمهم ولأكثر من قرن . إلا انه من الملاحظ أن المدينة اتخذت في سنتين متباعدتين مقراً للقادة العسكريين أثناء المعارك ,وهو ما فعله عبدا لنبي آل مهدي عام 568هـ 1172م في معاركه مع الزريعيين قبل دخول الأيوبيين ، وكذلك الأتابك سنقر عام 598هـ 1202م خلال صراع الأيوبيين مع الأمامية

الزيدية. لكن هذا لايعني أن مدينة إبّ لم تشهد معركة حاسمة على أرضها هي معركة السيرى حاكم حصن حب وإبّ وبعدان مع الرسوليين عام 798هـ \1396م حين تحصن داخلها لمقاومة قوات السلطان الأشرف الثاني ألرسولي الذي هاجمها من مدينة جبلة وتمكن من إختراق سورها وتخريبها وتدمير خمس قرى في بعدان .

إن اتخاذ مدينة إبّ مقراً للقيادة العسكرية في المعركة أو تحصن القوات فيها للقتال ضد المهاجمين يدل على أهمية موقعها الجغرافي الذي يعززه وجود حصن حب في أعلاها بجبل بعدان . وبنظرة شاملة للمنطقة فإن تناظر حصن حب مع حصن جبل التعكر الذي تقع في قاعدته مدينة جبلة والتي تبعد عن مدينة إبّ حوالي ستة كيلومترات ، إنما تشكل بمجموعها موقعاً إستراتيجياً مهماً في منطقة مخلاف جعفر خاصة وجبال اليمن الأسفل عامة .

وفي التاريخ الحديث ولا سيما في مدة حكم العثمانيين الأولى كانت مدينة إبّ أيضاً مقراً للقادة العسكريين أو هدفاً عسكرياً في الحروب التي وقعت في منطقتها مع أنها لم تصبح مقراً للوالي العثماني أوالإمام الزيدي. وكان لظاهرة صراع الولاة العثمانيين فيما بينهم وضعف السلطة العثمانية وتصدي الإمام المطهر لهم أثره في نهب الأتراك العثمانيين مدينتي إبّ وجبلة عام 932هـ / 1526م، كما إن حصار الوالي محمود باشا لعلي محمود ألنظاري في حصن حب الذي كان يحكم مدينة إبّ وبعدان وجبلة (مملكة بعدان) ومقره الحصن ، وغدر محمود باشا بالنظاري بعد أن أعطاه ألامان عام 969هـ / 1562م، تأثيره الكبير في قيام انتفاضة في مدينة إب والقبائل المحيطة بها عام 974هـ/ 1567م بعد رحيل محمود باشا عن اليمن وظهور الصراع بين الواليين الجديدين. فكانت هذه الانتفاضة بداية الطريق لانتفاضات متلاحقة في جبال اليمن الأسفل أدت إلى انهيار نفوذ العثمانيين لينحصر في مدينة زبيد بعد أن أصبحت صنعاء تحت سيطرة المطهر الذي منح أخاه الإمام علياً حصن حب لتصبح إبّ وجبلة وبعدان تحت سيطرته .

وعندما باشرت الدولة العثمانية بإعادة سيطرتها على اليمن من خلا ل حملة الوزير سنان باشا كانت مدينة إبّ وما حولها هدفا عسكريا مهما له من أجل السيطرة على المناطق الجبلية في اليمن الأسفل بعد أن سيطر على تعز وعدن . ونظرا للأهمية الإستراتيجية لمنطقة إبّ – حب ـ جبلة ـ التعكر ، كانت خطوة سنان باشا الأولى احتلال جبلة وحصن التعكر ، فأصبح الطريق مفتوحا إلى مدينة إبّ ليخوض أكبر معركة شهدتها إبّ في تاريخها ضد قوات الإمام المطهر ، وتمت على ثلاث مراحل الأولى دخول سنان باشا إبّ عام 977هـ/ 1573م والمرحلة الثانية سيطرته على بعدان والثالثة حصار حصن حب . ومن الملاحظ أن أهالي إبّ لم يشاركوا في (معركة إبّ) ذلك أن الإمامية لم يكونوا يثقون بأهل إبّ والقبائل المجاورة لهم ، فأخلوا المدينة من سكانها وتمركزت قواتهم فيها ، فهاجمهم سنان باشا وتمكن من احتلال المدينة ، وانسحب الإمامية إلى جبل بعدان لتبدأ المرحلة الثانية حيث اندحر الإمامية لتتحول المعركة إلى مرحلتها الثالثة وهى حصار حصن حب .

إن حصار قوات سنان باشا لحصن حب قد استمر لمدة سنة تقريبا تكبدت فيها قواته خسائر كبيرة على الرغم من استخدامه المدافع الثقيلة . ولم يستسلم الحصن له إلا بالحصار الطويل الأمد ونفاد المؤن والذخيرة واغتيال الإمام علي شرف الدين بدس السم له في الحصن. لقد اشتهر حصن حب بمناعته وحصانته وعدم تمكن أي قوات عسكرية من اقتحامه بالقوة إلا بالحصار الطويل الأمد والخديعة، ولذلك أصبح مقرًا لحكام حكموا سنوات طويلة منطقة بعدان وإبّ ، ففي العهد الإسلامي اتخذه عبدالله أبو الحسن التبعي مركزا لحكمه لمدة (48) سنة إلى ان خضع للصليحيين بإرادته ، وكان واليا عليه منذ حكم دولة بني زياد الذي استأثر به بعد انهيارهم عام 1012/402م .كذلك تمكنت عائلة السيري من الاستقلال بحصن حب عن الرسوليين لمدة (158) مئة وثمانية وخمسين عاماً وسيطروا منه على مدينة إبّ وجبل بعدان ولم يتمكن الرسوليون من القضاء عليهم إلى أن جاء الطاهريون من بعدهم واستولوا عليه بالحصار الطويل .وفي العصر الحديث استولى محمد النظاري وولده وحفيده علي النظاري على الحصن مدة (46)ست وأربعين سنة وكوّنوا مملكة بعدان ولم يتمكن

الوالي العثماني محمود باشا من القضاء عليهم إلا بالحصار الطويل الأمد والخديعة ومثله فعل سنان باشا مع الإمام علي شرف الدين .

إن الاستقلال عن السلطة المركزية لقرن ونصف من الزمن أو لأكثر من نصف قرن وتكوين حكم مستقل بحصن حب وما حوله من منطقة بعدان وإبّ وجبلة يؤكد بلا شك ألأهميته الإستراتجية لهذا الحصن لدرجة فاقت أهمية حصن التعكر . ومن الأدلة على ذلك أن السلطان المظفر بن يوسف الرسولي أعطى في معاركه الاولوية للسيطرة على حصن حب بدلاً من حصن التعكر الذي أجّل السيطرة عليه بعد حوالي سنة من سيطرته على حصن حب. كما إن حصار الوزير العثماني سنان باشا لحصن التعكر ومعاركه للاستيلاء عليه لم تدم سوى خمسة أيام بينما استمرت معركته في حصن حب مدة سنة تقريبا ،وعموماً فأن عمليات السيطرة على حصن التعكر لم تكن تأخذ وقتاً شبيهاً بالوقت الطويل الذي كان يستغرقه الاستيلاء على حصن حب .

على أنّ هذا لا يعني التقليل من الأهمية الإستراتجية لحصن التعكر ،فقد كان حصن التعكر مقر ذخائر الصليحيين وثرواتهم ،وكانت الملكة السيدة أروى تهتم بأن يكون والي التعكر من أكثر الاشخاص ثقة لديها وولاءً لها ،فكانت عائلة أبي البركات الحميري ،وخصوصاً المفضل من أهم ولاة حصن التعكر المقربين للملكة ،وكان لحصن التعكر مكانةَ خاصة لدى السيدة أروى، فكانت تقضي الصيف فيه كل عام،وكانت مناعة حصن التعكر أساسا لحماية مدينة جبلة عاصمة الصليحيين. كما أن اقتحام حصن التعكر لم يكن بالأمر السهل قبل دخول المدفعية إلى اليمن أيام العثمانيين ،فحينما استولى الفقهاء على الحصن في غياب المفضل أبي البركات وأعلنوا تمردهم لم يتمكن المفضل من اقتحام الحصن على الرغم من محاصرته له ،ومات غيظا وقيل انتحر وهو يرى المتمردين يستهينون بعائلته أمامه،ولم يتمكن جيشه من عمل أي شيء كما أن الملكة أروى نفسها لم تتمكن وجيشها من اقتحام الحصن بعد ذلك وانتهى التمرد بالمفاوضات ،وكان لضعف سيطرتها على الحصن بعد هذه الأحداث أثره في قيام

حركات تمرد وعصيان عليها في مناطق أخرى مما يوضح أهمية حصن التعكر بالنسبة للعاصمة جبلة خاصة والدولة الصليحية عامه.

إن المصادر لاتقدم لنا أحداثا مهمة في جبلة وا لتعكر بعد موت الملكة السيدة أروى وزوال دولة الصليحيين حيث لم تعد جبلة والتعكر عاصمة سياسية ومع ذلك بقيت لمدينة جبلة حصة في الأحداث التي وقعت في منطقة إبّ - حب -جبلة – التعكر في العهود الإسلامية والحديثة .

إن ربع القرن الأخير من حكم العثمانيين قد شهد استقرارا بعد وفاة الإمام المطهر عام 980هـ /1572م إلى أن قامت الدولة القاسمية وأجبرت العثمانيين على الرحيل عن اليمن عام 1054هـ /1636م ولا توجد لدينا مؤشرات بوقوع أحداث مهمة في مدينة إبّ وما حولها خلال هذه المدة ولكن الصراعات التي عاشتها اليمن خلال حكم القاسميين قد شملت مدينة إبّ ومنطقتها على الرغم من أنها لم تكن مقرا سياسيا لهم . ومن هذه الأحداث فاجعة إبّ في حرب يافع عام 1120هـ /1709م حين هاجمها اليافعيون واستباحوها بعد أن حاصروها ولم يتمكن أهلها من الاستمرار في المقاومة لعدم وجود سلاح كاف وقوات كافية للقتال .

كما عاشت إبّ حصار القبائل للإمام الناصر عبدا لله بن حسن وذلك عام 1254هـ / 1838 م بعد هزيمته أمام قوات محمد علي باشا التي غزت اليمن. وشهد عام 1840 م إعدام الفقيه سعيد .

وفي مدة الحكم العثماني الثاني كانت مدينة إبّ جزءاً من حركة مقاومة اليمنيين للحكم التركي العثماني ، ولكنهم ومع قيام الحرب العالمية الأولى قاتلوا إلى جا نب الأتراك العثمانيين ضد البر يطانيين المحتلين لجنوب اليمن ، تحت راية الجهاد الإسلامي .

إن معارك مدينة إبّ ومنطقتها وانتفاضاتها قليلة قياساً بالعمر الطويل للمدينة في التاريخ الإسلامي والحديث . لذلك كان الاستقرار والأمان الذي عاشته في التاريخ

الإسلامي أحد العوامل الرئيسة التي جعلت منها مدينة علم وتعليم مشهورة ومحطة تجارية مهمة. ومثلها كانت مدينة جبلة في العلم والتعلم لدرجة أن أول مدرستين مستقلتين عن الجامع تم تأسيسهما بجهود شخصية في اليمن هما مدرسة السني في مدينة إبّ ومدرسة ابن أبي الأمان في جبلة ، كما شيدت مدرسة ثالثة هي مدرسة ابن أبي النهى في الشوافي من أعمال إبّ في أواخر عهد الصليحيين. وعموماً ظهرت المدارس المستقلة وتركزت في اليمن الأسفل وكانت عمارتها تختلف بعض الشيء عن المسجد. وقبل هذا كان التعليم مقتصراً على الجامع الخطابي في مدينة إبّ والجامع الكبير في مدينة جبلة ومساجدهما بعد تعلم القرآن الكريم وحفظه في الكتاتيب (المعلامة) .

أما تبني الدولة لإنشاء المدارس المستقلة فقد ظهر في العهد الأيوبي ، ولم تكن لمدينة إبّ حصة فيه إلا في عهد الرسوليين حيث شهدت مدينة إبّ بناء اكبر عدد من المدارس في تاريخها بلغ (11) إحدى عشرة مدرسة، ولم ينشيء الطاهريون فيها سوى مدرسة واحدة وأخرى أنشأها النظاري في حصن حب ، فبلغ عدد المدارس في عهد الرسوليين والطاهريين في مدينة إبّ (13) يضاف إليها مدرسة حصن حب فتصبح(14) أربع عشرة مدرسة . ومع قيام الحرب العالمية الأولي أصبح في مدينة إب(20) عشرون مدرسة عدا الجامع الكبير والمساجد والكتاتيب في مدينة لاتتجاوز مساحتها كيلو متر مربع واحداً وربع الكيلو متر فقط . بينما بلغ عدد المدارس في مدينة جبلة إلى نهاية عهد الرسوليين (11) إحدى عشرة مدرسة ، أنشأ أحدهما أبو النهى أواخر أيام الصلحيين والأخرى أنشئت أيام الأيوبيين وتسع مدارس أيام الرسوليين ، ولم يتم تشييد مدارس إضافية أيام الطاهريين. لكن مدارس جبلة تميزت من مدارس إبّ في تدريس علوم الفرائض والحساب والجبر والمقابلة والأقدار المتناسبة والخطائن اضافة إلى النحو والصرف وعلوم الشريعة ، بينما اقتصر التعليم في مدارس إبّ على العلوم والشريعة واللغة .

ولاشك أن تشجيع مجتمعي جبلة وإبّ للتعليم واحترامه للمدرسين الفقهاء ورعايته لهم ولطلابهم أثره الكبير في تطوير التعليم فيها. بحيث برز (42)مدرساً فقيهاً

في مدارس إبّ و(12) مدرسا فقيها في مدارس جبلة . وكانت لهؤلاء المدرسين درجات ومراتب علمية ، كما كانوا يمنحون الإجازة في العلوم ، ولهم نظام خاص في التدريس يتدرج فيه الطالب من مستوى إلى أخر ليمنح الإجازة التي يستحقها، ولذلك قصد مدارس مدينة إبّ وكذلك مدينة جبلة طلبة العلم من اليمن وخارجه .

إن هذا التاريخ الحافل لمدينة إبّ سواء في مكانتها العلمية والتعليمية أو في موقعها الاستراتيجي في منطقة جبال اليمن الأسفل الذي جلب لها أحداثا مهمة وخطيرة في سنوات عمرها الطويل لتؤكد أهمية الاستمرار في دراسة الجوانب الأخرى من تاريخ هذه المدينة العريقة .

صـور مـن مدينـة إبّ

مدينة إبّ القديمة عام 1960 م

ساقية مدينة إبّ القديمة عام 1960

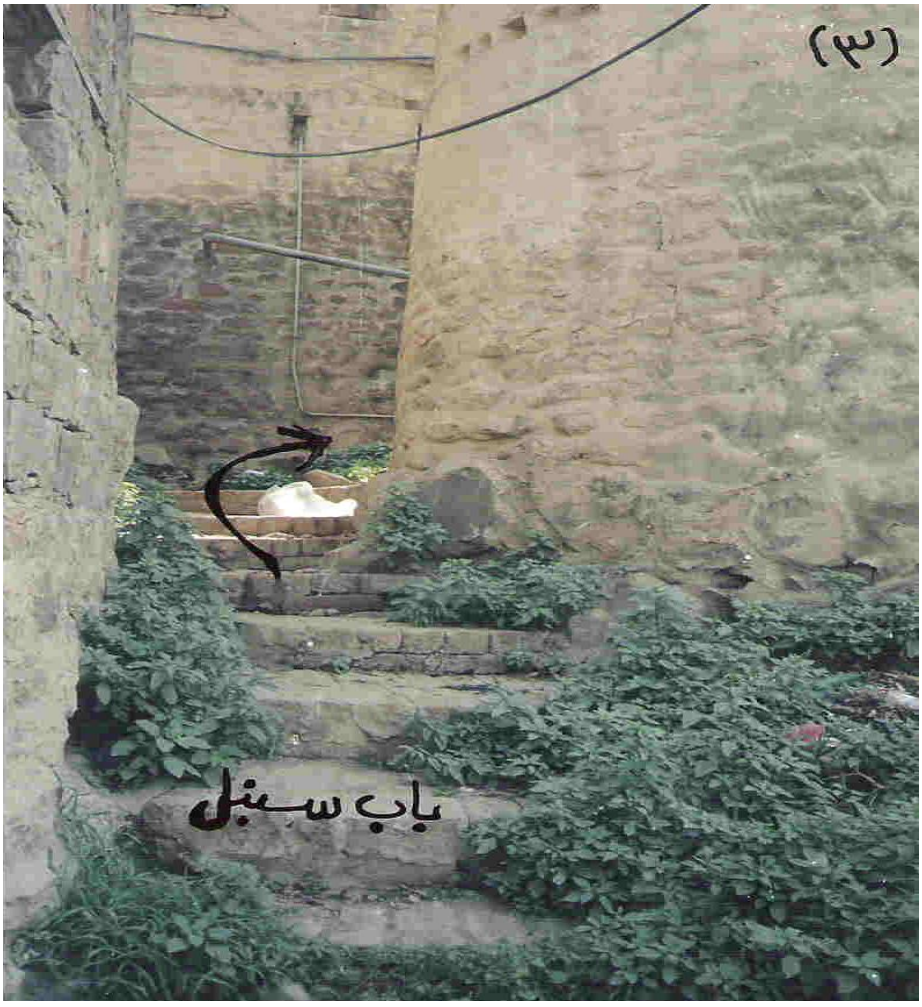

باب سنبل

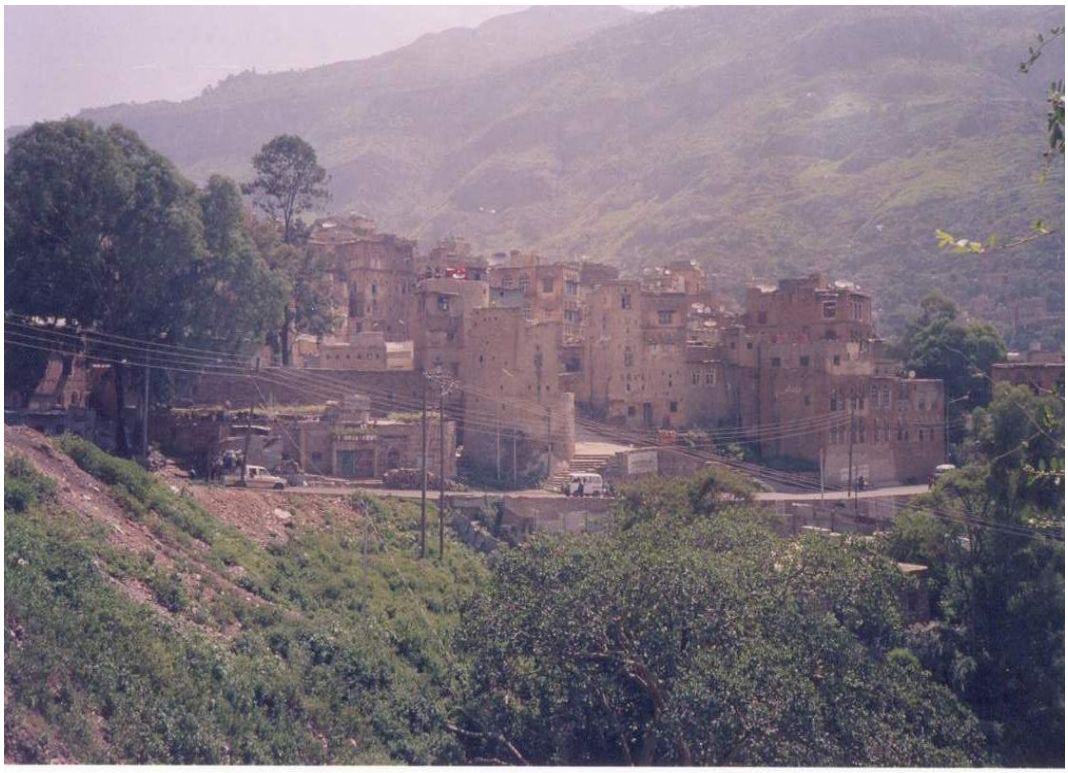

الضلع الجنوبي وتظهر فيه نوبة باب سنبل وجزء من السور وفي الخلف
سفح ريمان من جبل بعدان .

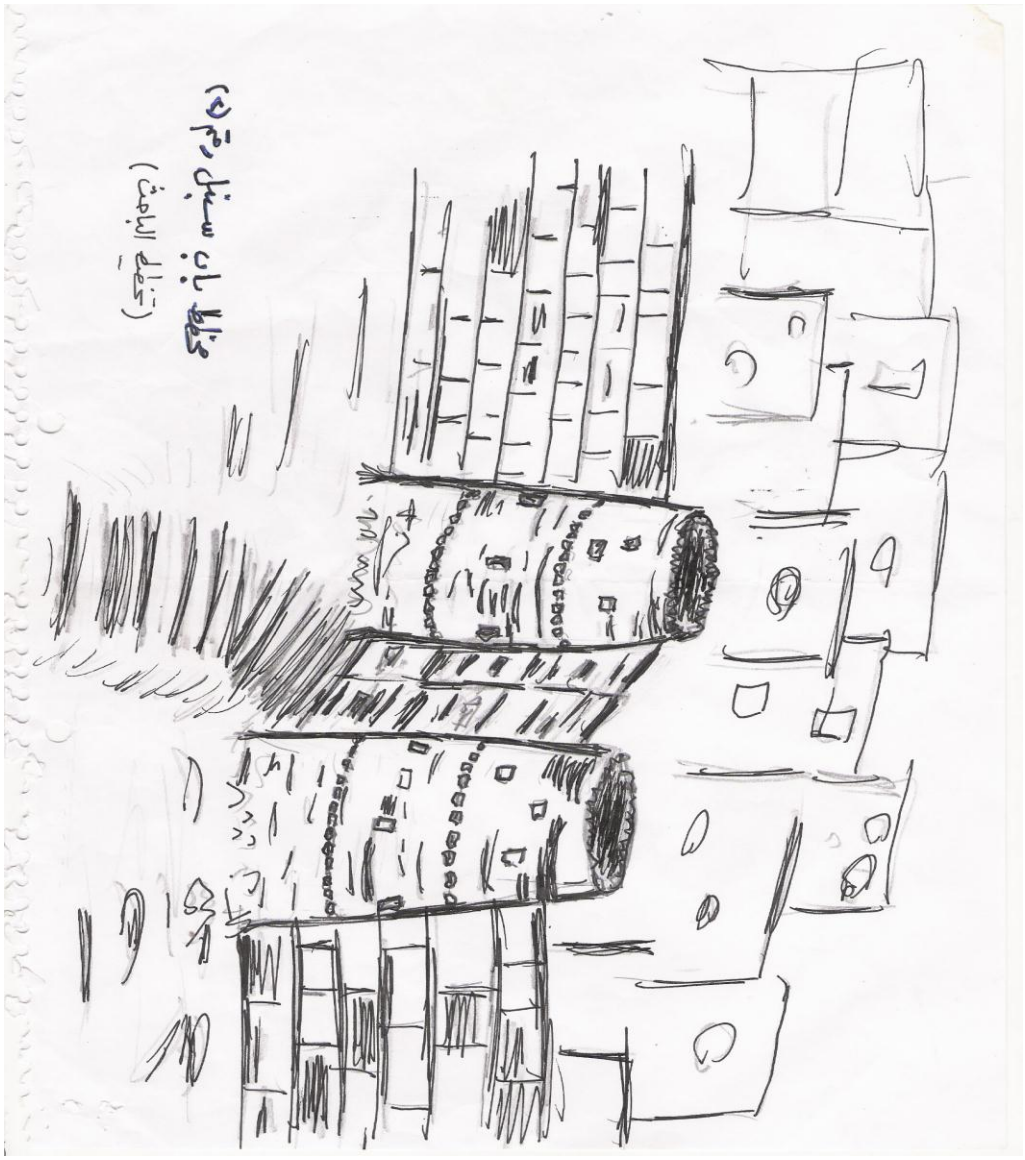

مخطط باب سنبل بقلم المؤلف

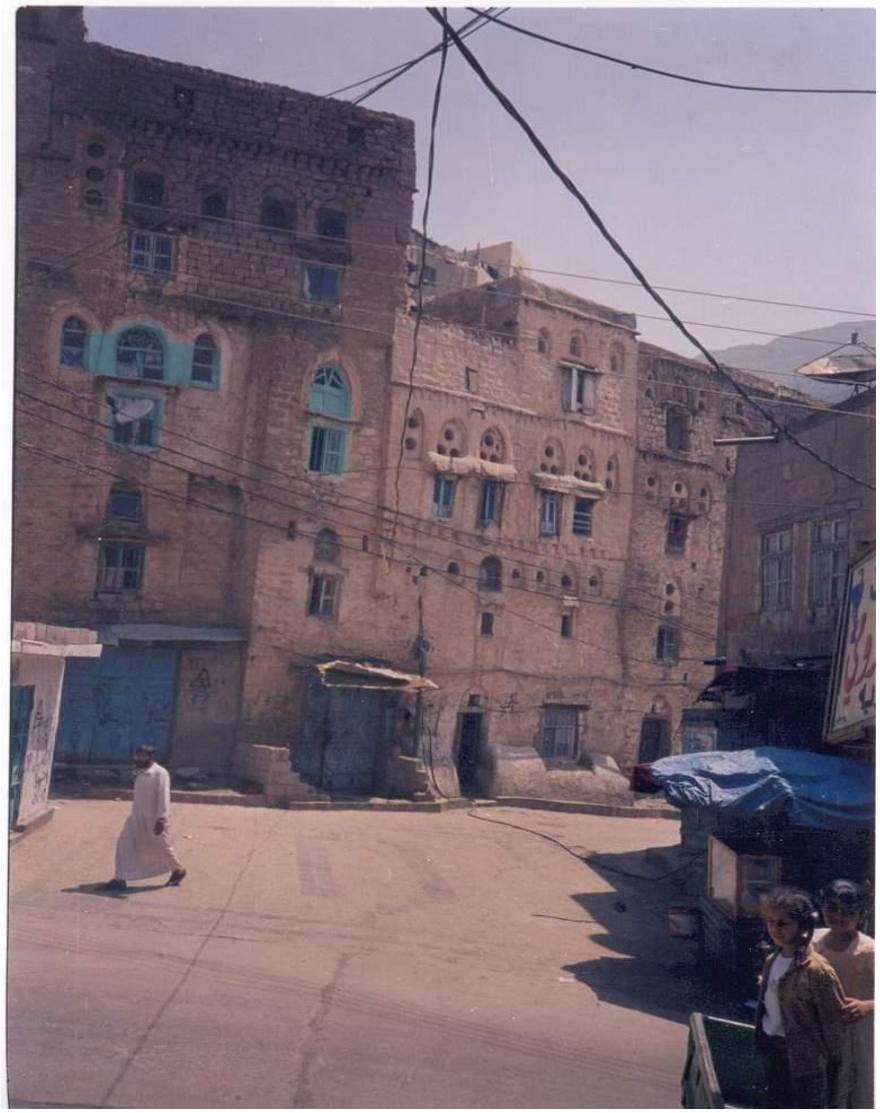

فتحة الجاءة وتظهر منها بيوت مدينة إبّ القديمة

فتحة الباب الجديد ملتقى الضلع الجنوبي مع الضلع الغربي من سور المدينة .

السور الغربي وتظهر في الأعلى دار الحكومة القديمة .

مساند (دعامات السور الغربي) .

سمسرة الصنعاني (خان المسافرين) ملتصقة بالسور الغربي من الخارج ويظهر في الأعلى جزء من دار الحكومة .

سمسرة الصنعاني .

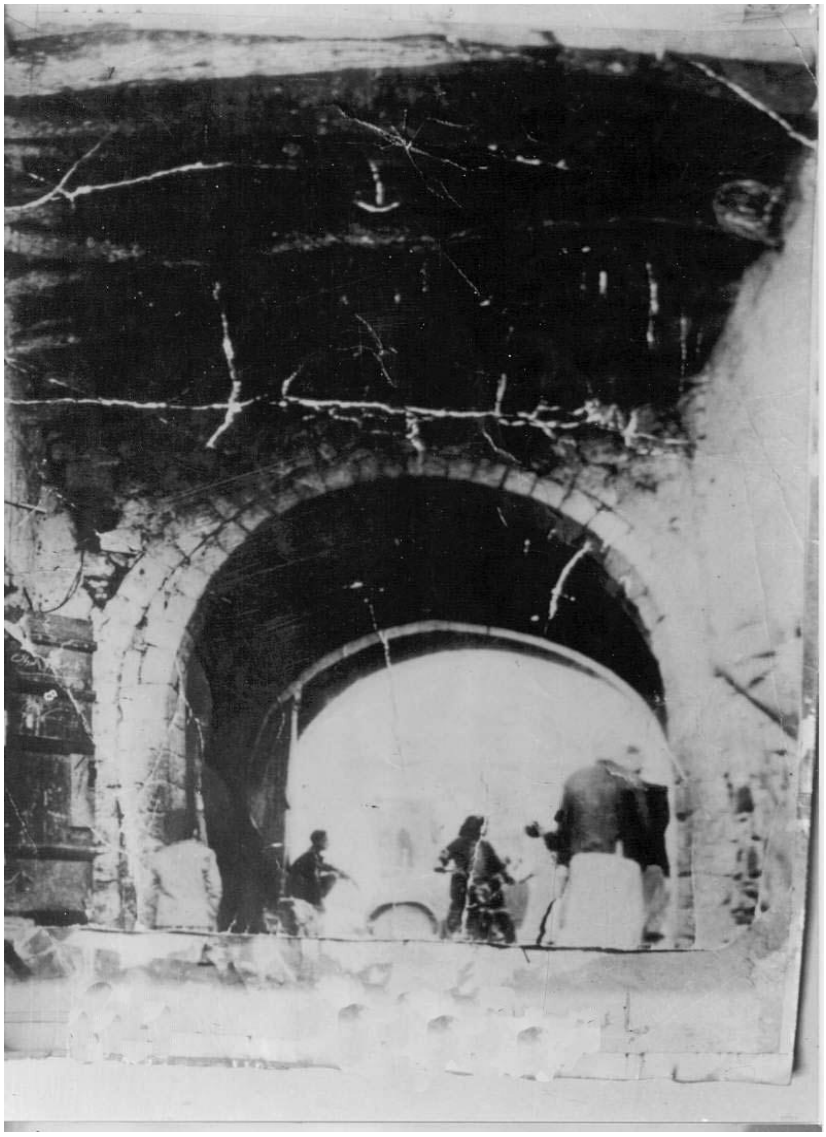

الباب الكبير في الضلع الغربي ولم يبق له أثر .

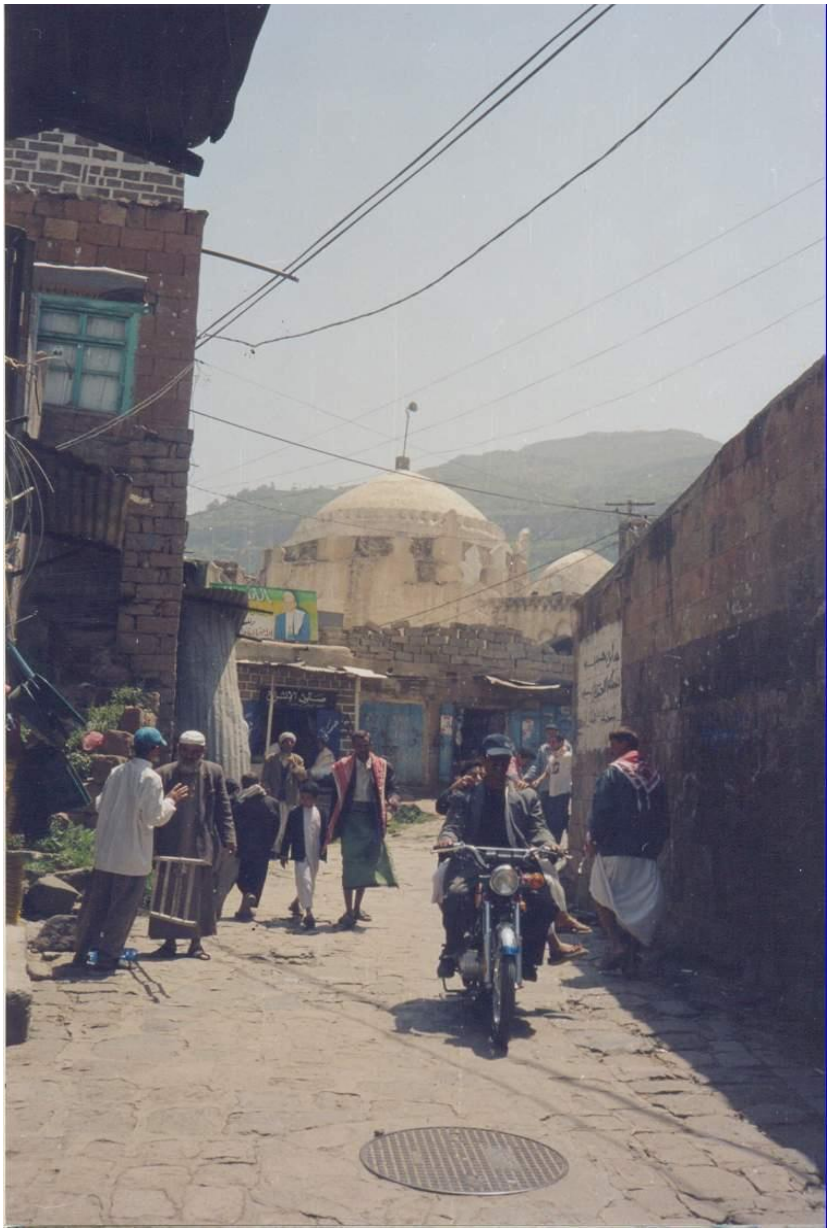

الفتحة الباقية بعد هد م الباب الكبير ويظهر في الخلف المسجد الكاظمي .

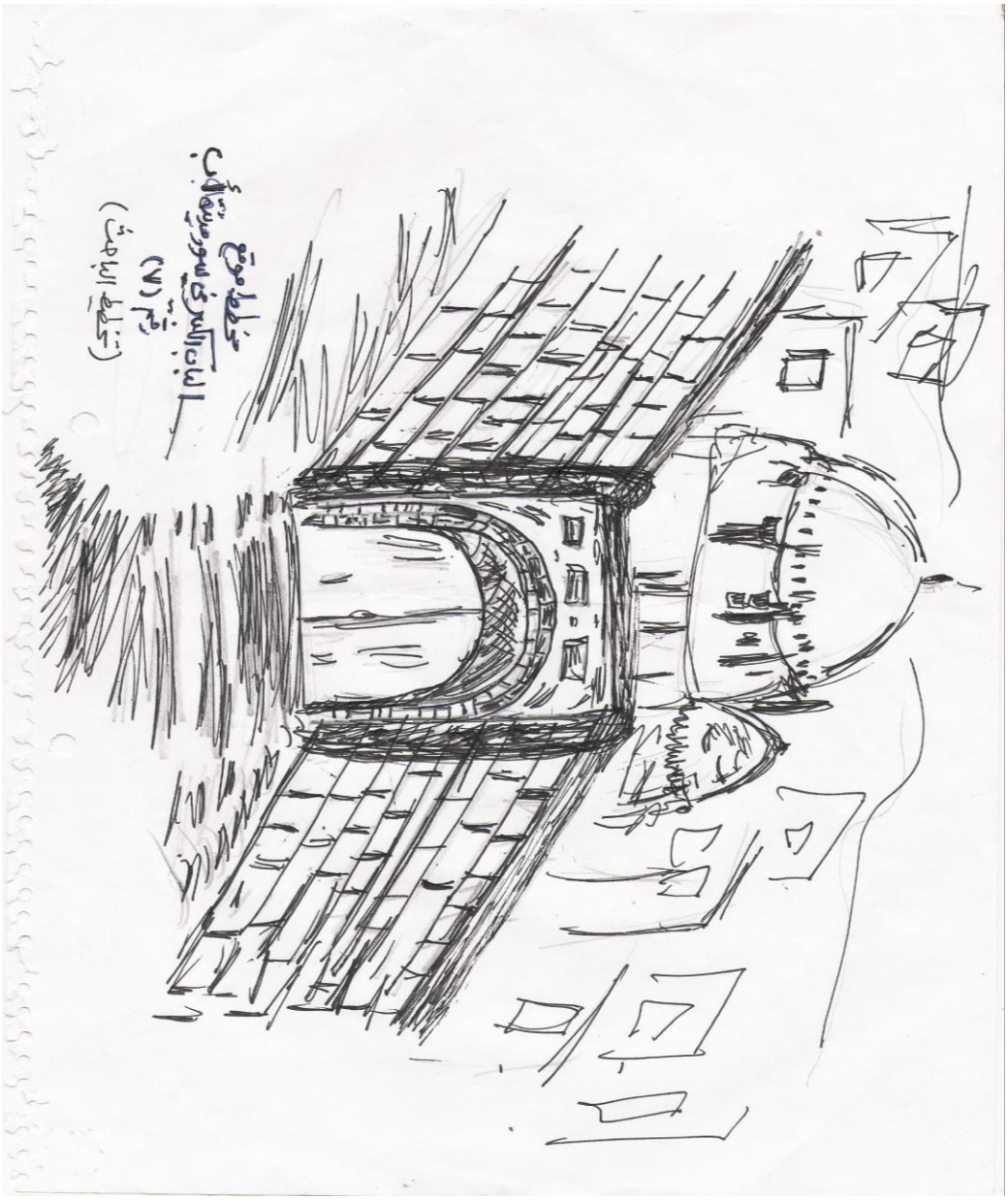

مخطط الباب الكبير بقلم المؤلف .

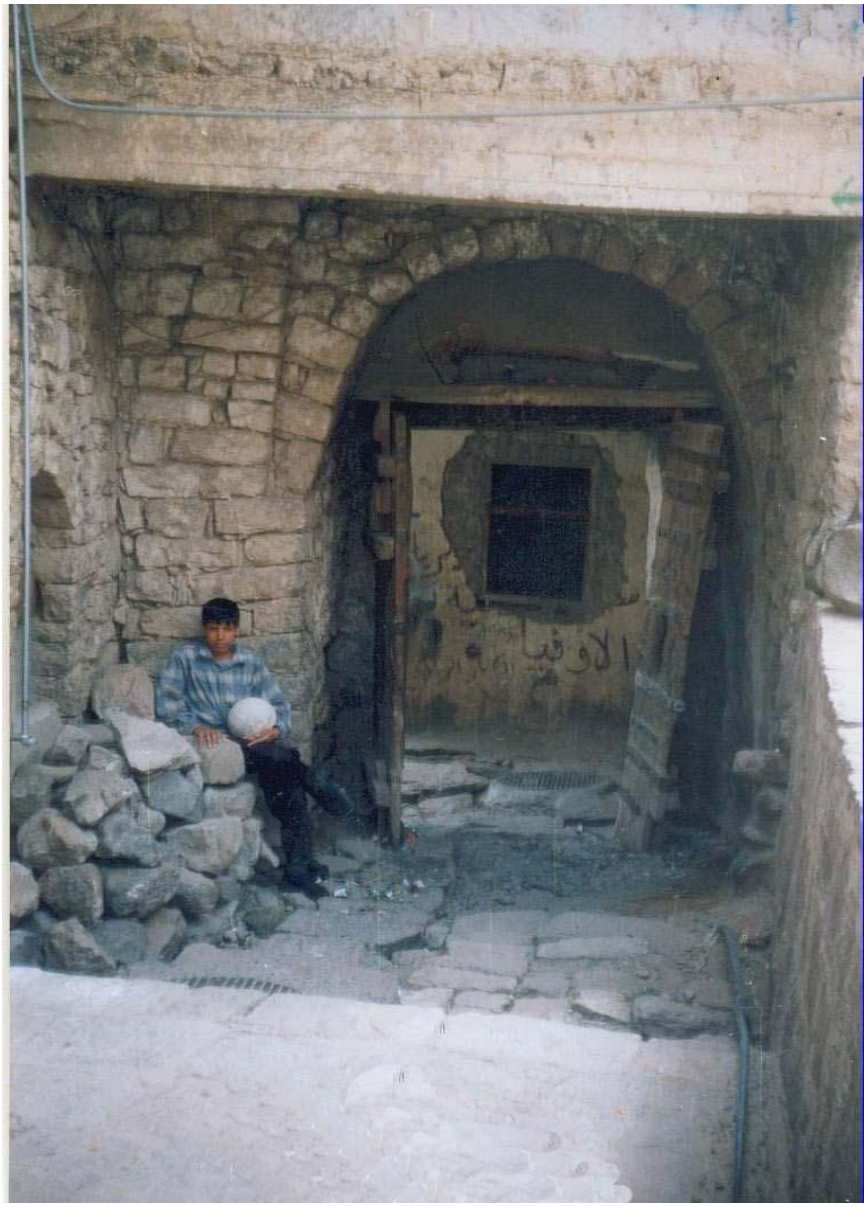

باب الراكزة في الضلع الشمالي من داخل المدينة

وهو الباب الوحيد الذي بقي من أبو اب المدينة

العقبة و تبدأ من باب الراكزة إلى خارج المدينة .

فتحة باب النصر ونوبته في الضلع الشرقي من السور
وتظهر في الخلف منارة الجامع الكبير .

باب خشبي لأحد دور مدينة إبّ القديمة .

زقاق في مدينة إبّ القديمة

صـور مـن حصـــن حـــب

سور حصن حب من الداخل

الحافة الصخرية بدون سور يقابلها من الجهة الأخرى السور
ويظهر في الأعلى قصر النظاري

قصر النظاري

بركة لتجميع مياة الأمطار داخل الحصن

المعصرة

صـور مـن حصـن التعكـر

القمة التي شيد عليها حصن التعكر .

جبل التعكر كما يشاهد من مدينة إبّ

بقايا حصن التعكر

أحد مدافن حصن التعكر (فتحة الحصن)

بقايا بركة ماء في حصن التعكر

بقايا بركة ماء في حصن التعكر

صورة من أعلى قمة الحصن وتظهر في الأسفل بقايا بركة ماء
إلى يمين الصورة وفتحة مدفن في يسار الصورة

بقايا بركة تصفية المياه (المناقص)

صـور مـن مدينـــة جبلـة

جانب من مدينة جبلة

قصر السيدة الملكة أروى ومنارة الجامع الملاصق له

منارة الجامع الملاصق للقصر

منارة الجامع الكبير التي بنتها الملكة السيدة أروى

منارة الجامع الكبير التي بناها باسلامة في الزاوية المقابلة لمنارة السيدة

مسبحة الملكة السيدة أروى ذات الألف حبة

ضريح الملكة السيدة أروى في مصلى الجامع الكبير

جامع القبة في مدينة جبلة

حصن التعكر كما يبد و من مدينة جبلة

المصـــــادر

1 - **المخطوطات :**

- الخزرجي الأنصاري ، شمس الدين ابو الحسن علي بن الحسن ابن ابي بكر بن الحسن . العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك ، نسخة مصورة ، دار الفكر – دمشق 1981(مكتبة المركز الثقافي مدينة إبّ).
- شرف الدين عيسى بن لطف بن المطهر ، روح الروح فيما جرى بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح ، نسخة مصورة ، دمشق 1981(مكتبة المركز الثقافي – مدينة إب)

2 - **الكتب:**

- أباظة ، فاروق عثمان . الحكم العثماني في اليمن 1872 - 1918،بيروت ،1979.
- ابن الديبع ، أبو الضيا عبد الرحمن علي الشيباني الزبيري . كتاب قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، حققه وعلق عليه محمد بن علي الاكوع الحوالي ، صنعاء ، 1988. (جزآن)

- ابن الديبع ، الشيباني الزبيري . الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد 866 -944هـ ، تحقيق محمد عيسى صالحية ، الكويت ، 1982. ونسخة أخرى حققها يوسف شلحة ، بيروت 1983.
- ابن منظور، لسان العرب ، بيروت 1988.
- ابو طالب ، حسام الدين محسن بن الحسن بن القاسم بن احمد بن القاسم بن محمد . تاريخ اليمن. عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الاول ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، صنعاء ،1990. (جزآن)
- احمد ، محمد عبد العال . بنو رسول و بنو طاهر ، علاقات اليمن الخارجية في عهدهما 628 -923هـ / 1231 -1517 م ، الاسكندرية ،1989.
- احمد ، محمد عبد العال. الايوبيون في اليمن ، الاسكندرية ، 1980.
- الأغبري ، بدر سعيد علي . التربية والتعليم في اليمن ، صنعاء ، 2004.
- الأكوع ، إسماعيل بن علي . المدارس الاسلامية في اليمن ، دمشق ، 1980م
- الأكوع الحوالي ، محمد بن علي بن الحسين .حياة عالم وأمير ،صنعاء،1987
- با فقية، محمد بن عمر الطيب. تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، صنعاء،1999.

- براور، ل. خ وكبلانيان ، آ. اليمن في أوائل القرن السابع عشر، ليدن، 1988.
- البريهي السكسكي اليمني ، عبد الوهاب بن عبد الرحمن . طبقات صلحاء اليمن، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، صنعاء ، بلا
- بن علي، يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد . غاية الاماني في أخبار القطر اليماني ، 1035 - 1100هـ / 1625 - 162م ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ، 1968.
- الثعالبي ، عبد العزيز . الرحلة اليمنية 12 أغسطس – 17 أكتوبر 1924، تقديم وتحقيق حمادي الساحلي ، بيروت ،1997.
- الثور ، عبدالله احمد . هذه هي اليمن ، صنعاء ، 1969.
- الجرافي . حواليات العلامة الجرافي 1307 -1316هـ / 1889 - 1900م ، تحيق ودراسة حسين عبدالله العمري ، دمشق ، 1992.
- الجرافي اليمني ، عبدالله بن عبد الكريم .المقتطف في تاريخ اليمن ، بيروت،1987.
- الجعدي ، عمر بن علي سمرة . طبقات فقراء اليمن ، تحقيق فؤاد السيد ، بيروت ، 1981.

- الجندي ، ابو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي السكسكي الكندي . السلوك في طبقات العلماء والملوك ، تحقيق حمد بن علي بن الحسين الاكوع الحوالي ، صنعاء ، 1983 .(جزأن)
- الحداد ، محمد يحيى . التاريخ العام لليمن ، صنعاء ، 1986 .(أربعة اجزاء)
- الحداد، محمد يحيى . تاريخ اليمن السياسي ، بيروت ، 1986
- الحموي ، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي . معجم البلدان ، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي ، بيروت 1990.
- الخزرجي ، الشيخ علي بن الحسن . العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، صححه محمد بن علي الأكوع الحوالي. مصر، 1983 .(جزآن)
- الدجيلي ، محمد رضا حسن . الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري ، البصرة ، 1985.
- الريحاني ، أمين . ملوك العرب ، بيروت ، 1980.
- زبارة الصنعاني ، محمد بن محمد بن يحيى . تقاريض نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف الى سنة 1357هـ ، صنعاء

- زبارة الصنعاني ، محمد بن محمد بن يحيى. نبلاء اليمن بالقرن الثاني عشر للهجرة . نشر العرف بعد الألف الى سنة 1385هـ ، بيروت ، 1958. (ثلاثة مجلدات)
- زبارة الصنعاني ، محمد بن محمد بن يحيى . نبيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر ، تحقيق مركز الدراسات والابحاث اليمنية ، صنعاء ، بلا (جزأن) .
- سالم ، سيد مصطفي . الفتح العمثماني الاول لليمن 1538 -1635م ، القاهرة ،1999.
- السروري ، محمد عبده محمد .الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة 429هـ /1037م – 626هـ / 1228م ، صنعاء، 2004.
- السياغي ، حسين أحمد . معالم الاثار اليمنية ،صنعاء ، 1980.
- شرف الدين ، عيسى بن لطف الله . روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح ، تحقيق ابراهيم بن أحمد المقحفي ، صنعاء ، 2003.
- صالح ، محمد امين . تاريخ اليمن الاسلامي في القرون الثلاثة الاولى للهجرة (عصر الولاة)، القاهرة ، 1975

- الصايدي ،أحمد قايد .المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، بيروت،1990.
- الصفواني ، صادق محمد . الأوضاع السياسية الداخلية لليمن في النصف الاول من القرن التاسع عشر الميلادي ، صنعاء ، 2004
- الصنعاني ، محمد بن اسماعيل الكبسي . اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية ، القاهرة ، بلا .
- طاهر , عبد الباري , اليمن في عيون ناقدة , صنعاء , 2002.
- العبدلي ، أحمد فضل بن علي محسن . هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، بيروت ، 1980.
- العرشي ، حسين بن احمد . بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وامام ، بيروت ، بلا.
- العمري ، حسين عبدالله . تاريخ اليمن الحديث والمعاصر(922 -1336هـ/ 1516 -1918م) من المتوكل إسماعيل الى المتوكل يحيى حميد الدين ، بيروت ، 2001.
- العمري ، حسين عبدالله . مئة عام من تاريخ اليمن الحديث 1748 - 1848م / 1161 -1264هـ ، دمشق ، 1984 .

- العمـري ،حسـين عبـدالله.يمانيات في التـاريخ والثقافـة والسياسـة، بـيروت، 2000م .
- العمري ، حسين عبدالله والارياني ، مطهر علي وعبدالله ، يوسف محمد . في صفة بلاد اليمن عبر العصور من القرن السابع قبل الميلاد الى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي . نصوص مختارة ومحققة ، بيروت ، 1990
- فخري ، أحمد . اليمن ماضيها وحاضرها ، بيروت ، 1988.
- الفرح،محمد حسين .الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير،صنعاء،2004.
- الفرح ، محمد حسين . اليمن في تاريخ ابن خلدون ، صنعاء ، 2001 .
- الفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف . اليمن في ظل الإسلام منذ فجر الدولة الرسولية ، الكويت ، 1982 .
- القرمطي ، عماد الدين إدريس . روضة الاخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار والحصون والامصار ، تحقيق محمد بن علي الاكوع الحوالي الحميري، صنعاء ، 1995.
- المشرقي ، رياض علي سعيد . التعليم في اليمن في عصر الدولة الطاهرية ، 858 - 923هـ/ 1454 - 1519م ، صنعاء ، 2004 .

- المطاع ، أحمد بن أحمد بن محمد . تاريخ اليمن الإسلامي من سنة 204هـ الى سنة 1006هـ ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، بيروت ، 1986.
- المقحفي ، إبراهيم أحمد . معجم البلدان والقبائل اليمنية ، صنعاء ، 2002.
- المقدسي ، ابو عبدالله محمد بن أحمد بن البناء البشاري . احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، بيروت ، 1978 .
- المقطري،إيمان ناجي سعيد، الملكة سيدة بنت أحمد،440 -532هـ، صنعاء،2004م.
- مؤلف مجهول . حوليات يمانية من سنة 1224هـ الى سنة 1316هـ أو اليمن في القرن التاسع عشر ، حققه عبدالله محمد الحبشي ، صنعاء ، 1991.
- النهزوالي المكي ، قطب الدين محمد بن احمد .ا لبرق اليماني في الفتح العثماني ، بيروت، 1986.
- الهمداني ، أبو الحسن بن أحمد بن يعقوب . كتاب الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير ، حققه وعلق عليه محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي، صنعاء ، 2004.
- الهمداني ، أبو الحسن بن احمد بن يعقوب . صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي ، صنعاء ، 1990.

- الهمداني ، حسين بن فيض الله . الصليحيون والحركة الفاطيمية في اليمن 268 - 626هـ ، دمشق ، بلا.

- الواسعي اليماني ، عبد الواسع بن يحيى . تاريخ اليمن المسمى فرحة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، صنعاء ، 1990 - 1991.

- الوزير ، عبدالله بن علي . تاريخ اليمن خلال القرنين الحادي عشر – السابع عشر 1045 -1090هـ/ 1635 - 1680م المسمى تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى ، تحقيق محمد عبد الرحيم جازم ، صنعاء ، 1985.

- الوصابي ، وجيه الدين الحبيشي . تاريخ وصاب الإعتبار في التواريخ والاثار ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، صنعاء ، 1979.

- اليماني ، تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد . بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ومحمد أحمد السنباغي ، صنعاء ، 1988.

- اليمني ، نجم الدين عمارة بن علي . تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعرائها وملوكها واعيانها وادبائها ، حققه وعلق عليه محمد بن علي الأكوع الحوالي، صنعاء ، 1985.

3 - **<u>الموسوعات والمعاجم:</u>**

- الموسوعة العربية الميسرة ، القاهرة ، 1965.

- الموسوعة اليمنية ، صنعاء ، 2003.
- قاموس المنجد في اللغة والاعلام ، بيروت، 1986.

4 -المجلات والدراسات

- الاكليل . مجلة بحثية تصدر عن وزارة الثقافة والإعلام اليمنية .
- الباحث الجامعي ، مجلة فصلية محكمة تصدر عن جامعة إب.
- دراسات يمنية . مجلة تصدر عن مركز الدراسات والبحوث اليمنية
- الهمداني لسان اليمن ، دراسات في ذاكرة الالفية ، بيروت 1986 .

المؤلف في سطور

-أ.د.محمد مظفر هاشم الأدهمي

- ولد في هيت محافظة الأنبار /العراق عام ١٩٤٣

- حصل على شهادة البكالوريوس في التاريخ من كلية الآداب - جامعة بغداد ١٩٦٥

- حصل على شهادة الماجستير في التاريخ الحديث من كلية الآداب - جامعة بغداد ١٩٧٢

- حصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث من جامعة لندن عام ١٩٧٨

- أستاذ التاريخ المساعد في المعهد العالي للدراسات القومية والإشتراكية في الجامعة المستنصرية ببغداد ١٩٧٨- ١٩٨١

- أستاذ التعليم العالي في شعبة التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في الدار البيضاء - المغرب ١٩٨٢- ١٩٨٥

- مؤسس ورئيس قسم التاريخ بكلية التربية في الجامعة المستنصرية ١٩٨٦- ١٩٨٨

- حصل على لقب الأستاذية في ١٩٨٩/١١/١٦

-معاون عميد كلية التربية في الجامعة المستنصرية عام ١٩٨٨-١٩٩٠

- أستاذ التاريخ في قسم التاريخ في الجامعة المستنصرية ١٩٩٠ - ١٩٩٨

- مدير عام دائرة الإذاعة والتلفزيون في العراق ١٩٩٨ - ٢٠٠١

- عميد كلية العلوم السياسية في جامعة بغداد ٢٠٠١ - ٢٠٠٣

- عضو المجلس الوطني العراقي (البرلمان) لثلاث دورات ١٩٨٩ - ٢٠٠٣

- عضو المجلس التنفيذي لمشروع (طرق الحرير - طرق الحوار) في اليونسكو ١٩٨٨ - ١٩٩٨

- له اثنتا عشر كتاباً منشوراً في مجال اختصاصه

- له أكثر من أربعين بحثاً منشوراً

- أشرف وناقش العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه

- أسهم في العديد من المؤتمرات العربية والدولية

- أستاذ التاريخ في قسم التاريخ بكلية الآداب - جامعة إب / اليمن منذ عام ٢٠٠٤